5 -النفير الخامس :
وكان هذا يمثل الفترة الثانية في الجهاد ضد الانجليز فقد حاول الانجليز أن يرجعوا إلى كابل في صيف نفس العام سنة 1842 إلا ان المعتمد في الهند (ايلينبورغ) أمر بسحب الجيش البريطاني وأمر باعادة (دوست محمد) ليكون ملك أفغانستان بعد أن املوا عليه السياسة التي ينهج.
عاد دوست محمد سنة 1843 إلى كابل وامتد حكمه حتى سنة 1863 وخلال هذه الفترة أعاد قندهار وهرات وبلخ إلى قبضته وتحت سيطرته، وبعد عودة دوست محمد قتل ابنه (وزير اكبر خان) المجاهد بطريقة غامضة ويشير كثير من المؤرخين بأصابع الاتهام إلى ابيه أنه قد قتله بالسم.
ثم جاء بعد دوست محمد ابنه (شير على خان) وحكم أفغانستان سنة 1863 -1866 ثم اقصى عن الحكم ثم عاد وحكم البلاد من سنة 1869 -1879.
وكان سبب هذه الحرب مع الانجليز : أن بريطانيا هلعت وهي ترى روسيا تحتل طشقند وخوارزم وتصل إلى نهر جيحون وأرسلت روسيا بعثة عسكرية برئاسة الجنرال ليتوف الذي وصل إلى كابل وعقد معاهدة مع شير علي.
وهنا أرسلت بريطانيا بعثة لتقابل شير علي فمنعت من دخول أفغانستان وهنا اقتحم اللورد روبرتس أفغانستان ودخلها من الممرات الثلاثة الشهيرة في كانون الأول سنة 1879 وأعلن العالم الرباني (مسك عالم : دين محمد) من غزني الجهاد ضد بريطانيا وكان القادة العسكريون : محمد جان من وردك وكان في جبهة كابل وجنرال محمد كريم خان ومير بجاخان في بجرام، وعصمت الله خان في لغمان وتجاب.
وعندما دخل الانجليز هرب شير علي خان إلى مزار شريف وطلب النجدة من روسيا فرفضت وخلف وراءه ابنه يعقوب خان في كابل.
ووقعت بريطانيا في 26 مايو 1879 معاهدة مع أفغانستان وأرسلت بعثة دائمة إلى كابل تشرف على السياسة الخارجية في أفغانستان وفي 3 سبتمبر سنة 1879 أباد الشعب الأفغاني جميع أفراد البعثة في قلعة بالاحصار.
ولكن بريطانيا ارسلت قوات اخرى واحتلت كابل والقت القبض على يعقوب وارسلته إلى الهند ومات فيها سنة 1923.
ومكثت بريطانيا في كابل 1879 -1880 ثم اضطرت للدخول في مفاوضات مع الامير عبدالرحمن حفيد (دوست محمد) ثم بدأت بالاستعداد للانسحاب فجاءتها الاخبار أن أيوب خان (أخا يعقوب خان) قد اباد حامية بريطانية في (ميوند) بالقرب من قندهار فارسلت عشرة آلاف جندي إلى قندهار وهزموا ايوب خان .
وفي أيام عبدالرحمن خان 1893 جاء (ديوراند) البريطاني على رأس بعثة وخطط الحدود الشرقية والجنوبية التي تفصل أفغانستان عن الهند وسمى خط الحدود (بخط ديوراند).

6 -الانتفاضة السادسة :
على يد أمان الله خان ضد بريطانيا : اذ أن أمان الله خان بعد اعتلائه العرش سنة 1919 أرسل رسالة إلى المعتمد البريطاني في الهند يخبره فيها استقلال أفغانستان داخليا وخارجيا فتجاهلت بريطانيا الرسالة وردت بضرورة استمرار الوضع بين بريطانيا وأفغانستان كما هو فأعلن أمان الله النفير العام ضد بريطانيا وسلم قيادة الجيش لنادر شاه وقد كانت هنالك ثلاث جبهات :
أ -جبهة قندهار : قائدها سردار عبدالقدوس.
ب -جبهة جلال آباد : قائدها جنرال صالح محمد خان.
وكان قائد المدفعية معه عبدالقيوم البغماني واستطاعوا بعون الله هزيمة بريطانيا ودخل نادر شاه مع عبدالقيوم الحدود الهندية واحتلوا مدينة تل وخشيت بريطانيا أن يثير الأفغان الجهاد العام ضد بريطانيا وبدأت ترتعد أن يقوم الشعب الهندي المسلم بانتفاضة اسلامية ضدها مع اخوانه الافغان.
وهنا اعلن تشرشل من لندن استقلال أفغانستان وفي 8 أغسطس 1919 وقعت اتفاقية روالبندي التي اعترف فيها الإنجليز باستقلال أفغانستان التام.

7 -وكانت الانتفاضة السابعة :

أن أعلنت الحركة الاسلامية جهادها المسلح ضد داود سنة 1975 وكان على رأس الحركة آنذاك (رباني وسياف و حكمتيار) ثم كان الجهاد العام والنفير الكبير بعد الانقلاب الشيوعي السافر الذي جاء بتراقي إلى الحكم في 27 نيسان سنة 1978 وقد أعلنه العلماء وانضموا وراء ركب الحركة الاسلامية الذي سبقهم إلى الميدان بثلاث سنوات.
8 -وهنالك الانتفاضات المباركة ضد الملوك الذين حاولوا سلخ أفغانستان عن دينها وتمييع الولاء والبراء في عقيدتها واجتثاث العقيدة الاسلامية تدريجيا من أعماق الشعب المسلم باسم حركات الاصلاح والتحرير والتقدم والتغيير والتنوير.
وقد حاول الملك حبيب الله خان (1901 -1919) أن يمسح القيم ويروض الشعب بقبول الكفر تدريجيا ولكن موجة السخط العام لدى الشعب أدت إلى تململه مما حدا بأحد المسلمين أن يردي الملك قتيلا بالرصاص في 20 فبراير 1919. وبعد قتل حبيب الله تولى ابنه امان الله حكم أفغانستان من 1919 -1929 ولم يكن له في قصة ابيه عبرة ولم يتعظ بما جرى لأبيه وكان رجلا علمانيا يريد أن يجر افغانستان إلى مهاوي الردى وشعاب الهلاك باسم التطوير كذلك وكان متعجلا يريد أن يقلبها دولة غربية دون مراعاة لدين أو تقاليد أو أوضاع اجتماعية وتاريخية وأخذ الملك يسخر برجال الدين ويزدري بهم ويستخف بتمسكهم ولا يعبأ بهم ويطلق النكات في مجالسه العامة عليهم وهذا أثار حفيظة العلماء عليه فأوغروا صدور القبائل فثارت قبائل البشتون وتقدمت نحو كابل سنة 1924 ولكنه استعمل الطيران ضدهم فأوقفهم. وفي سنة 1938 قام الملك مع حاشيته برحلة طويلة زار فيها الهند ومصر وايطاليا وفرنسا والمانيا وانجلترا وروسيا وفي طريق عودته عرج على تركيا وايران.
ورجع الملك متحمسا جدا لسلخ أفغانستان عن دينها فكتب القرارات الملكية التي تقضي بوجود ارتداء الزي الغربي (للنساء والرجال) وعلقت المنشورات بهذا الاماكن العامة. وهنا اعلن العلماء كفر الملك ووجوب الجهاد ضده فثارت قبيلة (شنواري) واحتلت جلال آباد واندلعت الثورة ضدالملك في 28 نوفمبر سنة 1928 وما هدأت إلا بعد أن أطاحت بعرش أمان الله في 4 يناير سنة 1929.
والآن : مضى على الشرارة الأولى التي انطلقت ضد داود سنة 1975 واستمرار المعركة إلى أيام تراقي حيث اندلع الجهاد في كل أفغانستان إلى يومنا هذا ثلاثة عشر عاما، والحمدلله فالمجاهدون منتصرون وصامدون.
فهل يكون الجهاد الأفغاني بداية التحول التاريخي للاسلام؟ ام هل يكون الجهاد الأفغاني بداية تحول تاريخ العالم أجمع؟.
نحن نرجو من الله هذا ونحسب أن ذلك كائن -والله أعلم-
(ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا)
(الإسراء :51).
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك

مصانع الأبطال*
[نشر في مجلة الجهاد -العدد السادسوالثلاثون- ربيع الأول 1408هـ، نوفمبر 1987م].
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.. أما بعد : فإن للأم دورا كبيرا في بناء الجيل وبقدر النجاح الذي تحققه في تربية الأم يكون النجاح الذي تحرزه في بناء الأمة وصناعة الأبطال، وكثيرا ما تجد وراء أحد العظماء امرأة عظيمة تركت بصمات نفسها الكبيرة بارزة في شخصيته من خلال اللبن الذي رضع ومن خلال دفء الحضن الذي فيه رتع، وكثير من الرجال يصعب عليه أن يمسح من ذهنه تلك الصور المشرقة التي التقطها لأمه فيقف وفي ذهنه تلك الصور الرائعة التي جرت في عروقه منذ حداثة سنه فلا يملك إلا أن يتمثلها بإكبار أو يتملاها بإجلال وافتخار ثم تتدفع الكلمات البسيطة الواضحة التي أودعتها أمه كيانه فتشمخ معالم في طريقه ومنارة على جادته ولا يستطيع إلا أن يتفيأ الظلال الوارفة التي أقامتها له الأم على طريق العمر الطويل تغذيها المشاعر الجميلة وتتفاعل معها الأيام الخالدة في حياته فتشتجر هذه العوامل في كيانه وتكون جزءا لا يتجزأ من شخصيته، ولا يستطيع أن ينسلخ منها إلا إذا انسلخ من إنسانيته وتجرد من بشريته.

ولذا كان الحفاظ على هذا الود ومقابلة هذا الجميل بالوفاء والبر فريضة من فرائض الإسلام مقرونة بكلمة التوحيد :

وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا

(الآية 32 الإسراء)

ويعتبر العقوق قرينا للكفر، ويحتل احترام الأم منزلة رفيعة في سلم الإسلام وله ثقل كبير في ميزانه وفي الصحيح(1) جاء رجل إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-فقال :

(يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال : أمك، قال : ثم أي قال: أمك، قال : ثم أي، قال : أمك قال : ثم أي؟ قال : أبوك).

قلت ذات مرة لإبراهيم الأخضر -إمام الحرم المكي-لماذا تحرم الناس من صوتك الندي الذي يتجمع عليه المسلمون من كل مكان وكيف تطلب العودة إلى المدينة وبعض الناس يقولون : لكأنما نسمع القرآن يتنزل من السماء غضا طريا ونحن وراء إبراهيم الأخضر؟.

فقال : إن ذخري في الحياة جدتي ووالدتي ولابد من الوفاء بعهدهما والقيام ببرهما ولا يقوم أحد بهذا غيري، فقلت لماذا لا تأتي جدتك هنا؟ فقال : إنها ترفض أن تغادر المدينة خوفا من أن تموت خارج المدينة وأمنية الحياة الغالية عندها أن تدفن في البقيع، وفعلا ترك إبراهيم الحرم المكي وعاد ليؤم في مسجد صغير في المدينة ملتزما الجنة عند قدمي أمه وجدته.

ولقد أوصى الإسلام بتربية البنت وتأديبها وتعليمها لتكون حرزا (سترا) لأبيها من النار، وصدق الشاعر :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

وفي أفغانستان المسلمة نماذج رفيعة من الأمهات سواء من داخل أفغانستان أو من العالم الإسلامي نتعرف عليها من خلال الرسائل التي تردنا عبر بريد مجلة الجهاد، ومن خلال هذه النماذج فاطمة أم فيصل المكية.

فلقد كانت فاطمة أم الأولاد الستة تحلم أن ترى ابنها فيصلا يحظى بفتاة أحلامه وتفرح بابنها قبل أن تخطفها يد المنون إذ أنها تدلف إلى جدثها بخطى حثيثة بعد أن بلغت السبعين، واشترت لابنها الصغير -الراصد الجوي-أثاث العرس ولم يبق من أبنائها غيره ممن لم يكمل نصف دينه الآخر.

كانت فاطمة تعيش مع ابنها فيصل في شقته الهادئة على شاطئ البحر الأحمر في جدة وتنتظر اليوم الذي تختم فيه فرحها بأصغر أبنائها، ولقد كانت تفخر بابنها الذي طالما تباهت برؤية صورته على شاشة التلفاز يقدم مسرحياته للجمهور.

ولكنها خلال الأشهر الأخيرة صارت تلمح على قسمات وجه ابنها تغيرا وسهوما ووجوما وصمتا وغابت تلك الابتسامة المشرقة التي كانت لا تفارق شفتيه هنالك شئ جديد جاد يعتمل في أعماقه يشغله وهي تلاحظ عليه شرودا ولم تعد تلك الأحاديث التي كان يفاتحها بها عن أمانيه وأحلامه، واختفت من أنظاره بهارج الحياة وزخارفها واضطرت أن تقتحم عليه عزلته ووحشته متسائلة : ماذا عساه دهاك ياحبيبي فأشغلك عنا وعن الحياة الوادعة الآنسة حولك؟

وهنا فاتحها بما يكنه بين جوانحه لقد قرأت كتابا عن الجهاد الأفغاني اسمه : (آيات الرحمن في جهاد الأفغان) يتكلم عن قضية خطيرة كبيرة في حياة المسلمين وهي قضية الجهاد التي ليست مسطرة في سطور بل حقائق متمثلة في دنيا الواقع يخوضها شعب أعزل أمام العملاق الكبير -الاتحاد السوفياتي وحلف وارسو-.

وبدأت الأسئلة تنثال على لسانها : وأين (أفغانستان) هذه من الأرض؟ فأجاب : إنها بلد مسلم يعيش فيه شعب رفض أن يعطي الدنية في دينه ودفع ضريبة عزته غالية باهظة فهناك على سفوح الهندوكوش وعلى ضفاف الهلمند وفي سهول هرات يسقط شهيد كل أربع دقائق ويغادر شيخ أو امرأة منزله كل دقيقة.

يستعذبون مناياهم كأنهم لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا

قالت : ولكن هذه البلاد جد بعيدة، فأجابها : أو لسنا المسلمين؟ أو ليست أرض الإسلام كالبقعة الواحدة؟

إذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم لأية أرض أو لأي مكـــــــــان

وطفق فيصل يرتب نفسه ويعد للأمر عدته ويتخذ له اهبته وفاض الغرام واحترق الكبد من الشوق وزاد الشجى وإذا به ذات يوم يحضر سيارة كبيرة من السوق ويضع جميع أمتعته رياش العرس وفراش الزواج وأثاثه ولم يبق في البيت كرسيا ولا أريكة وانطلق إلى سوق الحراج وطلب من السمسار أن ينادي عليها

بالبيع وصاح الدلال فقال قائل هي علي بثلاثة آلاف فلم يتردد عن الإجابة بالقبول، وباعها بهذا الثمن البخس بعد أن دفع ثمنها سبعة عشر ألفا .
لقد كان بيع الأثاث إعلانا صارخا عن العزم الوامض والتصميم الحاسم على طلاق الدنيا ثلاثا لا رجعة فيها.
وتعلقت أمه به، لا بد أن أرافقك مسيرة طريق العرق والدماء ولا بد أن أسير فوق جادة الجهاد رغم الأشواك والعقبات واللأواء والسغوب والنوى.
ويعجب فيصل : وهل لمثلك دور في هذا الدرب المضني؟ سيما وقد نيفت على السبعين وثقل اللحم وقد لحب الجنبان واحدودب الظهر.
وتجيب الأم : نعم أستطيع أن أغسل ثياب المجاهدين وأن أطبخ طعامهم.
وصار النقاش يشغل قسما من الوقت في مجيئها أو بقائها في بيتها ووعدها فيصل أن يأتي لمعرفة الدور الذي يمكنها القيام به في أرض الجهاد ثم يرجع إليها.
وجاء فيصل فترة ثم عاد ليرتب أموره نهائيا ويستقيل من وظيفته ويخلص بنفسه إلى الله وينسلخ من دنياه التي يعيش فيها نهائيا وتصر الوالدة على القدوم إلى أرض الجهاد وقدمت فاطمة إلى بيشاور وزارت الأرامل والأيتام، وحاول ابنها أن تعود إلى جدة وبعد جهد جهيد توصلا إلى قبول تحكيمي فقالت له : لن أرجع حتى أسأل الشيخ عبد الله عزام.
وجاء فيصل بأمه لتطمئن إلى جواز رجوعها إلى جدة، وإلى الحكم الشرعي أن الله يعذرها بالعودة فأفتيتها بجواز رجوعها فغادرت وهي مطمئنة أنها من أصحاب الأعذار.
نظرت إلى هذه العجوز بإكبار وانبهار، ثم قلت في نفسي أنها مكية ولعلها قرشية فلا غرو في هذا فقد قال -صلى الله عليه وسلم-:
(خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده)
متفق عليه (2).
إنها تريد أن تسير على نهج أم حرام بنت ملحان زوج عبادة بن الصامت حيث نام -صلى الله عليه وسلم-في بيت عبادة فاستيقظ وهو يضحك فقالت أم حرام (مايضحكك يا رسول الله؟ قال : ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسرة، فقالت :(يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية فصرعت عن دابتها فهلكت) رواه مسلم (3).
تريد فاطمة أن تنسج على منوال أم سليط التي كانت تنقل قرب الماء يوم أحد/البخاري (4)، وتود أن تلحق بالربيع بنت معو ذ رضي الله عنها التي قالت (كنا نغزو مع النبي -صلى الله عليه وسلم-فنسقي القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة) البخاري(5).

نموذج فقط :
وليست القصة هي قصة فاطمة -أم فيصل-وحدها ولكنها قصة الكثيرات اللواتي يتقلبن على اللظى شوقا لرؤية الجهاد وتحلم كل واحدة منهن بفتى أحلامها أن يكون ممن يمتشقون السلاح ويمتطون صهوات الجياد ويحيون في قمم الجبال.

الرسائل :
وكم من الرسائل ترد إلينا من فتيات جامعيات أو معلمات ومن جميع الطبقات أنها تود أن تحظى بمحرم يحضرها إلى أرض البطولات أما وقد يئست أن تجد من محارمها في النسب فلا عدمت أن تجد المحرم الأخير وهو الزوج.
هذه أم سعيد الجزائرية :
يستأذنها ابنها في الجهاد فتقول له : أنت خريج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وتعلم الشرع أكثر مني، فأي أمر شرعي فلا تستأذني فيه، أما بالنسبة للجهاد فقد قام الجهاد في الجزائر ولم يكن عندي أولاد وكنت أتمنى أن يكون لي أولاد أقدمهم في هذا السبيل، والآن فقد رزقني الله أحد عشر ولدا فلا بد أن أقدم بعضهم في سبيل الله.
وأرسلت سعيد وعبد الرحيم إلى الجهاد بعد أن دعت لهما حول الكعبة بالشهادة.

إنها ليست قصة فاطمة ولكنها قصة عشرات الألوف من الفواطم اللواتي ولدن في هذا الدين الذي لن يعقم أن يقدم النماذج عبر الأجيال.
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

---

(1) الحديث متفق عليه عن أبي هريرة. فتح الباري /ج10/ كتاب الأدب/ باب (2) برقم (5917). شرح النووي /ج 61/ كتاب البر والصلة/ ص 201.
(2) شرح النووي /ج 16/ ص -81 وهو عن أبي هريرة بلفظ ".. صالح نساء قريش...".
(3) الحديث متفق عليه عن أنس بن مالك فتح الباري /ج6/ باب 8، برقم (2800). شرح النووي /ج 13/ ص 57.
(4) فتح الباري /ج6/ باب (66) برقم (2881).
(5) فتح الباري /ج6/ باب (86) برقم (2883).

هكذا علمني الجهاد*
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد السابع والثلاثون- ربيع الثاني 1408هـ الموافق ديسمبر 1987م].
الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :
فلم يعد خافيا على ذي بصيرة أن الجهاد الاسلامي في أفغانستان أصبح مدرسة فذة يتتلمذ فيها العالم الاسلامي أجمع .
وقد شرفني الله أن أكون بين التلاميذ الذين ينهلون من معين هذا الجهاد ويتربون على مائدته، واستطيع بعد ست سنوات متواصلة من هذا الشرف العظيم أن اسجل على عجل وبخطوط عريضة بارزة القواعد الكبرى التي خلصت إليها من أفغانستان وفلسطين، فأقول :
أولا : ان عقيدة القدر لايمكن أن تتجلى واضحة في النفس البشرية في ميدان اكثر منه في ساحة الجهاد، ولايمكن أن تتمثل عقيدة التوكل على رب العالمين حية بمثل أرض القتال وميدان النزال وخاصة في قضيتي الأجل والرزق اللتين تمثلان أعظم عمودين في الحياة البشرية، وقد سطرت هذه العقيدة في صحفات الكتاب العزيز بأيات محكمات
وماكان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا
(آل عمران : 144)
وفي السماء رزقكم وما توعدون
(الذاريات :22)
والناس يوحدون الله بهذه العقيدة (عقيدة الأجل والرزق) توحيد ربوبية (التوحيد العلمي) ولكن النقلة البعيدة من توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية (التوحيد العملي) فهذا الذي يتكفل الجهاد به بتحويل الكلمات إلى توكل يتمثل في مواقف فريدة يخاطر فيها على النفس والمال والحياة، وعندها يصبح المؤمن جبلا راسيا تهتز الأرض كلها دون أن يميد أو يتأرجح .
وقد رأينا هذا من خلال النماذج التي تتسابق على الموت وتبكي حين تمنع من دخول المعارك في أرض أفغانستان، ويعبر عنه صفي الله أفضلي الذي مكث ثماني سنوات لايدخل معركة إلا في الصفوف الاولى فراجعه المجاهدون في هذا فقال : ألم يقل الله عزوجل
فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون (النحل 61)
وتوضحه كلمة سيد علاء الدين "قائد في ميمنة / فارياب " (جنك نيست خواب نمشا) أي (لايمكن النوم بدون الجهاد).
يلذ لأذني سماع الصليل ويبهج نفسي مسيل الدما
وأما الرزق فانك تعجب من توكل الأفغان بشأنه فقد قال لي سياف ذات مرة : (أجلس أحيانا لانظم مساعدة الجبهات وتأمين طعامها فينحسر تفكيري وأقف حائرا أمام معضلة لا استطيع حلها، فاتركها لرب العالمين يدبرها ويرتبها) وعقيدة التوكل على الله التي بناها الجهاد الأفغاني تريد أمريكا أن تزعزعها في قلوب المسلمين فتصور نفسها وصية على الجهاد .

العقدة الكبرى : ان أكبر عقدة في حياة الدعاة هي عقدة الخوف (الخوف على الرزق والاجل) فاذا انحلت هذه العقدة انحلت العقد كلها وفي هذه الأيام أصبحت عقدة المخابرات هي العقدة التي أحالت الدعوة والحركة إلى إشارات خفية وألغاز معماة سرية وذلك لان المخابرات يمثلون شبحا رهيبا يطارد الدعاة في سباتهم ويقض عليهم مضاجعهم وذلك خوفا على رزقهم أو اجلهم. والجهاد : تحرر من جميع العقد، والحمد لله لقد من الله علينا بالتحرر من هذه العقدة فعندما يقولون لي : فلان من المخابرات فكانما يقولون لي : أبو تمام مدح المعتصم، أي لم تعد تثير في اهتماما ولاتحرك في أعماقنا أية مخاوف .

ثانيا : العزة : ومما علمني الجهاد ان المسلم أعز مخلوق في الأرض إذا كان مجاهدا لأن أعز مايملك المرء هي الروح وهو يخاطر بروحه ويعرضها كل يوم على خالقها ليتسلمها فكيف يمكن لهذا الانسان أن يحني هامته أو يذل عنقه لإنسان وصدق الله العظيم :

ولاتهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين

آل عمران (139)

والعز في صهوات الخيل مركبه والمجد ينتجه الاسراء والسهـــر

وقد علمني هذا الدرس ذلك الشيخ الأفغاني في مخيم ناصرباغ عندما تقدم نيكسون ليصافحه، فقال : لاأصافحه -وان كان رئيسا لأمريكا -لأنه كافر.

وكذلك علمني اياه حكمت يار عندما رفض أن يقابل ريغان رغم أن ريغان هو الذي طلب مقابلته.

ثالثا : حقارة الحياة وصغرها في نظر المجاهد كما جاء في الحديث الصحيح (1)

(لوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافرا شربة ماء)

وهذا يتفق مع نفسية المجاهد وارتفاع اهتماماته وعلو مكانه وهو ذروة سنام الاسلام فهو ينظر إلى الأرض ومن عليها فتبدو صغيرة ضئيلة في نظره.

يقول سياف لأحد ابناء الحكام : (والله إن مائة عرش مثل عرش أبيك لا أعدلها بلحظة من لحظات الجهاد).

رابعا : وتعلمت ان الحياة الحقيقية هي حياة الجهاد والمجاهد ولذا فاني اعتبر عمري الآن سبع سنوات وهي التي قضيتها في الجهاد ست منها في أفغانستان وسنة وبضعة أشهر في فلسطين، وهذا يتفق مع رأي بعض المفسرين في معنى الاية :

ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم

(الأنفال :24)

استجيبوا لما فيه حياتكم وهو الجهاد.

خامسا : وعلمني الجهاد ان الاسلام شجرة لاتعيش إلا على الدماء فإذا جفت الدماء ذوت عروق هذا الدين وذبلت واضمحلت وضمرت.

سادسا : وخرجت من الجهاد بيقين : أن الجهاد ضروري جدا للحركة الاسلامية وكذلك فالحركة الاسلامية ضرورية لاشعال زناد الجهاد وقيادته والشعب ضروري للحركة الاسلامية حتى يستمر جهادنا بهذا الوقود وهو الشعب فاذا لم تجاهد الحركة الاسلامية تآكلت واشتغلت ببعضها ودبت بينها الفتن وانتابها التشقق والتمزق لأن الفراغ قاتل للنفس والمجتمع.

والحركة الاسلامية تمثل الصاعق (البادئ) الذي يفجر أطنان المتفجرات، فالشعب هو المتفجرات والحركة الاسلامية هي الصاعق الذي يشعلها ويفجرها ولاتستطيع حركة اسلامية مهما كانت أن تواصل حربا طويلة الامد ضد دولة ولوكانت صغيرة فضلا عن أن تقف سنوات امام دولة كبرى، والحركة اذا عزلت عن الشعب فقد قضت على نفسها بالموت كالغصن اذا قطع من شجرته مهما كان ناضجا كبيرا فانه يذبل ويموت.

وكثرة الثقافة لحركة دون جهاد جد خطير على النفوس لأنه يقسي القلوب ويورث الجدل.

سابعا : إن هذا الدين لا يفهم إلا من خلال الجهاد به لاقراره واقعا في الأرض والذين يقضون حياتهم بين صفحات الكتب واوراق الفقه لايمكن ان يدركوا طبيعة هذا الدين إلا اذا جاهدوا لنصرته فهذا الدين لا يفهم أسراره فقيه (وإنه لجهل فاضح بطبيعة هذا الدين أن يفهم أحد أنه يستطيع التفقه في هذا الدين وهو قاعد يتعامل مع الاوراق الباردة ولايستنبط الفقه من قوالبه الجامدة ان الفقه لايستنبط إلا في مجرى الحياة الدافق ومع الحركة بهذا الدين في عالم الواقع) سيد قطب (2).

وهذا يتفق مع فهم الحسن البصري والطبري ورواية عن ابن عباس رضي الله عنهما للآية

فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
(التوبة :122)
ان الفرقة التي تتفقه هي الفرقة النافرة للجهاد ولذا كان المسلمون اذا اعضلت عليهم مسألة يقولون اعرضوها على أهل الثغور والحق أن الفرقان بين الحق والباطل لايحصل الأ للمتقين
يأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
(الآية 29 الأنفال).
يقول ابن تيمية :
(الواجب أن يعتبر في امور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا دون الذين يغلب عليهما لنظر ظاهر الدين فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين في ظاهر لاخبرة لهم بالدينا) أي لايسأل عن الجهاد إلا العلماء المجاهدون.
ان الدينونة لهذا الدين هي التي أنشأت المجتمع المسلم والمجتمع المسلم هو الذي أنشأ الفقه من خلال الحركة الواقعية بهذا الدين.
ثامنا : وعلمني الجهاد : أن الدولة الاسلامية لايمكن ان تقام إلا من خلال جهاد شعبي طويل تتميز فيه اقدار الناس وتتحدد مقاماتهم، ولايبخس الناس بعضهم مقادير بعض ومن خلال هذه المسيرة تبرز القيادات الحقيقية من خلال الشجاعة والتضحية، ويكون الخليفة أحد هؤلاء المجاهدين ولقد كان ميزان التفاضل بين الصحابة عدد الغزوات والسرايا التي شهدها، ولذا لم يحتج ابو بكر عند اجماع الامة على انتخابه خليفة إلى تزكية أحد أو إلى دعاية انتخابية.
وميزان التفاضل الآن بين الافغان هو عدد السنوات التي قضاها في المعركة ، فلا يستطيع أحد مهما كان جاحدا ان ينكر جهاد احمد شاه مسعود، وجلال الدين حقاني ومولوي أرسلان، وفريد وانجنير بشير أحمد وانجنير ضياء (هرات) وقومندان أمير قندوز، ولالامالنج (قندهار) واريان بور / بدخشان.
تاسعا : وعلمني الجهاد : أن الدولة الاسلامية التي تقوم من خلال الجهاد لايمكن القيام بانقلاب عسكري عليها، لأن الناس كلهم يحملون السلاح، ولأن مقادير القيادة فيها برزت من خلال أعمالهم وصبرهم وتضحياتهم.
ولأن الوصول للسلطة لم يكن في الظلام من خلال الدس والمؤامرة وانما جاء واضحا كالشمس في رابعة النهار، والقيادة هي اصلب الناس عودا واصفاهم عنصرا واصدقهم لهجة وابسطهم عيشا، وهذه القيادة دفعت ثمنا غاليا لاقرار الدولة فلا يمكن أن تفرط بها، والقيادة التي يفرزها الجهاد : قيادة جاءت من صفوف المجاهدين عاشت على الشظف والخشونة والتقشف والزهد مع المجاهدين وتستطيع مواصلة العيش على هذا النهج.
ويدرك الذي يدخل بيت سياف أو حكمت يار ويونس خالص ورباني أن زهد عمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم يمكن أن يعود وفي بيت أمير المؤمنين في القرن العشرين.
لقد اطلعت على مصروف حكمت يار وعائلته فوجدته أقل من أربعمائة ريال شهريا.
عاشرا : وعلمني الجهاد : أن الجهاد أفضل وسيلة لتربية النفس البشرية، اذ أن الخطر يعري الفطرة لبارئها وأهوال الحرب تفتح القلب للاتصال بخالقه وهنا وفي حرارة المحنة ومرارة التجربة تسخن النفس فتصبح مطاوعة لينة تستجيب للاوامر، كالحديد اذا سخن يصبح مطاوعا، فالجهاد يصقل النفس ويخلص الروح من اوشابها ويملأ الجهاد الحس البشري بالرهبة والروعة كما يملؤه بالحذر واليقظة، ويملأ النفس البشرية بالتوجس والتوقع للموت في كل لحظة ليخرجوا من الغفلة التي ينشئها الرخاء والنعمة عرفت هذا في سلوك سازنور (ننجرهار) الذي يدفع ثمن الطعام من الغنيمة قبل اكله، حتى الكفار يضرعون إلى الله أوقات الشدة : فقبل اسبوع تقريبا نزلت طائرتان روسيتان في منطقة شترال " الباكستاني فكان مما قاله الطيار الروسي : (ان اكثر مايخيفنا صاروخ ستينجر ولكننا نتعوذ منه بنصوص من كتابكم المقدس علمنا اياها الشيوعيون الافغان).
حادي عشر : وتعلمت ان الجهاد هو اكبر عامل لتوحيد الامة الاسلامية ولم شتاتها وجمع شعثها، فلا توجد قضية في الارض الآن تشد أعصاب الأمة وتستحوذ على اهتماماتها اكثر من الجهاد الافغاني وهذا الاحظه من خلال الرسائل الكثيرة التي ترد إلى مجلة الجهاد من كل مكان في الأرض.
ثاني عشر : وتعلمت ان القيادة والمسؤولية لابد أن تسلم للمخلصين الصادقين فهؤلاء هم صمام الأمان لصيانة ارواح الناس وأعراضهم وأموالهم.

ولقد رأى بعض قادة الأحزاب : أن يمدوا القيادات التقليدية التي كانت أيام ظاهر شاه الذين يسمون في أفغانستان (أرباب ووكيل) ولكن هؤلاء لم يستطيعوا مواصلة السير على الطريق وتراه بين العشية وضحاها ينضم مع اسلحته وقريته وجبهته إلى الدولة الشيوعية عند رؤية بارق طمع أو لمح عرض من الدنيا القريبة.
ثالث عشر : وادركت من الجهاد : أن التربية ضرورة ماسة قبل حمل السلاح وإلا فإن الذين يحملون السلاح دون تربية يصبحون كالعصابات المسلحة تؤرق اجفان الناس وتهدد أمنهم وتروعهم ليل نهار وأنت تدرك هذا عند المقارنة بين قائدين في أفغانستان احدهما تربى في الحركة الاسلامية والاخر لم يتلق التربية فتجد الناس جد مرتاحين في منطقة الاول وأما الثاني فشكوى الناس لا تنقطع عنه.
رابع عشر : وتعلمت أن الصبر عمود الجهاد بل رأس هذا الدين ولاجهاد بلا صبر وبامكانك أن تدرك هذا من الذين امضوا عشر سنوات في الجهاد مع الجوع والعري والمرض وانه ليذهلك وأنت تسمع (قصة فتح قلعة المار/ فارياب)
التي تقع في سهل شاسع لايمكن للمجاهدين التسلل اليها فيحفر المجاهدون خندقا عميقا يسير فيه الراكب دون أن يرى طوله -عشرة كيلومترات-يستمر حفره سنة ونصف حتى يدخلوا القلعة من تحت الأرض ويفتحوها باذن الله.
خامس عشر : علمني الجهاد أن الهالات الضخمة التي ترسم حول الدول الكبرى كامريكا وروسيا لاتساوي شيئا أمام قوة رب العالمين وتأييده للمؤمنين ، ومن كان في شك مما أقول فليسأل الروس عن هلعهم ورعبهم من المجاهدين الافغان ، لقد بدد الجهاد الافغاني أسطورة روسيا.
وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ان لا اله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك.

---

1 -عند الترمذي برقم (2321) وابن ماجه برقم (4110)وهو عن سهل ابن سعد.
2 -بتصرف عن الظلال في تفسير سورة التوبة/ الجزء الثالث/ص -1735 طبعة الشروق.
3 -الاختيارات (158/4)

أصالة الشعب الأفغاني المسلم*
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الثامن والثلاثون- جمادي الأولى 1408هـ، يناير 1988م].
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده، أما بعد :
فلا زال الشعب الأفغاني يحتفظ بأصالته وكرم محتدة وطيب فطرته وسلامة نفسيته وصفاء خامته ونقاء طينته.
ومن نعم الله على أفغانستان أنها ماحنت هامتها لمستعمر ولا أذلت عنقها لغاز إلا لله الذي ساق جنده يحملون مشاعل نور الإسلام.
لقد نفى كير أفغانستان كل خبث غريب وطيء أرضها، ولفظت أرضها الطيبة كل نجس جاء يدنس تربتها. فلم يستطع الاسكندر ولا التتار -جنكيزخان-ولا الإنجليز أن يثبتوا فيها أقدامهم لأن قمم جبالها تستعصي على الغزاة وعلو نفوس أبنائها تستعلي على الطغاة فحفظ الله على الشعب الأفغاني :
بساطتهم، وحياءهم، وكرمهم، وعزتهم، وشجاعتهم، ومروءتهم. لأن أعداء الله -خاصة الإنجليز-حيثما حلوا مسحوا البساطة وغرسوا التعقيد، واجتثوا الحياء وزرعوا القحة والبذاءة وسلبوا الإيثار وتركوا الأثرة وحاربوا الشجاعة وربوا الجبن والخور واقتلعوا الكرم وور ثوا البخل والشح.
أما عن حياء الشعب الأفغاني : لقد سارت به الركبان وتحدث به الشعراء خاصة عن حياء المرأة.
وفي الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم والبيهقي عن ابن عمر قال -صلى الله عليه وسلم-
(الحياء والإيمان قرناء جميعا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر) (1).
وحيثما أثبت المستعمر قدمه فإنه يحيل المجتمع كله إلى مستنقع جنسي آسن يغرق فيه أبناء الجيل كله -جاء في البروتوكولات (نريد أن ننشئ جيلا لا يستحي من كشف عورته) -وليس أدل على هذا من بانكوك التي تركها الأمريكان بؤرة الخطيئة في العالم.

وأعداء الله يدركون أكثر من غيرهم أن تدمير فطرة المرأة هي أقصر طريق لانهيار المجتمع كله وقد قال قائلهم : (كأس وغانية أشد على أمة محمد من ألف مدفع)، ولذا فقد ركزوا على المرأة في البلدان الإسلامية خاصة في :
تركيا : عاصمة الإسلام السياسية.
ومصر : عاصمة الإسلام العلمية.
وكانت الأنظمة الثورية هي القفاز الذي يضرب به أعداء الله والحربة التي يمزقون بها حجاب المرأة ويمسخون شخصيتها ويدمرون إنسانيتها.
ويعلن رئيس وزراء تركيا (تورجوت) سنة 1968 أن أكبر دخل لميزانية الدولة إنما يأتينا من بيوت الدعارة -البغاء-**!**
ولقد تمرد الجيل بجنسيه -ذكرهم وأنثاهم-على القيم والمبادئ ومزقوا برقع الحياء، وانفلتوا من كل التقاليد المحافظة والآداب الاجتماعية وانطلقوا لا يلوون على شيء فلا حرمة لأب ولا لأسرة ولا لدين ولا لمجتمع - جاء في بروتوكولات حكماء صهيون (سننشر آراء فرويد الجنسية على مثل ضوء الشمس حتى لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس وتنهار الأخلاق في كل مكان).

أما في أفغانستان :
فقد وجدت المرأة فيها قلعة شامخة وحصنا حصينا يأوي إليه هذا الدين كلما اشتدت المحن وادلهمت الخطوب.
ولقد رأيت المرأة الأفغانية أثناء هجرتها تمسك ابنها بيد وتمسك بالأخرى نقابها الذي تخشى أن يسقط عن وجهها على طول طريق العرق والدم والمرارة والحرمان وهي تكابد حرارة الجو اللاهبة ولفح الهجير في حم ارة القيظ.
ويرى الأفغان أنه من العيب أن يلقي الرجل عمامته ويكشف رأسه مهما كان الحر شديدا والريح سموما ، وكنت أعجب لهذا كذلك.
أما عن احترامهم للشعائر الإسلامية وأهلها فحدث عنه ولا حرج :
فعلماؤهم وحفظتهم يحتلون مكانة مرموقة في المجتمع وفي أعماق قلوب أبنائه، فالعالم والقارئ والحافظ : لا يمكن أن يلفظها الأفغاني إلا مصحوبة (بصاحب) أي المحترم. وابن العالم : اسمه مخدوم فكل اسم تسمعه يبدأ بمخدوم فهذا يعني أنه ابن عالم أي يجب على الشعب خدمته.
وتجد الأفغان جميعا مؤمنهم وفاسقهم وفاجرهم يجل العالم ويحترمه.
يقول سياف : كنت سجينا مع كبار المجرمين ومهربي المخدرات فكانوا لا يصلون ولكنهم يصطفون أمام مصلى السجن ينتظرون خروجنا حتى يصفوا لنا أحذيتنا إجلالا واحتراما ، وعندما ح كم على الشيخ سي اف بالإعدام استعد أحد كبار المهربين أن يدفع عشرين مليونا لمدير السجن لإخلاء سبيل سياف.
لقد سمعت الشيخ يونس خالص -أمير الحزب الإسلامي والناطق باسم الاتحاد الآن-يقول (إنني احترم سي افا لأنه أستاذي في الحديث) رغم أن الشيخ يونس ناهز السبعين وسياف لم يبلغ الأربعين.

أما عن القرآن وأهله :
فحامل القرآن له توقير عجيب وإجلال غريب واحترام كبير في نفوس الأفغان فالأفغان يحملون أمتعتهم وأسلحتهم على الخيول والبغال ولكنهم يرفضون أن يضعوا عليها المصاحف مهما كانت ثقيلة وناءت بحملها كواهلهم.
ولا يمكن للأفغاني أن يتقدم على حامل القرآن أو يسبقه في شيء أو يتصدر عليه في مجلس.
قال لي سعيد الجزائري : علمتهم القرآن وعلموني أدب القرآن.
وحدثني قائلا : كنت أعلم سرية من سرايا أحمد شاه مسعود في تخار القرآن فكانوا يهابون أن يمزحوا أو يهزلوا أو يمدوا أقدامهم أو يعبثوا بثيابهم أو لحاهم في حضرتي.
ويقول : كانت أسر تنا التي ننام عليها غنائم روسية مكونة من طابقين فكان مهجعي في الطابق العلوي من السرير وفي السفلي أحد المجاهدين الأفغان، وذات ليلة جلست في الطابق السفلي قرب المدفأة فأخذني النوم العميق ولم استيقظ إلا في منتصف الليل وإذا بالأفغاني -صاحب المكان-واقف فوق رأسي فسألته ما بالك؟

فأجاب : أريد النوم فقلت له : هلا نمت في الطابق العلوي للسرير فقال : معاذ الله أن أنام فوق القرآن الذي في صدرك **!!**
يقول الأخ الحبيب عبد الله أنس (القرآن مفتاح قلوب الأفغان).
المروءة والكرم وخاصة إكرام الضيف
والأفغاني ينطبق عليه وصف الشاعر :
تراه إذا ما جئتــه متهلــــلا كأنك تعطيه الذي أنت سائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائلــه
وأما عن المروءة : فقد حدثني أحمد المبارك (مجاهد صومالي) قائلا : قمنا بعملية في مركز بروان ثم تفرقنا عن بعضنا لغزارة النيران فضللت الطريق ودخلت بستانا وإذا به بستان شيوعي فعرفني أني عربي فأكرم وفادتي وأحسن لقائي وأتى بسيارة مع حراسه وأوصلني إلى قاعدة المجاهدين وعرض علي مبلغا من المال إكراما لي رغم أن بإمكانه أن يسلم رأسي للروس مقابل ثمن باهظ ولكنها المروءة وإكرام الضيف.
وصدق رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
(خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا)
رواه الشيخان عن أبي هريرة(2).

أما الترفع عن الدنايا :
فكفى الأفغان فخرا أن منهم ثلاثة ملايين ونصف المليون في باكستان تسحقهم الفاقة ويبيد العري والمرض والجوع خضراءهم ومع هذا كله : يصعب على البوليس الباكستاني أن يسجل حادثة سرقة.

المصطلحات الإسلامية :
لقد فرض الجهاد الإسلامي الأفغاني على العالم أن يعيد إلى قاموس التعامل اليومي مصطلحات إسلامية كادت تندثر مع الزمن في طي النسيان ففرضوا كلمة الجهاد -ورفضوا كلمة الثورة -ورفضوا كلمة لاجئين وقالوا نحن مهاجرون، وهم يتداولون كلمة منافقين ويطلقونها على عملاء الدولة وانتشرت كلمات : غنائم ، غازي ، أمير، إمارة، بغاة، حدود

الأصالة ضرورة لبناء المجتمع الإسلامي :
إن المبادئ لا ينصرها إلا النفوس الصادقة والفطر السليمة، وإن هذا الدين قد انتصر في كل مرة بشعب خامته طيبة وفطرته سليمة; فانتصر أول مرة بالعرب الأميين، وحكم الشعب التركي بإسلامه مع أميته ربع العالم وعلى مدى خمسة قرون متتالية.
ولقد رأيت أن أصالة الشعب الأفغاني بإباء رجاله وحصانة نسائه مع الحياء والعفة والوفاء وسلامة الجبلة والفطرة تكو ن لمجموعها : قاعدة صلبة يمكن أن يقام عليها هذا الدين ويشاد فوقها صرحه العظيم
إن الدين عند الشعب الأفغاني أصبح مع الزمن :سليقة وليس تصنعـا ، وطبعا وليس تطبعـا ، ومعدنا وليس طـــلاء ، وخليقة وليس تمثيلا .
إن هذا الدين لا ينتصر بجيل : نخرته الشهوات، وانهكته الملذات وحطمت نفسيته وأذلته أجهزة المخابرات، وأتلفه الترف وأفسده السرف.
فهل ينتبه المسلمون إلى هذا الكنز العظيم بين أيديهم (الشعب الأفغاني وجهاده)؟ وهل يقف المسلمون بجانب هذا الشعب الكريم وينهلون معه من نفس المعين؟ هل يبادر المسلمون للحفاظ على هذه القاعدة الصلبة لعلها تكون بإذن الله المنطلق لهذا المارد الجبار ولهذا العملاق الكبير ليحرر الإنسان المعذب في الأرض؟ أم تفلت من بين أيديهم هذه الفرصة الذهبية كما أفلتت من أيديهم فرص كثيرة؟
إنه غيب دونه حجب مسدلة لا يعلمه إلا الله الذي علمنا أن الحياة والنصر مقامة على قوانين وسنن، وألزمنا الأخذ بالأسباب وأوجب علينا الإعداد.
والحق أن الذروة التي حل ق عليها الشعب الأفغاني بجهاده، تدركها الأشواق وتتطاول إليها الأعناق، ولكن قصرت دون بلوغها سائر الأعراق.
وختاما دعونا ننشد مع أبي الطيب لحنه العذب لهذا الشعب الكريم.

قعد الناس كلهم عن مساعيك وقامت بها القنا والنصـــــــول (3)
ما الذي عنده تدار المنايـــــــــــا كالذي عنده تدار الش مــــــول (4)
أنت طول الحياة للروس غـــاز فمتى الوعد أن يكون القفول (5)
وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، استغفرك وأتوب إليك.

---

(1) صحيح الجامع برقم (5913).
(2) رواه الشيخان عن أبي هريرة وهو في صحيح الجامع برقم (2766)
(3) القنا : الرماح، النصول : السيوف، مساعيك : مطالبك من المجد والشرف.
(4) المنايا : الموت. الشمول : الخمور أي لا يستوي الذي يشرب كأس المنية بالذي يحتسي كأس الخمر مثل الملك ظاهرشاه.
(5) بدل الروم في هذا البيت كتبنا الروس. القفول : الرجوع.

مدرسة الجهاد الإيمانية*
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد التاسع والثلاثون- جمادي الثانية 1408هـ، فبراير 1988م].
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره.. أما بعد.
فقد كان يحلو للمؤرخين أن يطلقوا على أفغانستان (مدرسة الحرية) في آسيا لأن أفغانستان وقفت في وجه جميع الغزاة الذين حاولوا أن يذلوا شعبها أو ينالوا من كرامته، ولقد كانت قمم الهندوكوش هي العقبات الكبرى التي يتحطم على صخورها عتو الطغاة وتذل عند ذراها كبرياؤهم وتهن عند منازلتها عزائمهم فلقد فشل الاسكندر المقدوني في أن يستعبد شعبها أو أن يمس إباءهم، وأما جينكيزخان فلقد واجه من صمود أبناء أفغانستان عنتا ماواجه نظيرا له في البلدان التي اجتاحها أثناء غزوه المغولي.
وأما الإنجليز فلا زالت أجيالهم تتناقل أخبار آبائهم الذين لقوا حتفهم في خرد كابل وفي جك دلك -في ننجرهار- ولا زالت صورة مذبحة الجيش الإنجليزي في جلال اباد 1824 بكامله وكان عداده مع أتباعه حوالي ستة عشر ألفا - أقول لازالت صورة تلك المذبحة شبحا رهيبا يفزعهم في منامهم ويقض مضاجعهم، وكذلك لازالت خيالات وذكريات المقابر الكبرى للجنود الإنجليز ذوي الوجوه الحمر سنة1880 وهزيمتهم أمام الجيش الأفغاني 1919 الذي يقوده نادر شاه حتى وصل إلى مدينة تل -الباكستانية-وكانت هندية آنذاك إذ لم تكن باكستان قد ظهرت إلى حيز الوجود بعد.. لازالت هذه المقابر والهزائم معالم بارزة في تاريخ بريطانيا الحديث ولا زالت العبر التي خلفتها هذه الهزائم الساحقة تشكل عقدة كبرى في العقلية الغربية وفي نفسية جيلها مما حداهم ليطلقوا عبارتهم القائلة (لقد أخضعنا كل العالم لثقافتنا ولم يفلت من الذوبان فيها سوى التيس الجبلي في أفغانستان والأعرابي في وسط الصحراء(1).
لقد سمعت الرئيس الباكستاني ضياء الحق ذات مرة يتحدث قائلا للسفير الروسي : لقد وصلت روسيا القمر وغزت الفضاء ولكن يبدو أنها لم تدرس التاريخ، فسأله السفير الروسي وكيف؟ فقال : لو درست التاريخ لما غلطت هذه الغلطة الكبرى وهي دخولها إلى أفغانستان!
وع ب ر التاريخ كله كانت أفغانستان هي المحضن الدافئ الذي ينشأ فيه القادة والعش الهادئ الذي تفرخ فيه البزاة والصقور التي تغزو المنطقة المحيطة بإيران والهند، فمحمود الغزنوي قد دخل الهند فاتحا عدة مرات وحطم صنم (سامونانا) وكذلك أحمد شاه بابا (أي الأب للشعب الأفغاني) الذي هزم الهندوس وعمل فيهم مذبحة عظيمة، وكانت دولة أفغانستان التي أنشأها أحمد شاه بابا تمتد من : مشهد في إيران غربا إلى كشمير ودلهي شرقا ومن بخارى شمالا إلى بحر العرب والمحيط الهندي جنوبا -وكانت بيشاور العاصمة الشتوية لأفغانستان وكابل هي العاصمة الصيفية وقد لقى الهندوس والسيخ على يده وعلى يد أبنائه من الويلات والإذلال والصغار مالم يروه على يد غيرهم.

الجهاد ضد الشيوعية :
وقد قضى الله -عز وجل-أن يتفجر هذا الجهاد المبارك على يد حفنة من الشباب المؤمن المجاهد مثل الأستاذ برهان الدين رباني، وسي اف وحكمت يار وفي طليعة العلماء المجاهدين : يونس خالص وجلال الدين

حقاني ونصر الله منصور. لقد كنت في بداية هذا الجهاد أتمنى لو قيض الله النجاح للانقلابات الثلاثة التي رتبها حكمت يار مع قادة الجيش المسلمين في أفغانستان ضد نظام داود الطاغية، ولكن..
وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون
(الآيتان 7، 8 الأنفال).

طول مدة الجهاد :
إن حكمة الله البالغة قضت أن تفشل محاولات الإطاحة بنظام داود العلماني ليأتي الله بهذا الجهاد على يد هذا الشعب المجاهد الفذ، وشاءت إرادة الله أن يستمر هذا الجهاد هذه السنين العشر التي دارت فيها رحى الحرب ثقيلة سريعة تطحن أعصاب هذا الشعب وتسحق أبناءه، ويدفع فيها الثمن باهظا والتكاليف عالية والتضحيات جبارة ليتحول الجهاد إلى مدرسة إيمانية وجامعة ربانية تتفتح على حرارتها براعم كامنة في أرجاء العالم الإسلامي، ولتغدو مدرسة الجهاد الإسلامي في أفغانستان نموذجا فذا وأسوة حسنة لمن شاء أن يقتفي الأثر أو يسلك الطريق أو يسير على الجادة.لقد حمل الشباب الأوائل -الذين فجروا هذا الجهاد-الآية الكريمة نبراسا على طول الطريق المرير
ولينصرن الله من ينصره أن الله لقوي عزيز
(الحج الآية 40).
وكان الهادي عل طول هذه المسيرة التي رواؤها الدماء ووقودها الأشلاء قوله سبحانه :
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين .
(البقرة :249).
وكان الحادي الذي يغذي عزيمتها بالمضاء وشعلتها بالسناء والضياء
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين
(العنكبوت الآية 69)
وزاد الطريق :
ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين
(البقرة:153).

عقيدة التوكل على الله :
لقد بنى الجهاد الإسلامي في أفغانستان عبر السنين التسع الماضية عقيدة التوكل على الله في قلوب أبناء هذه الأمة المسلمة وأعاد الثقة بالله سبحانه في أعماقهم، وما كان شيء من هذا كله يمكن أن يتم لولا أن الله ساق هذا الجهاد العظيم درسا عمليا ومدرسة تربوية وأحداثا واقعية في عالم الحياة.
وعندما يشاهد الشاب هوان روسيا وإذلالها على يد هذا الشعب البطل الفذ ويعيش فوق أرض المعركة مستشعرا عظمة الله وقوته، وجبروته وهيمنته وأمامه أقزام صغار يحاد ونه ويتعدون حدوده وينتهكون حرمات أوليائه ويرى بأم عينيه وقائع لا تني تطالعهم صباح مساء كيف ينتقم الله لأوليائه ويغار على حرماتهم لا يملك إلا أن يردد (لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده).
وعندما يرى الشاب المسلم بأم عينه الرعب الذي يتملك الجنود الروس والهلع الذي ينغص عليهم حياتهم والخوف الذي يحيل عيشتهم جحيما لا يطاق، عندما يراهم سجناء قلاعهم أسرى في حصونهم وكل واحد منهم إنما يعيش في هذه القلاع الكئيبة المليئة بالمنعرجات والسراديب والمنعطفات ذات الهواء الراكد المكتوم وكل واحد منهم يدرك أنه يسير في درب مسدودة ويقف أمام جدران صلدة في نهاية كل درب.
عندما يسمع المؤمن جنديا روسيا راجعا من أفغانستان يصرح على التلفاز الأمريكي قائلا: (عندما نسمع صيحة الله أكبر نبول في ثيابنا) يدرك عظمة رب العالمين وهوان الكافرين وعزة المؤمنين.

أثر الجهاد الأفغاني في نفوس الشعوب المسلمة :

وعندما يقف الشاب العربي المسلم فوق ذرى الهندوكوش ويرى هزيمة روسيا أمام جنود الله الحفاة العراة الجياع يدرك أن اسرائيل لا يمكن أن تحتمل سوى عدة ضربات تحت مطارق الإيمان وأمام سياط جند الرحمن.
وأول ما يمر في ذهن الشاب العربي الذي يصطلي بنار المعركة على ضفاف الهلمند هو : محاولة نقل هذه الصورة المشرقة إلى رحاب الأقصى وفوق ربوع الأرض المباركة.

ذعر اليهود :
ولقد ذعر اليهود وهم يرون صفوة من أبناء الأمة المسلمة والعرب على الأخص يطلقون الدنيا ويحطمون القيود التي تشدهم إلى الأرض ويقطعون الحبال التي توثقهم بها ويطيرون مع أشواقهم المجنحة منتصرين على عناصر الضرورة والحاجة ويتغلبون على ثقلة اللحم والطين نافرين مع أرواحهم المرفرفة فوق ذرى الهندوكوش وعلى شواطئ جيحون.

موقف الإعلام اليهودي الذي يسيطر على الغرب :
ولقد عز على اليهود أن يروا ثمرات هذا الجهاد المبارك توكلا على الله، وثقة بعظمته. ومما أذهلهم أن يروا أن الشباب الذين أغرقوهم بالترف واشغلوهم بمتاع الدنيا الرخيص قد انطلقوا من المستنقع إلى هناك.. إلى ذروة سنام الإسلام يسطرون بدمائهم الزكية أروع قصص البطولة وأسمى آيات التضحية، ويرسمون التاريخ الإسلامي من جديد بالدماء ويعيدون أمجاد السلف بالجماجم والأشلاء.
فانطلق الإعلام الغربي يشوه صورة الجهاد المشرقة الأخاذة، يصور أن الجهاد عبارة عن مجموعات من قطاع الطرق يعيشون على تناول الحشيش والمخدرات، بل يزعمون أن هذا الجهاد المبارك إن هو إلا انتفاضات من القبائل التي تدافع عن مزارع الحشيش التي تصب عليهم ميازيب الذهب والجواهر.
من جهة أخرى فقد صو روا الجهاد الذي يسقط من مجاهديه كل أربع دقائق شهيد وي هاجر كل دقيقة مهاجر من القرى إلى الأدغال والجبال.
أقول : هذا يصور في نظر العالم من خلال الإعلام الغربي اليهودي أنه حرب النجوم والكواكب وأنه صراع بين العملاقين الكبيرين وما الشعب الأفغاني إلا ألعوبة بيد أمريكا تقدمه وقودا في معركة أهوائها ومصالحها وقرابين على مذابح شهواتها.
وأصبحت صواريخ ستنجر هي حديث السامر لكل من أراد أن يتسلى بالتحليلات السياسية الدولية، وأضحى الإنسان لا يطالع خبرا في الصحف الغربية عن الجهاد إلا وصاروخ ستنجر يحوز قصب السبق وينال القسط الوافر من الحديث.
وما علم الناس أن أمريكا تأخذ ثمن كل صاروخ سبعين ألف دولار.
لقد عز على أمريكا أن ترى أن الجهاد الأفغاني أصبح يشغل ذهن كل شاب مسلم وأصبح الجهاد الأفغاني رمز العزة في نظر كل شاب مسلم، وأصبح المثل الرائع الذي يحاول الشباب تقليده أولئك الأبطال الذين يهزون الأرض تحت أقدام روسيا، فأصبح القادة والأبطال مادة الأناشيد، وحديث الشعراء، وأحرف الأدباء، وعادت الأسر تنتظر صدور المجلات الجهادية بفارغ الصبر، وكم من شاب أرسل إلينا يقول : إننا نقرؤها حرفا حرفا .
أصبحت أسماء يونس وحكمت يار وسي اف ورباني وأحمد شاه مسعود وجلال الدين وصفي الله وغيرهم أناشيد عذبة وألحانا جميلة تواكب مسيرة الجيل السائر إلى الله وتسدد جادة الصحوة الإسلامية الراجعة إلى الرحمن.

التكالب الغربي والشرقي على إيقاف الزحف :
ولذا ومنذ أن عاد نيكسون وكارتر من أرض المهجر والجهاد وأعلن نيكسون (أن المشكلة الكبرى هي الإسلام ولابد من أن نتفق مع روسيا لإيقاف الزحف الإسلامي) منذ ذلك الوقت وأمريكا مع روسيا تبحثان عن مخرج من الورطة التي قد تودي بمصالحهم جميعا فيما لو قدر الله للإسلام أن يقف شامخا فوق أرض أفغانستان.
وليس عجيبا أن يعقد المؤتمر بين ريغان وغورباتشوف في غرفة مغلقة وفي جلسة جد سرية لا يحضرها إلا المترجم الخاص لكل منهما ثم يتفق الطرفان على إرجاع الملك ظاهر شاه (الرجل الميت الذي يرتدي ثياب

الأحياء) والذي غرس الشيوعية أصلا في أرض الغزنوي وذلك لتجميع العلمانيين تحت مظلته ولتتفادى قدوم الغول المفزع الذي تكالبت على تحطيمه مخططات ثلاثة قرون وهو الصرح الشامخ الذي يمثل الخلافة الرائدة.

ثمار المدرسة الدانية :
وإنك لتستشعر العظمة الإيمانية والعزة الإسلامية وأنت تسمع تصريحات قادة الجهاد. إذ يصرح يونس خالص، ويقول : ما قابلت ريغان إلا لأعرض عليه الإسلام، وكذلك موقف حكمت يار وهو يرفض مقابلة ريغان.
وإن الأمل العريض لينبعث في أعماقنا أن هذا الدين سينتصر إن شاء الله من خلال الشباب المتحفز للجهاد المقبل على الله وتلي الثمار الدانية الجنية لهذه المدرسة الإيمانية هذه الثمار تراها من خلال حلي النساء التي تعبر عن سخاء النفوس ورخص الدنيا ازاء نصرة هذا الدين وكم من رسالة لبنت جامعية تحيي موات النفوس، ترى الحصاد يطيب من خلال الجموع التي تطلق الدنيا، تاركة وظائفها، هاجرة نعيمها وجامعاتها وشركاتها، مصطحبة أزواجها إلى أرض الجهاد يعبر بلسان هذه الجموع ذلك الشاب الذي يعيش في السعودية وهو يتحرق للمجيء إلى الجهاد فقلت له : ستخرج تأشيرة خروج وعودة؟ فقال : (سآخذ تأشيرة خروج بلا عودة) ثم فسر ها قائلا تأشيرة خروج من الدنيا..
ترى هذا الأمل : من خلال دعاء القنوت الذي تدوي به أركان المساجد في العالم الإسلامي تضرعا إلى الله أن ينصر المجاهدين في خوست (أفغانستان) وفي فلسطين.
ترى هذا الأمل : من خلال الأشرطة الجهادية التي يتلقفها الشباب في كل مكان.
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

---

(1) من محاضرة لكامل الدقس.

إن الحكم إلا لله *
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الأربعون- رجب 1408هـ، الموافق مارس 1988م].
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد..
يكاد يدرك كل من له طرف المام بهذا الدين، أن الدين قاعدته الكبرى ومحوره الأصيل هو لا إله إلا الله محمد رسول الله والحكم بما أنزل الله جزء لا يتجزأ عن هذا الدين فلو مثلنا هذا الدين بقطعة نقود فإن وجهها الأول مكتوب عليه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) والوجه الثاني مسطر عليه
إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم
(يوسف الآية 40)
و ؛إلا« في الآية الكريمة وردت بعد النفي ؛إن« فإلا هنا للحصر والقصر أي أن الحكم محصور ومقصور بين يدي الله، والحكم بما أنزل الله هو العبودية الحقة، وهو الدين القيم، وأن تنحية الحكم الشرعي عن الحياة يعني تنحية العبودية لله، وانهاء الدين الصحيح وإن أقيمت الشعائر وبنيت المنائر والمنابر. وكل كتب الأصول تفتتح باب الحكم والحاكم : بأن الحاكم هو الله وحده، والرسول -صلى الله عليه وسلم-إنما يحكم بما أنزل الله إليه سواء كان وحيا متلوا (القرآن الكريم) أو وحيا غير متلو وهو (الس نة الشريفة).
والخليفة في الشريعة الإسلامية : مفوض من قبل الأمة التي تختاره بتنفيذ الشريعة الإلهية، لا وضع شريعة من عنده تصطدم مع هذه الشريعة.
والعلماء وأهل الحل والعقد : هم مجتهدون بالنظر في النصوص الإلهية لمحاولة معرفة الحكم الرباني في المشاكل التي تواجه المسلمين في حياتهم اليومية.
والحكم من الله (الح ك م) وهو اسم من اسمائه وصفة من صفاته فمن ادعى الحق بالتشريع بما يريد إنما يد عي الألوهية عملا ويزاولها سلوكا وإن كان لا ينطق بها لفظا وسواء كان هذا المدعي هو : طبقة من الشعب، أو الشعب كله أو حزب أو منظمة عالمية أو محلية، أو هيئة، أو فرد فالنتيجة واحدة وهي : انتزاع حق الله في التشريع للناس، وهذا شرك يخرج أصحابه من دين الله.
أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله

(الشورى الآية 21).
وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن اطعتموهم إنكم لمشركون
(الأنعام الآية 121)
فطاعة التشريع البشري الوضعي (القوانين الوضعية) مع الرضا القلبي شرك يخرج صاحبه من الملة.
والحكم الإسلامي الذي يمثله شخص الخليفة لينفذ دين الله بقى شبحا رهيبا يقض مضاجع الغرب ويؤرق أجفانهم، وبقيت الإطاحة بهذا الصرح الشامخ شغل أوربا الشاغل ثلاثة قرون واعملوا فيه معاولهم حتى أجهزوا عليه في 1924/3/3 على يد الطاغية (مصطفى كمال أتاتورك) بعد معاهدة لوزان التي امتدت من نوفمبر 1922 إلى فبراير 1923بين عصمت انينو نائب أتاتورك وبين كرزون وزير الخارجية البريطاني واتفقوا على أربعة شروط :
1-أن يطاح بصرح الخلافة.
2-سحق أية محاولة لإعادة الخلافة.
3-محاربة الشعائر الإسلامية.
4-اتخاذ قوانين غربية وضعية بدل الشريعة الإسلامية.
-وبعد الإطاحة بالخلافة اتفق العالم كله على :
1-اجتثاث أي تجمع يدعو للحكم بالإسلام من الجذور.
2-سحق طلائع البعث الإسلامي أينما وجدت.
3-تمييع عبادة الجهاد ومصطلحاتها وشن حملة رهيبة على هذه العبادة باعتبارها وحشية همجية لا تصلح إلا لشرائع الغاب.
4-اغراق الجيل في مستنقع جنسي آسن يتحول المجتمع فيه إلى مجموعات من الحيوانات الشبقة لا هم لها سوى ارواء النزوات واشباع الشهوات.
5-تصفية الأجهزة من ذوي الالتزام الإسلامي المتميز وخاصة أجهزة الأمن والجيوش والإعلام والخارجية والجامعات.
وهنا نجد التفسير الواضح لعمليات القمع والإبادة والسحق لحركات البعث الإسلامي في بقاع الأرض الإسلامية كلها.
ولم يسبق لديك لغز محير في فهم أسرار الحرب الشعواء التي تشنها أجهزة الأمن والإعلام على كل من فكر بالجهاد أو خاض غماره.
وقضية تنحية دين الله عن الحياة واحلال شرائع وضعية مكانها خطوة هائلة وقد كانت قاصمة الظهر لدى الأمة المسلمة في مشارق الأرض ومغاربها ولم تصب البشرية نكبة أعظم منها.
ولم تصب الأمة الإسلامية بهذه الداهية خلال حقباتها التاريخية بهذا الحادث الجلل والرزء العرام إلا يوم أن سقطت دار الخلافة -بغداد-بيد التتار سنة 656 هـثم أراد هولاكو تطبيق شريعة جنكيزخان (الياسا أو الياسق : السياسات الملكية) على الأمة الإسلامية فوقف العلماء موقفا واضحا وبإرادة حازمة حاسمة أمامها فأفتوا بكفر من يحكم ومن يتحاكم إلى الياسق.
وقال ابن كثير : (1)
(فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة فقد كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه، لا شك أن هذا يكفر بإجماع المسلمين).
وعندها وقفت الجماهير المسلمة كلها ضد التحاكم إلى الياسا، واضطر قازان التتاري أن يفتتح نوعين من المحاكم إحداهما : محكمة الياسا، والثانية محكمة القرآن والسنة.
والآن : والجهاد الأفغاني الإسلامي على أبواب قطف ثمرته، والروس يلمون أذيالهم لينسحبوا خزيا نادمين بعد أن شهدت ذرى الجبال والسفوح والوهاد وشعاب الطرق هزائم ساحقة للجنود الحمر، وشمخت الهندوكوش بقممها تناطح عنان السماء عزة وافتخارا وشكرا لرب العزة الذي نصر عبده وأيد جنده وهزم الأحزاب وحده.
أقول : الآن جاء دور التكالب العالمي حتى لا ترى هذه البقاع راية لا إله إلا الله الحقة ترفرف فوق أرض الدماء والشهداء فبعد أن فشل الغربيون في زعزعة الثقة بالله التي بناها الجهاد المشرف العزيز في أعماقهم.

ويئسوا من أن يزلزلوا عقيدة التوكل على الله التي رباها في قلوبهم كفاح مرير بين جند الإيمان وجيوش الشيطان، لقد استيأسوا من أن ينالوا من هذا الجهاد رغم الإعلام الذي يظهر قضية الجهاد على أنها صراع المطامع ومقايضات المصالح التي يتلاعب بها العملاقان من خلال حرب النجوم، والذي لايني يردد صباح مساء ذكر صاروخ ستنجر الأمريكي، وابراز المجاهدين بأنهم عبارة عن مجموعات من أبناء القبائل التي هبت للدفاع عن مزارع الحشيش وليس للدين في هذه الساحة ناقة ولا جمل، ولا يخجل التلفاز الأمريكي عن عرض مجموعة من المجاهدين يتعاطون الحشيش ثم يهجمون على قواعد الروس.

شهادة التاريخ :

ولقد انتهت الحروب الأفغانية الإنجليزية الثلاث بمجيء رجل لم يرق نقطة واحدة من عرق جبينه في الجهاد.
فجهاد سنة 1842 الذي أباد الجيش الإنجليزي بكامله بين كابل وجلال آباد انتهى بتنصيب أسير في يد الإنجليز في الهند اسمه (دوست محمد خان) على عرش كابل واشترطوا عليه قتل ابنه (وزير أكبر خان) المجاهد الذي قتل بيده داكنتون الضابط الإنجليزي أثناء المفاوضات.
وانتهى جهاد سنة 1880 بإحضار أمير شريد لاجئ في بخارى وسلموه شعب أفغانستان وركزوا عرشه على صدورهم وأنفاسهم.
وانتهى جهاد سنة 1919 باظهار (أمان الله خان) الذي صادق لينين وستالين ونادى بنبذ الحجاب واظهار السفور ومطاردة الشريعة ومحاصرة العلماء وكبت أنفاسهم وهو أول أفغاني تظهر امرأته سافرة كاسية عارية متبرجة.
والآن هنالك التكالب العالمي واجماعه على أن لا تقوم دولة الإسلام بعد هذا الجهاد الإسلامي العريق.
وهنالك ألب قوى الكفر على حرمان قادة الجهاد من ثمار جهادهم ومنعهم من حصاد جني دماء مليون ونصف مليون شهيد وحجتهم أن هؤلاء القادة أصوليون.

ظاهر شاه :

وهنالك الإجماع على إرجاع ظاهر شاه وذلك لتجميع العلمانيين تحت لوائه وكنفيه مع أن ظاهر شاه صحيا لا يستطيع أن يزاول حكما ولا يدير بلدية فضلا عن أن يدير مملكة.
وظاهر شاه هو الذي غرس الشيوعية في أفغانستان، وظاهر شاه هو الذي كان في مجلس شوراه 36 شخصا من الحزب الشيوعي، وظاهر شاه هو الذي أجاز لتراقي أن يخرج جريدة خلق ولبابرك كارمل أن يصدر جريدة (برشم).
وظاهر شاه هو الذي سير جيشا يقوده خان محمد لمهاجمة قندهار لأن نساءها رفضن كشف النقاب وسقط قرابة ألف شهيد في المعركة، وظاهر شاه هو الذي حمل خمار امرأة مسلمة ووضعه تحت قدمه وقال : انتهى عهد الظلام إلى الأبد.
وظاهر شاه هو الذي سن السنة السيئة في أفغانستان بأن تبدأ الحفلات الرسمية بأن يرقص الملك مع زوجة أقدم السفراء ثم يرقص السفراء مع نساء بعضهم البعض، وظاهر شاه هو الذي نصب نفسه مشرعا يحل الحرام ويحرم الحلال (وقد انعقد الاجماع على أن من أحل الحرام فقد كفر ومن حرم الحلال فقد كفر، ويقول ابن تيمية : من أحل النظر فقد كفر بالإجماع ومن حرم الخبز فقد كفر بالإجماع) (2).
فهل يفتي عالم من علماء الإسلام أن الذي يفعل هذا يبقى في حظيرة الإسلام لحظة؟ إن هذا وأمثاله قد خلعوا ربقة الإسلام من أعناقهم.
ثم بعد هذا الجهاد المشرف والمجد الأمثل والعز الأصيل-الذي قدم له من التضحيات ما ناءت به كواهل الشعب الأفغاني -أقول : أبعد هذا نعود إلى النقطة التي بدأنا منها؟
أبعد أن جرت الدماء أنهارا ودموع الأرامل واليتامى والثكالى جداول يحرم الشعب المسلم من التفيؤ في ظلال هذا الدين؟
كل هذا الجهاد الذي خلف وراءه قرابة مليون يتيم مع ثلاثمائة ألف أرملة وقرابة مليوني جريح ومعوق ومشوه، أبعد هذا نرجع إلى الطاغوت ظاهر شاه؟
وهل استشهد د.عمر وحبيب الرحمن ونصرت يار وعطيش من أجل ارجاع ظاهر شاه وأشباهه إلى الحكم.

إن دموع أم البحري (سعد الرشود) وعبد الوهاب الغامدي وأبي عثمان وماهر شلبك وسبع الليل وأبي حفص وأبي دجانة والديلمي لم تجف بعد.
هل أقبل العرب على هذا الجهاد ليعيدوا تنصيب الملك المخلوع على جماجمهم وأشلائهم أم من أجل نصرة الإسلام وإقامة حكم الله في الأرض؟
لقد نص دستور الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان إن الهدف من هذا الاتحاد إقامة حكم الله في الأرض المنبثق من قوله تعالى : إن الحكم إلا لله».
وإن اشتراك أية جهة في حرمان الشعب الأفغاني المسلم من رؤية إسلامه متمثلا في نظام الحياة جريمة تاريخية وخيانة كبرى لله ولرسوله وللمؤمنين ومعرة ووصمة عار لن تمسح من جبين مرتكبيها على توالي الأيام وتعاقب الأزمان.
وختاما نقول : إن الجهاد مستمر -إن شاء الله-حتى ترتفع راية لا إله إلا الله خفاقة في أفغانستان
ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم
(الروم الآيتان 4-5).
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

(**1**) البداية والنهاية لابن كثير (118/13).
(**2**) منار السبيل / باب حكم المرتد/ ص 405 بتصرف.

القاعدة الصلبة*

[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الحادي والأربعون- شعبان 1408هـ، الموافق ابريل 1988م].
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد..
فكل مبدأ من المبادئ لابد له من طليعة تحمله، وتتحمل وهي تشق طريقها إلى المجتمع تكاليف غالية وتضحيات باهظة، وما من عقيدة من العقائد أرضية كانت أو سماوية إلا واحتاجت إلى هذه الطليعة التي تبذل في سبيل نصرة عقيدتها كل ما تملك، وتتحمل لأواء الطريق الصعب الطويل حتى تصل إلى اقرارها في واقع الحياة إذا كتب الله لها التمكين والظهور، وهذه الطليعة تمثل، القاعدة الصلبة للمجتمع المأمول.
ومالم تجد العقيدة -ولو كانت من عند رب العالمين-هذه الطلعية المضحية التي تبذل كل ما تملك من أجل اظهار عقيدتها فإن العقيدة ستولد ميتة وتوأد قبل أن ترى النور والحياة.
وشعار حامل العقيدة من أبناء هذه الطليعة لابد أن يكون :
قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ان ولي ي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين
(الأعراف الآيتان 195-196).
ما كنت أدرك أبعاد التركيز على طول فترة التربية المكية كما أدركها الآن واضحة جلية لا لبس فيها ولا غبش بعد أن خضت غمار الجهاد الأفغاني وللعام السابع والحمد لله، ولقد سبرت أعماق المسألة فوجدت التربية العقدية الطويلة : هي أساس المجتمع الإسلامي وعموده، وبدونها لا يمكن أن يقوم المجتمع الرباني وإن قام فإنه سيكون هيكلا هشا سرعان ما ينهار لهبة ريح أو مرور عاصفة.
وخرجت بقاعدة أساسية لبنـاء المجتمع الإسلامـي وهي :
إنه لا يمكن للمجتمع الإسلامي أن يقوم بدون حركة إسلامية تشب على نار المحنة وينضج أفرادها على حرارة الابتلاء، وهذه الحركة تمثل الصاعق الذي يفجر طاقات الأمة، ويقوم جهاد طويل تمثل فيه الحركة الإسلامية دور القيادة والريادة والإمامة والإرشاد، ومن خلال الجهاد الطويل تتميز مقادير الناس وتبرز طاقاتهم وتتحدد مقاماتهم، وتتقدم قادتهم لتوجه المسيرة وتمسك بالزمام، وهؤلاء بعد طول المعاناة يمكن الله لهم في الأرض ويجعلهم ستارا لقدره وأداة لنصرة دينه. وإن حمل السلاح قبل التربية الطويلة للعصبة المؤمنة يعتبر أمرا خطيرا لأن حملة السلاح سيتحولون إلى عصابات تهدد أمن الناس وتقض عليهم مضاجعهم.

الخطوط الرئيسية لتربية العصبة المؤمنة والطليعة الرائدة :

1-لابد أن تشب في أتون المحن وأمواج البلاء.

2-أن تكون القيادة المربية تشاركها مسيرة الابتلاء والعرق والدماء، فلابد أن تكون القيادة هي المحضن الدافئ الذي تنمو تحت أجنحته هذه الأفراخ ولابد من طول مدة الحضانة والتربية.
3-ولابد لهذه الطليعة أن تترفع عن متاع الدنيا الرخيص ويكون لها طابع متفرد من حيث الزهد والتقشف.
4-وكذلك يجب أن تكون ممتلئة باليقين الراسخ بالعقيدة مع الأمل العريض الذي يملأ جوانحها بانتصارها.
5-ولابد من الإصرار والعزيمة على مواصلة السير مهما طال الأمد.
6-وزاد الطريق من أهم ضرورات المسيرة وهو النوافل والصبر والصلاة.
7-الولاء والبراء.
8-لابد أن تدرك المخططات العالمية ضد الإسلام.

وهناك أسباب رئيسية لهذه التربية الطويلة :
10-لأن طول التضحية وفداحة التكاليف مع طول الزمن يؤدي إلى الملل واليأس إلا إذا كانت هذه التربية العميقة هي صمام الأمن لهذه المسيرة.
2-لأن الاغراءات والمساومات على الطريق مستمرة ولكنها كلما اقتربت من النصر تزداد العروض ومحاولات الاحتواء فلا بد أن تكون القيادة عناصر غير قابلة للذوبان.
3-لأن هذه القيادة إذا مكن الله لها في الأرض هي التي ستوضع بين أيديها الكنوز وهي التي ستشرف على حماية أموال الشعب المسلم وأعراضه ودمائه.
فما لم تكن أمينة فويل للأمة من قيادتها.

التربية النبوية للجيل الأول :
ولقد كانت العناصر الثمانية الآنفة الذكر بارزة من خلال التربية النبوية للجيل الأول ولذا فعندما ارتدت الجزيرة بأسرها قامت القاعدة الصلبة وارجعتها إلى الإسلام.
(1) أما عنصر المحنة الذي لا ينفك عن أية دعوة
ولقد أرسلنا رسلا من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين
(الأنعام الآية :34) .
وقوله عز وجل ولا مبدل لكلمات الله ; أي أنها سنة ماضية من نواميس الله التي لاتتخلف في الحياة.
وقد سئل الشافعي رحمه الله : (أيهما أفضل : ي م ك ن للرجل أم ي بتلى؟ قال : لن يمكن له حتى يبتلى)(1)
وحديث خباب بن الأرت في البخاري وغيره :
(أتيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-وهو يتوسد بردة في ظلال الكعبة فقلت يارسول الله ألا تدعو لنا، ألا تستنصر لنا فقعد وهو محمر وجهه فقال : كان الرجل قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنين ما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظم وعصب ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون") (2)
والمحنة تصقل الأرواح وتصفي النفوس وتطهر القلوب من أدرانها وأوضارها وهذا الذي بينه الحديث الصحيح :
(إنما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوعك أو الحمى كمثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها)(3).
والمحنة كلما اشتدت كلما اقترب النصر (واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا)(4)
وإن طول معاناة الشعب الأفغاني عبر الجهاد الطويل قد صقل عناصره، وأنضج جنوده، وزاد في صلابة قادته.
وفي الصحيح (5)
(أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلي على قدر دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة).

(**2**) أما مشاركة القائد للجند في المسيرة ومعاناته كما يعانون فهذا يزيد في محبة القائد في قلوب الجند ولذا ترى الرسول -صلى الله عليه وسلم-ينتقل مع أصحابه من دار الأرقم إلى حصار الشعب ثلاث سنوات بالجوع، إلى الطائف ثم إلى المدينة المنورة فبدر وأحد والخندق.. إلى أن مك ن الله له وللعصبة المؤمنة في الأرض.
ولذا فإننا نجد أن المجاهدين الأفغان يفدون قائدهم الذي يعيش بينهم بالنفس والنفيس.
(**3**) أما الزهد في الدنيا : فهو ناشيء عن وضع الدنيا في نصابها الحقيقي : وضآلتها بجانب الآخرة
(ما الدنيا في الآخرة إلا كما يمشي أحدكم إلى اليم فأدخل اصبعه فيه فما خرج فيه فهو الدنيا)
حديث صحيح(6)
(لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء)(7).
وحقارة الدنيا ينشأ عنها الزهد :
(ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس)
صحيح(8)
والزهد في الدنيا ينشأ عنه الاستغناء عن الناس والعزة والاستعلاء.
ففي الصحيح(9)
(واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعز ه استغناؤه عن الناس).
وقد كان -صلى الله عليه وسلم-يوصي كثيرا بالاستغناء عن الناس، ففي الصحيح (10) (استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك) أي لو أكلتم فتات السواك فلا تسألوا الناس.
ولذا فقد أخذ -صلى الله عليه وسلم-العهد على بعض الصحابة أن لا يسألوا الناس شيئا فكان أحدهم يسقط سوطه وهو على جواده فلا يطلب من الناس أن يناولوه إياه (11)
والزهد هو القاعدة الأساسية للجهاد، والترف أعظم واهية تحل بالأمم وتفسد أبناءها وتنخر في كيانها، والتخفف من الدنيا وقلة ذات اليد من الحوافز الأساسية للجهاد ولذا فإنا نجد أن أتباع الأنبياء معظمهم من الفقراء.
وما أذل أعناق الرجال مثل الكماليات والتوسع في الدنيا ولذا يبقى المرء خائفا على راتبه ووظيفته ومتاعه، وكلما ازداد راتب الموظف ازداد تكالبه على الوظيفة وخوفه من أهل الدنيا.
ولذا رأينا أن الزهد كان طابعا مقصودا للنبي -صلى الله عليه وسلم-ولصحبه الكرام رضي الله عنهم رغم أن الدنيا بين أيديهم
(ماشبع آل محمد من خبز الشعير يومين)
صحيح (12)
(**4**) زاد الطريق فهو : القرآن ، والذكر ، وقيام الليل ، وصدقة السر ، وصوم النافلة ، وصحبة الصالحين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد وهو قمة هذا الزاد وذروته.
ولابد من النوافل حتى تقوى أواصر الصلة بين العبد وربه، والنوافل هي أساس التوفيق والفتور في العبادة علامة الخذلان،
(وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه...)(**13**)
والنوافل زاد الجهاد وروحه وحياته.
(**5**) الولاء والبراء : ومن أهم الأركان الأساسية في حياة الأمم وجود النماذج التي لا تباع ولا تشترى، وقد فخر "غاندي الهندوسي" وهو يقدم "نهرو" للشعب الهندي قائلا (أقدم لكم رجلا لا ي شترى).
وكم من رجل باع وطنه ودينه وشعبه من أجل متاع رخيص : كما فعل مصطفى كمال أتاتورك الذي اتفق مع الإنجليز وسمح لهم بضرب الجيوش التركية الأربعة في فلسطين، وأسقط الخلافة وحارب الإسلام من أجل كرسي أو رئاسة.
وكم من الكماليين في أمتنا باعوها بلقمة غذاء أو كلمة ثناء أو كأس أو غانية.
وانطماس مفهوم الولاء والبراء في أذهان الكثيرين أودى بهم وبمن معهم في جحيم الهاوية.

ففي أفغانستان مثلا : تجد بعض المسلمين قد التفوا في بداية الجهاد حول الشخصيات البارزة الذين كانوا أيام الملك في مجلس الأمة ممن يسمون (أرباب ووكيل) وتجد هؤلاء في لحظة من لحظات الضعف يعلنون أن حكومة كابل مسلمة وينضمون بمن معهم للحكومة ويتركون الجهاد.

أهمية القاعدة الصلبة في الجهاد الأفغاني :
وقد أدركنا الآن أهمية هذه القاعدة التي تربت على الإسلام منذ نعومة أظفارها في الدعوة الإسلامية،
تلفتنا حولنا ونحن نرى تنكر العالم كله لهذا الجهاد، والمؤامرات العالمية التي تريد قطف ثماره واطفاء أنواره، ونرى كذلك التكالب العالمي لتحجيم هذا الجهاد ولتنحية قياداته الحقيقية عن مواصلة الأخذ بزمام هذا الشعب المسلم.
تلفتنا فما وجدنا إلا أبناء الدعوة وأبناء القاعدة الصلبة الذين وقفوا في وجه العالم كله قائلين : لا ، نحن هنا.
وعندما كشر أعداء الله عن أنيابهم وتراجع الأصدقاء عن مساندتهم أو وقفوا موقف المتفرج هنا نهض قادة الجهاد الأفذاذ سي اف وحكمت يار ورباني وخالص وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل.
انتفض هؤلاء الأربعة : يميطون اللثام عن مؤامرة اللئام وقالوا : إن ربنا أقوى من كل قوى الأرض :
وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا
(فاطر -الآية 44).
رأينا في كل تجارب الشعوب الإسلامية : أن ثمرات الجهاد غالبا يقطفها صنائع الغرب وربائب أمريكا والعلمانيون في أفغانستان سابقا وفي الجزائر وتونس ومصر.
والآن تحاول أمريكا أن تختلس ثمرات هذا الجهاد العظيم وتحول دون تحكيم كتاب الله، وواجهت القاعدة الصلبة : ضغوطا دولية واغراءات عالمية ولكنهم أبوا أن يحنوا رؤوسهم للعاصفة وقرروا مواصلة المسيرة المضنية على طريق العرق والدموع والدماء.

واجب العالم الإسلامي :
وأما أبناء العالم الإسلامي ففرض عليهم أن يقفوا الوقفة الصلبة بجانب هذه القاعدة الصلبة، بالمال والنفوس
والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير (الأنفال الآية 73) .
والقرار الأخير : مواصلة الجهاد مهما طال الطريق حتى آخر نفس يجري وآخر عرق ينبض أو نرى دولة الإسلام قائمة.
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

(**1**) زاد المعاد / ج2/ ص -45.
(**2**) رواه البخاري 126/7 وهو عند النسائي وأبي داوود.
(**3**) أخرجه الحاكم (1 -248) وقال عنه صحيح الإسناد والبزار في مسنده (756). وابن أبي الدنيا (68 -1)، وابن عساكر (9-427-2). وهو في السلسلة الصحيحة برقم (1714).
(**4**) رواه الترمذي من حديث ابن عباس بلفظ (يا غلام إني أعلمك كلمات...) وليس فيه هذه الزيادة، وهي في مسند الإمام أحمد برقم (2804).
(**5**) الترمذي (2 -64) وابن ماجه(4023) والدارمي (2 -320)، والطحاوي (3 -61) وابن حبان (699) والحاكم (1 -40 -41) وعند أحمد (1 -172)، وهو في السلسلة الصحيحة برقم (143).
(**6**) الحديث عن المستورد الفهري. شرح النووي /ح7/ ص -92 بلفظ قريب.
(**7**) رواه الترمذي في الزهد برقم (2320).
(**8**) رواه ابن ماجه في الزهد برقم (4120)، وأخرجه الطبراني والحاكم.
(**9**) رواه الحاكم في المستدرك والبيهقي عن سهل بن سعد وهو في صحيح الجامع برقم (73).
(**10**) رواه الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان وهو في صحيح الجامع برقم (948)، وفي السلسلة الصحيحة برقم (1450).
(**11**) إشارة إلى حديث طويل عن عون بن مالك .
شرح النووي /ج7/ كتاب الزكاة / ص 32

(21) الحديث في الصحيحين.
فتح الباري / ج11/ باب (17) برقم (6454) بلفظ قريب.
شرح النووي /ج12/ ص 106، بلفظ (ما شبع آل محمد -صلى الله عليه وسلم-من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله -صلى الله عليه وسلم-).
(31) الحديث عن أبي هريرة.
فتح الباري /ج11/ باب (38) برقم (6502).

حلوى رمضان أم طبق فلسطين وأفغانستان*

[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الثاني والأربعون- رمضان 1408هـ، مايو 1988م].
الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
أما بعد :
فقد روى أبو هريرة عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:
(إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل، ويا بغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة) (1)
وفي الصحيحين: (2)
(من قام رمضان وصامه إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) .
فنحن في هذه الأيام نتفيأ ظلال هذا الشهر الكريم الذي جعله الله -عزوجل مطهرة السنة كلها من أوضار النفس وذنوبها وأدرانها وعيوبها، شهر يتسابق فيه المتسابقون على الخيرات، وهو كذلك شهر الجهاد، ترفرف مع ذكرياته أطياف بدر والفتح وتتزاحم في الذهن صور عين جالوت وغيرها التي وقعت في أيامه المباركة.
وبين الصيام والجهاد علائق وصلات، فرمضان شهر الصبر والجهاد، عبادة الصبر
(يا أيها الذين آمنو اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)
(آل عمران: 200)
وخلوف فم الصائم أصيب عند الله من رائحة المسك، ودم الشهيد أطيب يوم القيامة من ريح المسك.
ورمضان شهر البذل، وفي الجهاد بذل الروح والدم والمال والنفس، ورمضان شهر الذكر والقرآن وأرض الرباط والجهاد أرض الذكر والقران والصيام دليل الإخلاص والتجرد، والجهاد سبيل الصفاء والنقاء، والصدق.

مآدب رمضان:
أقبل رمضان بمآدبه الفاخرة التي تتباهى بما يزخر فوقها من ألوان الطعام، وتتنافس بما تزدان به أطرافها من شتى ألوان الحلوى التي لا تكاد اليد تتناول من كل طبق لقمة ولا يستطيع الفم أن يتناول من كؤوسها - ولكثرتهالرشفة.
أقابل بين هذا وبين تلك الأسود الرابضة على تلل الجبال، وذرى التلال قلب هذه الأمة النابض، وشريان حياتها، ولحنها العذب الذي سارت به الركبان وهم يرددون:
حق الجهاد فليس عنه خيار وغدت مراجل مالهن قرار
خيل المنايا أسرجت فتأهبي حطين إن رحاك سوف تدار
هؤلاء درع الأمة الحصين، لا يجدون في سحورهم سوى الشاي المر والخبز الجاف وكذلك الافطار غالبا لا يختلف عن السحور ولا يكاد متسحر يأمل أن يفطر في غروب اليوم التالي لأنه يعيش بين فكي الموت.
ويد المنون رحى تدور كأنما سكرت بشلال الدماء فلا تعي
وهناك في فلسطين فوق النار وفي أرض بيتا تصطرع الضراغم مع الرشاش والرصاص في غزة والخليل.
أشباح جن تلك أم هي نقمة نزلت لسحق الغاصب المتمنع
هؤلاء وهؤلاء فوق ذرى الهندوكوش وفي رحاب الأقصى، في فلسطين وأفغانستان يحركون أهم القضايا التي تستحوذ على اهتمام المسلمين وتسترعي انتباههم وتشد أنظارهم وتلتقط أنفاسهم، بفضل الله ومشيئته.

وهم بحاجة إلى رمضان المسلمين لتعد فيه البرامج التي تعدهم طيلة عامهم، إن أصحاب المآدب والموائد في هذا الشهر الكريم بحاجة إلى:

ـأن يفترضوا أنه نزل بساحتهم ضيف من مجاهدي كابل في رمضان فأعدوا له طبقا من الرز وصحنا من الحلوى.

ـوأن يتذكروا هذه الجموع الغفيرة من الأيتام التي يصعب على مخيلتي أن تنساها وهي تحمل الأواني -قرب أماكن القمامة -تنتظر الناس أن يفرغوا بهذه الأواني بعض فتاتهم وبقايا طعامهم وكلما أقبل إنسان ببقية طعامه انقضوا عليه يرجونه والدموع تغمر وجوههم أن يسقط فتات الخبز في صحونهم بدل إلقائها في القمامة.

- أن يخصصوا مالايقل عن نصف زكاة أموالهم لهؤلاء الجياع الذين يحمون الأمة الإسلامية بجماجمهم ويخطون تاريخها بنجيعهم، وقد أفتى بوجوب الزكاة إلى المجاهدين جمهرة علماء الأمة وصفوتها وعلى رأسهم فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن باز بأنها أفضل القربات وأعظم الصدقات.

وقد سئلت أيجوز دفع الزكاة للمجاهدين الأفغان؟ فأجبت بأن الآية الكريمة تقول:

(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل)

(التوبة: الآية60)

فكل من توفرت فيه صفة من هذه الفئات الثمانية استحق الزكاة، ونكاد نقول: إن كل مجاهد أفغاني فقير ومسكين وغارم ومجاهد -في سبيل الله - وابن سبيل فخمس من الصفات الثمانية تتوفر في المجاهد الأفغاني.

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية (لو ضاق المال عن اطعام الجياع والجهاد الذي يتضرر بتركه فقال: قدمنا الجهاد وإن مات الجياع) (3) فالجوع في الأمة الإسلامية منتشر ولكن الجهاد مع الجوع قليل فيجب الاهتمام به والتركيز عليه.

- أن تجمع صدقات الفطر ثم ترسل أموالا ليشترى بها الرز أو الطحين للمجاهدين.

- أن يتبرع المسلم بجزء من ماله زيادة عن الزكاة. قال القرطبي (اتفق العلماء على أنه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنه يجب صرف المال إليها) (4)

- إن يكفل أسرة شهيد ويجهز غازيا .

- الدعاء: وهذا أهمها في الوقت الذي تكالبت فيه قوى الأرض جميعا على هذا الجهاد تريد أن تطفئ نوره وتخمد ناره، في هذا الوقت الذي وقف فيه المجاهدون وحدهم دون أهل الدنيا وكشر العدو عن نابه ونزع المدارون لثامهم، ووجم الأصحاب وجوم أهل القبور وصمت الأحباب صمت الأموات.

اذلال الله لروسيا:

نعم لقد أذل الله روسيا وأعلنت انسحابها مهينة ذليلة ولكنها اشترطت أن لا تمتد يد بالمساعدة إلى هؤلاء الأبطال.

هنا وقد أغلقت أبواب الأرض أو كادت فأبواب السماء مفتوحة تنتظر

(من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له؟)(5)

فلابد من تخصيص المجاهدين في أفغانستان والصامدين في فلسطين بالدعاء وخاصة في أوقات الاستجابة:

- عند الإفطار.

- عند السحر حيث ينزل ربنا -عزوجل- إلى السماء الدنيا.

- في القنوت -سواء في قنوت الوتر أو قنوت الفجر-

-أثناء الصيام في النهار.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك .

---

1 - أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم ورجاله ثقات وله شاهد عند احمد والنسائي يتقوى به.

2 - الحديث ورد بعدة روايات في الصحيحين: فتح الباري / ج 4 / الباب الأول برقم (1901) (2009) (2014)

3 - الفتاوي الكبرى (607/4)

4 - تفسير القرطبي/ ج 2 / ص 242

5 - فتح الباري / ج 2 / ص 242 وعند الترمذي (446) وابن ماجة (1366) وأحمد (2- 264) وأبو داود (1315) .

عيد الإسلام

وعيد المسلمين*

[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الثالث والأربعون- شوال 1408هـ، الموافق يونيو 1988م].

الحمدالله وحده، والصلاة والسلام على من لانبي بعده، وبعد:

فقد مضت ليالي رمضان الجميلة وتشنفت الآذان بسماع القرآن الندي الشجي من أفواه المقرئين واسمعت النفوس بتلك الساعات الثمينة التي يقضونها قائمين يستعذبون بها حلاوة القرآن غضا طريا ، وبدأت منازل القمر تتراجع ونوره يخفت ويخبو، وطفق هذا الضيف الكريم يلم أذياله ويحزم أمتعته ليودع وإلى رحلته السنوية. والكل يرنو إليه ودموع الفراق الحار تترقرق بين موقيه وتتحدر هاطلة على سابليه.

وهناك في قمم الجبال وبين الوهاد والنجاد والأدغال رمضان آخر غير رمضان المسلمين اليوم. هنالك لثبات (فئات) من الضراغم والسرايا من ذوي العمائم ممن يخطون تاريخ هذا الدين بالدماء ويكتبون على صفحات القلوب أروع معاني التضحية والفخار يسطرونها بأحرف من نور ويمسحون عن جبين هذه الأمة وصمات الخزي والعار التي تركتها عليها الخلوف التي أضاعت الصلوات واتبعت الشهوات.

هذه ليالي رمضان يتمنون أن يلتقطوا فيها أنفاسهم ويأووا فيها إلى إمامهم يرتل في لياليه أعذب الألحان ويردد هذا الكلام الرباني الخالد، ولكن هيهات هيهات، إن الأيام عصيبة والساعات حاسمة ولا بد أن يقض وا مضاجع عدو الله وقد بدأ يودع أرض أفغانستان وداعا غير وامق، لابد أن يطاردوا فلوله ويشتتوا جمعه.

فلا ساعة للانتظار ولا وقت للد عة، أيام لها ما بعدها في تاريخ هذه الأمة المسلمة وفي مسيرة هذا الدين.

وجبة واحدة:

نعم إنهم يأكلون كما حدثني أبو حمزة وهو يحد ث اثر عودته من قندهار بعد سلسلة من الانتصارات الباهرة، قائلا : كنا نأكل وجبة واحدة في اليوم ونشرب الطين المائي المنتن الذي نتسابق عليه مع الغنم حتى نبل صدانا ونروي ظمأنا.

كانوا يتنقلون من فتح إلى فتح ومن مركز إلى مركز كأنهم أشباح تنزلت من السماء.

لا أبعد الله عن عيني غطارفة انسا إذا نزلوا جنا إذا ركبوا

ليوث غاب لكن لانيوب لهم إلا الأسنة والهندية القضب

وفي بعض المناطق لم يستطيعوا أن يوفروا الخبز فراحوا يبحثون عن الددم (ثمرة صغيرة برية) يسكتون آلام السغوب التي تأكل أعماقهم وتتلوى منها بطونهم.

آلام وآلام:

مسلمون تتلوى بطونهم تخمة لعسر الهضم ولتلبد أنواع اللحوم والدهون في بطونهم ومسلمون يصابون بالقرحة المعدية لأنهم لا يجدون الخبز ولا الرز ولا زالت صورة الشفاه ماثلة في المخيلة تلك التي تصلبت وأسودت لكثرة أكل العشب وكأنها شفاه الغنم وبدا لون العشب الأخضر بارزا على وجوههم وعلى عروقهم.

وكانوا يأكلون العشب علما بأن سواه لن يجدوا طعاما

وهناك في الربوع المباركة هذي الانتفاضة الجهادية حيث أغلقت الحوانيت وقطع المسلمون جميع الأواصر مع هذه الحياة لاترى في الشارع سوى الذين يهجمون على الموت أمام المدرعات والرشاشات لا يحملون سوى الحجارة.

أصلاح هذا من وراء الغيب جـــــــــاء؟

ليعيد حطين الكرامة والبطولة والــــــفداء

أم من أرى قطز وبيبرس الكتيبة واللـــــواء

في عين جالوت العزيمة والرجولة والدمـــاء

لا يا فتى الشعراء.. لا قطز هناك ولا صلاح

وما تراه اليوم لم يك بالسيوف ولا الرمــــــــــاح

لكنما ثارت محاريب المساجد في فلسطين الذبيحة

فرمت بأفلاذ الكبود الخضر في القدس الجريحة
أبناء عشر بالأيادي اللدن هبوا يزأرون ويـــثأرون
يتمردون على الحديد وينفضون لظى القيـــــــود
وبالحجارة ينهضون . . وبالعصى يتقدمــــــــون .
وتتوالى ملاحم البطولة هنا وهناك، واختفت معالم الترف والتميع وتكاتفت الأيادي، والتقت القلوب والكل يدفع حتى بفلذات كبده يحملهم زجاجة المولوتوف ليرميها على سيارة مدججة بالسلاح ليحرقها ويلقى مصرعه أمامها.
والكل ينتظر الخبز وقد غابت عن الحياة كل وسائل الحياة.
ومضى رمضان وبدأ الناس يستعدون للعيد: واكتظت صالات مكاتب الطيران. ولم تعد تسمع على سماعة الهاتف سوى الحجز والتذاكر وبدأت إجازة العيد وحجزت كل أسرة لكامل أفرادها شقة جميلة على ضفاف التايمز، أو في لوزان أو على شواطئ أو نتاريو أو فلوريدا.
هناك حيث تبدد الأموال، وهنا حيث يخوض الأبطال غمار الأهوال بين الشهب المنقضة من فوقهم ويمشون فوق أرض الزلازل والبراكين المتفجرة بين أيديهم وأرجلهم.

والمسلمون في عيد المسلمين:
مشغولون بفطير العيد وعجين التمر الذي يصنع منه حلوى الفطر، وفي عيد الاسلام: الأيادي مشغولة بمعجون الجلكنيت والسيفور و**T. N. T**تصنع منها عبوات لتقض على أعداء الله منامهم وتدمر فوق رؤوسهم بنيانهم أو تخسف الأرض من تحت أقدامهم.

وفي عيد المسلمين:
كل شاب أو شيخ يلهث وراء اللباس الأنيق الذي سيرتديه في الأيام الأولى من شوال، ولابد أن يكون لون الياقة مناسبا للبذلة والحذاء والجوارب بل لابد أن يتوافق مع لون السيارة، وفراش البيت لابد له من تجديد إذ أن الأثاث القديم لم يعد متناسقا مع لون الستائر والسجاد ودهان العمارة الجديدة لا يتناسب مع هذا كله.

وفي عيد الإسلام الآن:
وعلى الحدود الباكستانية الأفغانية ترى الجموع المكتظة من جند الله -عزوجل- كل يرتب أمتعته ويبحث عن أصحاب الخيول والبغال والعرق يجهده، عن أجرة الأمتعة والأثقال والذخائر التي جمعها في أرض القبائل ويشغل لب ه ويحي ر فكره أجرة هذه البغال التي كادت تفوق تذاكر الطيران، فأجرة البغل قد تصل إلى ثلاثمائة دولار وهذا مبلغ ضخم في حياة المجاهد إذ يكاد خياله يقصر أن يدرك الطريق الذي يمكن أن يوفر به هذا المبلغ.

ثمن خبز الطريق:
وعلم الله أن ثمن الخبز في الطريق أصبح من العقبات الكؤود التي تعترض هذه المسيرة المباركة، وليس في المقاهي على طول الطريق الدامي الشاق المعلق بين السماء والأرض والممتد قرابة شهر ونصف سوى الخبز والشاي ومع هذا فأين ثمن الشاي؟
طريق محفوف بالمخاطر. مفروش بالأشواك. وهو بين سرب طيران يبصره فيلاحق القافلة على طول الجادة اللاحبة يتناولها بصواريخه التي تصل طنا كاملا ، وتزداد الأهوال في مسيرة الصحراء عبر هلمند وقندهار وأورزجان ونيمروز فلا ش عب ولاجبل ولا شجر ولا حجر.

قافلة "م و ح د":
ولقد كانت قافلة الشهيد "م و ح د" (قائد بروان) شاهدا حيا يقرب إلى الأذهان أهوال يوم الحشر الأكبر إذ بقيت الطائرات تتابعه حتى لم ينج من قافلة عدادها مائتا جمل سوى واحد**!**
وهناك مئات الألوف من الأيتام ينتظرون حتى ليلة العيد ويومه من يمسح على رؤوسهم بدل أيدي آبائهم الشهداء الذين قضوا نحبهم وهم يصبغون مجد الأمة بالدماء.

وهناك مئات الألوف من الأرامل تنتظر ليلة العيد صدقة الفطر حيث حدثني أحد الأخوة أننا في العام الماضي كنا ندخل بحفنات الرز (صدقة الفطر) على الخيام فيبكون فرحا ليلة عيد الفطر.
وهناك مئات الألوف من المجاهدين ينتظرون ليلة عيد الفطر الحذاء والكساء والغطاء والدواء وخاصة في هذا الوقت العصيب الذي تنكرت فيه الدنيا بأسرها لهذا الجهاد المبارك وكشرت فيه عن أنيابها. وأجفل الصديق وبان العدو.
وهناك الآلاف المؤلفة التي ترصد لليلة العيد هديتها الثمينة بأن تحيل الدنيا جحيما فوق رؤوس الروس وتحت أقدام الشيوعيين.
فهل ت حو ل أموال عيد المسلمين لتصب في بوتقة عيد الإسلام؟ وهل توفر لعب الغلمان لنصنع بها روائع الزمان التي تتحدث بها الركبان ...
ألا ليت قومي يعلمون**!**

قوائم
محمد بن مسلمة*
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الرابع والأربعون- ذو القعدة 1408هـ، الموافق 1988م].
الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،
وبعد:
فقد روى البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال:
(بعث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رهطا من الأنصار إلى أبي رافع ليقتلوه، فانطلق رجل منهم فدخل حصنهم قال: فدخلت مربط دواب لهم قال: وأغلقوا باب الحصن ثم أنهم فقدوا حمارا لهم فخرجوا يطلبونه فخرجت فيمن خرج أريهم أنني أطلبه معهم فوجدوا الحمار فدخلوا ودخلت واغلقوا باب الحصن ليلا فوضعوا المفاتيح في كوة حيث أراها فلما ناموا أخذت المفاتيح ففتحت باب الحصن ثم دخلت عليه فقلت: يا أبا رافع، فأجابني، فتعمدت الصوت فضربته فصاح فخرجت ثم رجعت كأني مغيث فقلت يا أبا رافع وغيرت صوتي فقال: مالك لأمك الويل قلت: ما شأنك؟ قال: لا أدري من دخل علي فضربني قال: فوضعت سيفي على بطنه ثم تحاملت عليه حتى قرع العظم ثم خرجت وأنا دهش فأتيت سلما لهم لأنزل فيه فوقعت فوثئت رجلي فخرجت إلى أصحابي فقلت: ما أنا ببارح حتى أسمع الناعية فما برحت حتى سمعت نعايا أبي رافع تاجر أهل الحجاز، قال: فقمت وما بي قلبة مد حتى أتينا النبي -صلى الله عليه وسلم- فأخبرناه) (1)
وفي الرواية الأخرى أن الذي دخل عليه هو عبدالله بن عتيك. وكان أبو رافع يعادي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويؤلب عليه الناس.
قال ابن حجر في الفتح(2): وفيه جواز التجسس على المشركين وطلب غرتهم وجواز اغتيال ذوي الأذية البالغة منهم.

مصرع كعب بن الأشرف:
روى الإمام مسلم في صحيحه (3) قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:
(من لكعب بن الأشرف فإنه آذى الله ورسوله؟ فقال محمد بن مسلمة: يا رسول الله أتحب أن أقتله، قال: نعم، قال: ائذن لي فلأقل -أي شيئا عنك- قال: قل، فأتاه، فقال له وذكر ما بينهما وقال: إن هذا الرجل قد أراد صدقة وقد عنانا -أتعبنا- فلما سمعه قال: وأيضا والله لتملن ه- لتسأمنه- قال: إنا قد اتبعناه الآن ونكره أن ندعه حتى ننظر إلى أي شئ يصير أمره قال: وقد أردت أن تسلفني سلفا قال: فما ترهنني؟ قال: ما تريد؟ قال: ترهنني نساءكم قال: أنت أجمل العرب أنرهنك نساءنا؟ قال: ترهنون أولادكم قال: ينسب ابن أحدنا فيقال: رهن في وسقين -كيلين- من تمر ولكن نرهنك اللأمة (يعني السلاح) قال: فنعم وواعده أن يأتيه بالحارث وأبي عبس بن جبر وعباد بن بشر. قال فجاءوا فدعوه ليلا فنزل إليهم قالت امرأته: إني لأسمع صوتا كأنه صوت دم قال: إنما هذا محمد بن مسلمة ورضيعه وأبو نائلة، إن الكريم لو دعي إلى طعنة ليلا لأجاب قال محمد: إني إذا جاء فسوف أمد يدي إلى رأسه فإذا استمكنت منه فدونكم قال: فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا: نجد منك ريح الطيب قال: نعم تحتي فلانة هي أعطر نساء العرب قال: فتأذن لي أن أشم منه قال: نعم فشم فتناول ثم قال: أتأذن لي أن أعود قال: فاستمكن من رأسه ثم قال: دونكم فاقتلوه).

هذان نصان واضحان قاطعان في دلالتهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أزال من طريق الدعوة رأسين من رءوس الكفر بالقوة اغتيالا ، وذلك لأن الصارم لابد من استعماله لإماطة الرؤوس المدبرة والعقول المفكرة التي لا تكف عن نصب الاحابيل ووضع العراقيل أمام هذا الدين وكعب بن الأشرف وأبو رافع من زعماء اليهود ومن أئمة الكفر لديهم، وإذا أضفت إليهما قوله عزوجل:
(واقعدوا لهم كل مرصد)
(التوبة: 5)
قال أبو بكر بن العربي في أحكامه (4) (قال علماؤنا: هذا دليل على جواز اغتيالهم قبل الدعوة -قبل الإنذار-.
وقال عند آية:
(... فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ...)
(البقرة: 194)
قال علماؤنا: هذا دليل على أن لك أن تبيح دم من أباح دمك، وتحل مال من استحل مالك.
وقد أجمع العلماء: على جواز الدفاع المشروع ودفع الصائل على الأعراض والدماء والأموال.
فأما الدفاع عن العرض: فهو فرض (واجب) بإجماع العلماء فمن أراد أن ينتهك العرض فلا بد من دفعه بالزجر ثم باليد ثم بالعصا فإن لم يكن بد من استعمال السلاح فلا بد من استعماله وقتل الصائل ولو كان قائما صائما .
وأما الدفاع عن النفس والمال: فهو واجب عند جمهور العلماء، وأما جوازه فقد انعقد الإجماع عليه ولو كان استعمال هذا الدفاع ضد خيار المسلمين المخبتين الخاشعين.
ولنرجع إلى الحكم الشرعي لاغتيال رؤوس الكفر التي لا تكف لحظة عن التدبير ضد هذا الدين محاولة منهم لاطفاء نور الله بأفواههم، وهذا أمر تقتضيه الضرورة، إذا أن هذا الدين جاء لتخليص البشرية من نير العبودية ولانقاذهم من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ولا يمكن أن تخلص الطريق إلى الله من طواغيت يستعبدون الناس لأنفسهم من دون الله ويقفون أمام هذا النور المبين لتبقى الجماهير تتضور في دياجير الظلام، ليس لهم من هم سوى ارواء الشهوات واشباع النزوات.
وكما قال زويمر -زعيم المبشرين المنصرين-: (لقد أنشأنا جيلا همه الشهوات، ويعيش من أجل الشهوات وفي سبيل الشهوات يجود بأغلى ما يملك)
لابد من إزالة العوائق التي تعترض سبيل هذا الدين القويم، ولابد من تحطيم العقبات التي تحول دون وصول النور إلى الناس وهؤلاء الطواغيت الذين يقول فيهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له)(5)
وإزالة أئمة الكفر وقادة الفتن حق طبيعي، وحكم شرعي رباني، وضرورة منطقية عقلية. ولذلك فعندما قال أحد الجالسين في حضرة معاوية رضي الله عنه وبوجود محمد بن مسلمة -قاتل كعب بن الأشرف- والله ما قتل كعب إلا غدرا فغضب محمد بن مسلمة وقال لمعاوية (6): أيقال هذا في مجلسك وتسكت والله لا أجالسك . . ولئن خلوت به لأقتلنه.
وقد اعتبر محمد بن مسلمة دم هذا المسلم هدرا لأن قوله يشي وينم أن حكم اغتياله لكعب بن الأشرف إنما هو غدر لا يليق بطبيعة هذا الدين. وهذا مساس بمقام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي سن هذه الشرعة وأمر بهذه السنة. وهذا يعني نسبة الغدر إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو أمر لا يختلف عليه اثنان أنه خروج من الملة يوجب القتل ويهدر الدم.

ضابط:
ولا بد من العلم أن هذا الأمر -اغتيال أئمة الكفر- راجع إلى العلماء الذين يقودون مسيرة الجماهير المتجهة إلى الله وليس راجعا لاجتهاد فردي.
بل مصلحة الجماعة التي يقدرها القائد ويحددها العالم المسؤول ببيان حكم الشرع وتوضيح الحكمة من هذا الأمر.

سنة مهملة:

ولقد سبب اهمال هذا الحكم الشرعي -اغتيال قادة الكفر- من الظلم الكبير والشر المستطير للأمة الإسلامية التي عانت الويلات ودفعت الضرائب الفادحة من أعراضها ودمائها وأموالها مالا يعلمه إلا الله.
وكان تطبيق هذه السنة النبوية والشرعة الإلهية: -بين الحين والآخر- من ق بل أفراد يغامرون بأرواحهم ويخاطرون بأنفسهم وأموالهم تخليصا للأمة بكاملها من حياة السوائم إلى حياة الإنسان، وانتشالا لها من مستنقع الطين ووحل الجنس إلى قمة سامقة مضيئة يستروح فيها الناس نسمات الحرية والعزة.

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

فسليمان الحلبي قتل "كليبر" فخلص الناس من جيش عرمرم من الفرنسيين

إن نفســا ترتضي الإسلام دينا ثم ترضى بعده أن تستكينا
أو ترى الإسلام في الأرض مهينا ثم تهوى العيش، نفس لن تكون
في عداد المسلمين العظماء

وشاب متحمس خلص لبنان من غطرسة "المارينز" وجبروت ذوي الوجوه الحمر.

إحياء هذه السنة:
ولقد جاء الشعب المسلم الأفغاني ليحيي هذه السنة بنماذج لسان حال أحدهم يقول:

وإني لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

فقتل زعيم الماليشيا (شير أغا وتوران غلام رسول) وحاجي سلطان محمد في بغلان ودليلي من غزني، واختطاف السناتور عبد الرزاق من قندهار، واختطاف زرغون الضابطة الشريرة على باب كابل ومن مركزها وقتلها، وقتل محافظ هرات ومستشاره بباب وزارة الداخلية في كابل... كانت عملية مذهلة في الجرأة والإقدام والشجاعة والاقتحام.

قتل مولوي جل أحمد بشتون العميل:
في فارياب حيث الثلوج تكسو الأرض ولا تكاد الأصابع تضغط على الزناد لشدة البرد قال القائد علاء الدين: من لهذا الرجل الذي (آتاه الله آياته فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين) يسخ ر دين الله لخدمة الشيوعية ومحاربة المجاهدين، وانطلق ثمانية من بينهم الحاج أحمد العراقي وتسوروا على الرجل جدار بيته بعد أن تخطوا أكثر من خمسين مركزا للشيوعيين حتى وصلوا إلى بيته الواقع في وسط مركز فارياب -ميمنة- عندما دخلوا ساحة داره طلبوا المولوي -العالم- فانتفضت زوجته تدافع عنه، وتقول: أنتم من الأشرار فحاولوا أن يغيروا هويتهم ولكنها قالت: أنا أعرفكم من جماعة علاء الدين. وأقبلت على رشاش أحدهم وأخذت مخزن الذخيرة وشب أولاده وبناته من فراشهم مذعورين وساد الهرج وعلا الصراخ ولم يجد المجاهدون بدا من قتله في أسرع وقت فقتلوا رأس الفتنة "بشتون" وانسحبوا في الوقت الذي تحركت فيه الدبابات والطائرات للقبض على المجاهدين وفتحت الرشاشات من كل مكان، وصوب أحد المجاهدين مدفعه نحو دبابة وأحرقها ونجا المجاهدون وعادوا قبل الفجر وعلاء الدين قائم يصلي ويتضرع لربه أن ينقذ المجاهدين.

خلاصة:
(1) لابد أن يقف المسلمون الموقف الذي تتطلبه عقيدة البراء والولاء، فلا يتزعزع ولا يتأرجح تجاه أعداء الله البارزين، وأقلها مقاطعة البضائع الروسية واليهودية والأمريكية لأن الأمريكان أولياء اليهود وأنصارهم و مؤيدوهم وداعموهم.
(2) أن ترتب قوائم نسميها قوائم محمد بن مسلمة ندرج عليها سدنة الكفر وأئمة الشرك من الطواغيت الذين ينازعون الله في ألوهيته وربوبيته في الأرض.
ندرج عليها أولا : كل يهودي يمد اسرائيل أو يتعاطف معها. وندرج عليها: أئمة الكفر وزبانية تعذيب البشرية من الروس والشيوعيين. وندرج عليها زعماء الأحزاب الملحدة والعلمانية التي تتبجح بالحادها ومناوأتها للإسلام، وندرج عليها: كل من يعلن وقوفه بجانب اليهود من أي الأصقاع ومن سائر البقاع.

ألا من فتى يورد الهندي هامته كيما تزول شكوك الناس والتهم

فيا خيل الله اركبي: ويا جند الله أقبلوا، ويا سيوف الله ابرقي، ويا سماء ارعدي ورددي:

أسد فرائسها الأسود يقودها أسد تصير له الأسود ثعالبا

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

---

(1) فتح الباري (6-117)
(2) فتح الباري / ج 6 / باب (155) ص - 156
(3) الحديث في الصحيحين: فتح الباري / ج6 / باب (158) برقم (3031) شرح النووي / ج12 ص 161، وفي المختصر برقم (1170)
(4) أحكام القرآن لابن العربي (2 - 902)
(5) أخرجه الإمام أحمد (2 - 50/92) وأبو يعلى في مسنده / والطبراني في الكبير، وهو في صحيح الجامع برقم (2831).
(6) الصارم المسلول لابن تيمية / ص - 90، والذي قال العبارة هو (ابن يامين).

عقيدة
الولاء والبراء *
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الخامس والأربعون- ذو الحجة 1409هـ، أغسطس 1988م].
الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
وبعد:
فإن أنظمة العالم الإسلامي الآن أمام خيار صعب بعد إعلان حكومة المجاهدين وتوزيع الحقائب الوزارية اثر هذا الجهاد الإسلامي المشرف الذي ما شهد التاريخ الحديث له نظيرا ، وبعد أن أنقذ هذا الجهاد الأمة المسلمة من وهدتها ورفعها من كبوتها بعد أن دفع من الجماجم ما يستحق أن يبني فوقه صروح المجد، وبذل من الأشلاء والدماء ما يمكن لسفينة الإسلام أن تشرع فوقه بسلام.
والآن وقد أ علنت الحكومة المجاهدة وتنتظر الاعتراف فإن اعترف بها فهذا واجب الأخوة الإيمانية وحق الوشيجة الإسلامية، وهذا أمر طبيعي ومنطقي في حق كل دولة تمتلك أرضا وتحمل الشوكة وتحمي الثغور ولها كل المقومات لأية دولة أخرى.
وإن كانت الأخرى فليس بمستغرب على أنظمة تقوم قراراتها على الموازنة بين المصالح والمفاسد والمنافع والأضرار، وهذه كلها إنما تنطلق من نظرة مادية قريبة وتنبثق من خلال موازين متأرجحة لا يعرف لها عيار ولا يستقر لها قرار.
وليست هذه هي المرة الأولى أن تغمض الأعين دون نظام إسلامي قائم أو تهمل الأنظمة اهمالا تاما دولة قائمة على دين ومبنية على عقيدة، فهنالك دولة قبرص الإسلامية التي تنتظر الاعتراف منذ عقد من الزمان.
وسواء اعترفت الأنظمة بحكومة المجاهدين أم لم تعترف فالمسلمون في كل مكان يبوؤنها شغاف قلوبهم ويجري حبها مع نجيع عروقهم، وكما أن المجاهدين فرضوا احترام جهادهم على كل أنظمة الأرض، فإن دولتهم ستفرض احترامها -إن شاء الله- على كراسي المعمورة بأسرها. والحق أن الاعتراف بدولة المجاهدين الإسلامية موقف قد يكلف النظام المعترف بها تبرم كثير من الطواغيت الذين يملكون القنابل الذرية والأقمار الصناعية، بل نفور كل أعداء الله الذين يقول الله عز وجل عنهم:
(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)
(البقرة: الآية 217)
(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)
(البقرة: الآية 120)
وأعداء الله لا يعرفون إلا مصالحهم ويعبر عن سياستهم قول وزير الخارجية البريطانيه ردا على الأستاذ سعد جمعه رحمه الله رئيس وزراء الأردن عن نكبة 67 عندما قال له سعد: نحن أصحاب حق، فقال البريطاني: (السياسة ليس فيها حق ولا باطل السياسة فيها مصالح ومنافع).
والاعتراف وغيره إنما ينبثق مما تكنه القلوب من عقيدة وما تحمله الجوانح من مبادئ وما تنطوي عليه الحنايا من قيم والتصرفات والأفعال والشعائر إنما هي انعكاسات العقائد المستكنة في أعماق الضمائر.

وهذ القضية وغيرها من التصرفات التي تعب ر عما في النفوس من المبادئ والإيمانيات لا بد أن نردها إلى هذه العقيدة التي هي ملزوم لا إله إلا الله إذ أن -لا إله إلا الله- تستلزم من لفظها النفي والتبرؤ -البراء- من كل طاغوت، والاثبات والولاء لله ولكتبه ولرسله.
وعقيدة الولاء والبراء: هي أول مقتضيات لا إله إلا الله ومن مستلزماتها التي لا تنفك عنها.
ولا إله إلا الله (كلمة التوحيد) إذا استقرت في القلوب وتفاعلت مع الضمائر لا بد أن تتحول إلى استقرار في النفوس تفيض عليه السكينة والطمأنينة وشهادة على اللسان يلهج بها في كل مكان وأفعال على الجوارح وفق المنهاج الذي أنزله الواحد الأحد.
ويستحيل على عبد أن تستقر في مسارب نفسه عقيدة التوحيد ويبقى ساكنا جامدا ميتا لا حراك فيه.
لا بد أن تتحول هذه العقيدة إلى حرارة تجيش بها الصدور وتفيض أفعالا في عالم الظهور. وتنتج سلوكا وأخلاقا وأنظمه بمثل ماء السماء الطهور.
وهذه العقيدة...
تثمر الحب لله ولأوليائه، والبغض لأعداء الله، وتنتج الوقوف بجانب أولياء الله، والبعد والهجر لأعداء الله.
وهذه المواقف الإيمانية انعكاس طبيعي ومنطقي للحقائق الإيمانية التي تستقر في الأعماق، فكما أن القلب الحي النابض بالدم النظيف ترى معه جسدا صحيحا سليما ، فكذلك القلب المريض الذي يحمل أمراضا خبيثة في طياته لابد أن تظهر اثارها حرارة وبثرات وقروحا على الجلد.
ومن المستحيل أن تحب إنسانا ثم تكره سلوكه وتصرفاته وأخلاقه وحركاته، وتكره طريقة طعامه وشرابه.
إن الذي يحب إنسانا : تراه يقلده في طريقة كلامه وسلامه وحركاته ويحب اتباعه في لباسه وطعامه وشرابه.
والحب ينتج الطاعة والبغض يورث المعصية.
إن المحب لمن يحب مطيع، قال الحسن البصري: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم بهذه الآية:
(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)
(آل عمران: 31)
يقول ابن تيمية " إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله تقتضي أن لا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله ولا يوالي إلا لله ولا يعادي إلا لله وان يحب ما احبه الله ويبغض ما ابغضه الله ويوالي المؤمنين في أي مكان حلوا ويعادي الكافر ولو كان أقرب قريب" (1)
وقد روى الطبراني باسناد حسن: (2)
(أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله).
بل ولاية الله لا تنال إلا بالحب له والبغض له.
روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما:
(من أحب في الله وأبغض في الله ووالى في الله وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك).
(وقد صارت مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئا)(3)
إن محبة الله التي تستلزم محبة رسوله -صلى الله عليه وسلم- أثمرت نماذج من التضحيات وأفذاذا من البشر ما يحسبه الإنسان ضربا من الخيال أو لونا من الأساطير. إنها أبرزت أمثال:
زيد بن الدثنة الذي يقول بين يدي قتله وأبو سفيان يقول له (أتحب أن محمدا مكانك) فقال: (والله لا أحب أن محمدا يشاك شوكة في قدمه وإني جالس في أهلي)، فقال أبو سفيان (ما رأيت كحب أصحاب محمد محمدا)(4)
وأظهرت: المرأة التي من بني دينار: التي قتل أبوها وأخوها وزوجها فسألت: (فما فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ قالوا: خيرا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أروني حتى أنظر إليه فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل) (صغيرة)(5)
يقول الشيخ حمد بن عتيق: (ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة اكثر ولا أبين من هذا الحكم -الولاء والبراء- بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده)(6) .
إن توحيد الله يقتضي أن تدخل في حزبه وتناصر أوليائه، وتحب العيش معهم وتدافع عن دارهم وحرماتهم وتجاهد في سبيل الله لحماية أعراض المسلمين ودمائهم وأموالهم.

وأن تكره الكافرين وتهجر دارهم وتمقت العيش بينهم ففي الحديث(7): (من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله) وصح عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال:
(من بنى بأرض المشركين فصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة)(8)
قال ابن تيمية: وظاهر هذا، إنه جعله كافرا بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور. (9)
وأهل عقيدة التوحيد ومقتضاها من الولاء والبراء يتجمعون على وشيجة الإيمان ويلتقون على صلات العقيدة والدين يتجاوزون فيها المواقع الجغرافية والحدود الزمانية واللون والعرق والعشيرة والجنس والصنعة والحرفة، ولا يلتقون كما تلتقي الحيوانات على الحظيرة والكلأ والجنس فحزبهم العقيدة:
لا يجمعهم لون جواز سفر، ولا قطعة أرض محدودة بجبل أو نهر، ولا حزب دينه اللغة، ولا جماعة كل رابطتها أنهم سود أو بيض، أو رابطتهم أنهم فلاحون أو عمال أو كادحون، ولا صلاتهم أنهم رابطة محامين أو نجارين أو حدادين ولا أنهم شام أو يمن، وهكذا مما تجتمع عليه البهائم والسوائم.
وذلك لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لهم: (دعوها فإنها منتنة)(10)
(ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية) (11)
فلا يمكن أن يدخل المؤمن الذي فهم عقيدة التوحيد تحت راية تجمع قومي منتن: كالقوميين العرب، وحزب البعث، والقوميين السوريين حتى ولو كان المخططون لهم من المتمسلمين المغفلين، فكيف إذا كان قائد القوميين العرب: قسطنطين زريق ، وجورج حبش، النصرانيين، وقائد البعث ميشيل عفلق النصراني، وزكي الأرسوزي النصيري، وقائد القوميين السوريين أنطون سعادة وجورج عبد المسيح النصرانيان،؟ !
راية جاهلية وقيادة كافرة ومنهاج إلحادي علماني فأن ى لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن ينضوي تحت هذا اللواء؟
ولا يمكن لصاحب عقيدة الولاء والبراء النابعة من التوحيد أن يدخل الماسونية اليهودية أو يأوي إلى أوكارها وجحورها ولا أن ينضم إلى المحافل الماسونية كالروتاري والليونز والبني برث التي ولدتها اليهودية اللئيمة الحاقدة.
ولا يمكن لصاحب عقيدة الولاء والبراء أن يكون جاسوسا في المخابرات المركزية الأمريكية أو الروسية أو أن يكون عينا لجهة مشبوهة تحارب الإسلام ولالطاغوت يكيد للحق وأهله ويحارب أولياء الله ويوالي الشيطان في كل مكان.
ولا يمكن لمؤمن موحد أن يوالي الحلفاء وبريطانيا ضد الخلافة العثمانية.
أما الدين الذي تنزل من لدن حكيم عليم فقد تجمع فيه المؤمنون على العقيدة على طول الزمن الممتد مع رسالات الأنبياء كلها صلوات الله وسلامه عليهم.
وغاب فيها نتن القبيلة واختفت نعرة الجنس وتوارت لوثة اللون واندثرت حمية القوم والأرض.
لقد تبرأ منها ابراهيم عليه السلام من أبيه، وانسلخ نوح عليه السلام من ابنه.
وتمردت وترفعت "آسيا بنت مزاحم" على زوجها أكبر طواغيت الأرض فرعون.
وتبرأ نوح ولوط عليهما السلام من زوجتيهما.
وفي هذا الدين ظهر عبدالله بن عبدالله بن أبي الذي قال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-(إن أمرتني برأس أبي أتيتك به)
وفيه: محيصة بن مسعود الذي قتل كعب بن يهوذا زعيم قريظة -فقال له أخوه حويصة- -وكان كافرا - :
(أقتلت كعب بن يهوذا -حليفنا- والله لرب شحم قد نبت في بطنك من ماله، إنك للئيم يا محيصة. فقال له محيصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك فبات حويصة طيلة ليلته وهو يقول: والله إن هذا لدين ثم أسلم) (12)
ومن هذا الدين سعد بن أبي وقاص الذي قال يوم أحد:
(والله ما حرصت على قتل رجل قط كحرصي على قتل عتبة ابن أبي وقاص)(13)

والآن ماذا عن دولة المجاهدين؟
هل لدولة أن تقول ما قاله البراء بن معرور ليلة العقبة وهو يبايع:

(والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا (نساءنا) فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة (السلاح) ورثناها كابرا عن كابر). .
حتى يرد على المجاهدين والأفغان كما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(بل الدم الدم والهدم الهدم الحرمة أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم) (14)
أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم.
والتاريخ رافع قلمه ملتقط أنفاسه وينتظر الجواب.

---

(1) الاحتجاج بالقدر لابن تيمية (62)
(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (11537)، وعند الطيالسي (378). وهو في السلسلة الصحيحة برقم (1728)
(3) حلية الأولياء (1/312)
(4) مختصر السيرة (154)
(5) مختصر السيرة (149)
(6) الولاء والبراء للقحطاني
(7) أخرجه أبو داود برقم (2787) بلفظ "... وسكن معه فإنه مثله". وهو في صحيح الجامع برقم (6186)
(8) الولاء والبراء للقحطاني (274)
(9) اقتضاء الصراط المستقيم (ص 200)
(10) مختصر صحيح مسلم للألباني برقم (1811)
(11) شرح النووي / ج 12 / ص 238، وأبو داود برقم (5121) واللفظ له.
(12) سيرة ابن هشام (3/13)
(13) سيرة ابن هشام (3/32)
(14) سيرة ابن هشام (2/85)
* شكر الله لأخينا محمد سعيد القحطاني صاحب كتاب (الولاء والبراء) فقد أفدت منه كثيرا .

لغة البيض والسمر*
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد السادس والأربعون- محرم 1409هـ، الموافق أغسطس 1988م].
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
فإن لغة البيض والسمر (السيوف والرماح) يفهمها كل البيض والسمر، لغة يحبها الله ورسوله، وأنزل الله لها آيات بينات وأبرزها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في أحاديث جليات وذلك لأن نصرة المبادئ واعلاء القيم وارساء قواعد العدل في الأرض تعتمد اعتمادا كبيرا على هذه اللغة.
لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، إن الله قوي عزيز
الآية (25) الحديد.
فالحديد وهو مادة البيض والسمر أنزله رب العزة وسميت باسمه سورة من كتاب الله العزيز، وذلك لأن نصرة الله ورسله تتكئ عليه اتكاء مباشرا وتعتمد عليه بعد التوكل على الله العزيز.
وقد فرض رب العزة في الذكر الحكيم الاعداد فقال:
وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل
الآية (60) الأنفال.
قال ابن عباس(1): القوة هنا السلاح والقسي، وقال -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح (ألا إن القوة الرمي) مسلم (2)، وقال السدي (3): القوة السلاح ترهبون به عدو الله وعدوكم: قال ابن عباس رضي الله عنهما: (تخزون به عدو الله وعدوكم)، فقد فرض رب العزة الإعداد من سلاح ومن خيل من أجل اهانة أعداء الله واذلالهم، وقد لقي رجل الإمام مجاهد (المفسر) بمكة ومع مجاهد جوالق فقال مجاهد: هذا من القوة وكان مجاهد يتجهز للغزو.

وقد كان الصحابة يتغنون بالقوة والإعداد ويتسابقون في ميدان العزة والجهاد وقد كان لعروة البارقي سبعون فرسا معدة للجهاد، ويعتبر حديث (ألا إن القوة الرمي) من دلائل النبوة ومعجزاتها فإن معظم الحروب الحديثة قائمة على الرماية من الرصاصة إلى القذيفة إلى الصاروخ كلها رماية بينما كانت الحروب قديما وفي عهده -صلى الله عليه وسلم- تعتمد بثقلها على السيوف والرماح والخيل وأما استعمال السهام فكان دون ذلك.

ولذا فإنا نرى للفرس وللسيف والرمح أسماء كثيرة وردت في أشعار العرب الجاهلية ثم في أشعارهم بعد الإسلام وكثيرا ما كانوا يفخرون بالحسام والقنا والجياد ويتغنون بها وأما ورود السهام في أشعارهم فنزر يسير وقليل نادر بالنسبة للسيوف والرماح.

إنى وربك لا أنفك منتطقا بصارم مثل لون الملح قطاع

والحق أننا عندما كنا نستعمل هذه اللغة كان يفهم علينا الأنام قاطبة وكانت المهابة في قلوب أعدائنا منا وكان النصر يأتينا مسيرة شهر بالرعب، وكانت فرائص الأعداء ترتعد ، وآرابهم ترتجف ، وأوصالهم تهتز ازاء ذكر المسلمين الذين كان يصفهم أعداؤهم "رهبان في الليل فرسان في النهار" بل كانت نساء الكفار يخوفن أبناءهن في وهن الليل بأسماء المسلمين حتى يخلدوا إلى السكينة والراحة والنوم. وقد بي ن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن ظهور المذاكي وأقتاب العواتق ورحال الجياد هي موطن العزة ومنهل الثواب ومعين الأجر.

ففي الحديث الصحيح (4)

(من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه)

وبي ن -صلى الله عليه وسلم- في الأحاديث الصحيحة:(أن السيف مح اء الخطايا)(5) وأن (الجنة تحت ظلال السيوف) (6)، وقد وضح رب العزة هذه القاعدة بجلاء لا غمة فيه بناموس وقانون أودعه كتابه الخالد فقال عز من قائل:

ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض

الآية (251) البقرة.

فموتي في الوغى عيش لأنــي رأيت العيش في أرب النفوس

وبين أن انهيار الأمم وفساد سليقتها ودمار حضارتها ومسخ شخصيتها مرتبط ارتباطا وثيقا بترك هذه اللغة ونسيانها، وأوضح أن (حب الدنيا وكراهية الموت) هو الموت الحقيقي للأمم وخاصة الأمة الإسلامية وهو بداية النهاية لمجد المسلمين وسؤددهم.

وقد عب ر عن قاعدة العزة "كعب بن مالك" (رضي الله عنه)- بقوله:

وقلنا لن ي ف ر ج ما لقينـــــا سوى ضرب القلانس والجهاد (7)

حال الأمة المسلمة بعد ترك هذه اللغة :

وبعد أن تركت أمة القرآن النطق بهذه اللغة التي يفهمها الأحياء جميعا عادت القهقرى ولم يعد يسمع صوتها وخبا نورها وخمدت نارها وانطفأ ذكرها، لأن الناس لا يسمعون مثل صليل السيوف وضبح الخيل، وقعقعة السلاح وأزيز الرصاص وهدير الطائرات ودوي المتفجرات.

لغة أهل الهندوكوش :

وبقيت الأمة المسلمة رهينة القيود ترسف في الأغلال وتتلبط في الأوحال تحت مواطئ الأقدام والنعال، حتى رفع الشعب المسلم الأفغاني عقيرته (صوته) قائلا :

دع المداد وسطر بالدم القانـــــي وأسكت الفم وانطق بالفم الثانـي

فم المدافع في وجه الطغـــــاة لـه من الفصاحة ما يزري بسحبـان

وبدأ العالم يفهم هذه اللغة بعد أن ارتوى السلاح من دماء الكافرين واستيقظ الناس على هدير بحور الدماء التي سالت وعلى زئير الليوث التي ثارت، ووقف العالم كله باحترام واجلال أمام هذه التضحيات الباهظة وأذل الله أوراع (جبناء) اللئام الذين استأسدوا في ساح الإسلام وخمد البغاث بعد أن استنسر في ديار العز والمجد.

رد الفعل من أعداء الله :
كل من واكب مسيرة الأحداث في كابل عبر هذا العقد الزمني يدرك كيف غي رت هذه اللغة الأرض في داخل أفغانستان وروسيا وأرض الشيوعية خاصة وفي العالم عامة.
يقول سي اف : لقد كان الحزب الشيوعي لا يستطيع تنفيذ الإعدام على أعواد المشانق وحبال الموت بل كانوا يصفون المئات مقيدين ثم تأتي الجرافات وتحفر أخاديد الحتوف (الموت) ثم تفتح الرشاشات أفواهها على هؤلاء فيسقطون في خنادق المنية وتعود الجرافات مرة أخرى لتدفنهم، ولقد دفن الكثير من المسلمين أحياء في داخل سجن "بول جرخي" الذي طوى في رماله ما يصل إلى (186 ألفا) كما شهد بهذا أحد أعضاء المخابرات (خاد) الكبار.
وكم من الناس قد دفنوا أحياء بجريرة فتح المذياع على (إذاعة صوت بريطانيا) ومن ذا الذي كان يجرؤ أن يظهر في المسجد خمس صلوات متتالية؟ وم ن من المسلمات في أفغانستان كانت تجرؤ على الإشارة ولو بطرف لسان أو إشارة بنان؟
وأما الآن : فقد سمع الشيوعيون لغة الميدان، بأنصع بيان وأفصح لسان بعد أن أذل الله سادتهم وانسحبوا وذيولهم بين السيقان حتى أعلن أحد الجنود الروس الراجعين من الميدان: (إننا عندما نسمع صرخة الله أكبر نبول على ثيابنا).
وأرسلت الحكومة الروسية وفدا سريا يرجو المجاهدين أن يخففوا ضرباتهم عن الجنود المنسحبين فأجاب المجاهدون: نحن غير مرتبطين بجنيف بعقد ولا ميثاق. وليتك معي وأنت تبصر رسل الروس إلى المجاهدين يعرضون عليهم أن يقدموا لهم أكبر ضابط شيوعي أفغاني مقابل الكف عنهم أو مقابل دفع مبلغ ضئيل لجنود الروس الذين يحتاجون إلى الدرهم الواحد لشراء علبة السجائر.

صدقك وهو كذوب :
وقد لخصت الإذاعة البريطانية قصة الشعب الأفغاني فقالت: حاولت بريطانيا أن تفرض سلطتها على الأفغان فدفعت الثمن غاليا ولم تعتبر روسيا بما قدمت بريطانيا من تضحيات باهظة نتيجة غلطتها فسلكت نفس السبيل وها هي جحافل المجاهدين تطارد فلول روسيا في أعماق أفغانستان، وبعد هذا كله يريد الغرب أن يسير في هذا الطريق الشائك الوعر وهيهات هيهات.

عجب عجاب :
ولا ينقضي عجبك ولا تستطيع أن تمسك نفسك قهقهة وأنت ترى رجالات الحكومة الشيوعية في كابل يحملون العصي ويسوقون الناس قسرا إلى المساجد في أوقات الصلاة.

مرسوم هام :
وهذا بعد أن أصدر رئيس الدولة الشيوعي -نجيب- مرسوما يقضي بفصل أي موظف من وظيفته إذا تأخر ثلاثة أيام عن صلاة الجماعة.
وتلمح من خلال خطاباته عبارات الاستخذاء والاستكانة والاستعطاف لقلوب الشعب الأفغاني وهو يقول: لا تقولوا لي (نجيب) أنا (نجيب الله).
وقد قرأت رسالة من نجيب إلى الشيخ جلال الدين حقاني يستعطف فيها الشيخ جلال الدين قائلا له:
أنا لست شيوعيا وأنا مع سليمان لائق -وزير الحدود اليتيمين المسلمين الوحيدين في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، ونحن ندين بالإسلام سرا ولا نستطيع مواجهة ضغط الشيوعية وثقلها علينا.
وماذا عن غناء الأعراس في العاصمة ؟ إن النساء في العاصمة يتغنين ببطولات المجاهدين وكأنهن ينشدن مع أبي الطيب لكل مجاهد قائلات :

وص ن الحسام ولا ت ذ ل ه فإن ه يشكو يمين ك والجماج م تشهد
جف النجيع عليه وهو مجرد من غمد ه فكأن ما هو مغم ـــد
ري ان لو قذف الذي أسقيته جرى من الم هجات بحر مزبد

وأصبح لمعان أسنة المجاهدين، والأسل (الرماح) والقلانس، والمذاكي والعتاق والجرد (الخيول) ، والمثقفة السمر ووميض البيض، وشجاعة الليوث، وإيمان الضراغمة هو حديث السامر الجميل في كابل ويحلو للمستمعات أن يرددن مع المنشدات شعر حسان للمجاهدين:

يسرون بالبيض الخفاف إليكـــم مرحا كأسد في عرين مغرف (8)
حتى أتوكم في بطون حصون كم فسقوك م حتفا ببيض د فف (9)

وأما النساء الشيوعيات وأزواج الضباط العملاء والمنافقين فكأن على رؤوسهن الطير لا ينبسن ببنت شفة..

يبكين شجوا مسبلات كدحتهن الكوادح (10)
ولقد أ صاب قلوبها مجل له جلب قوارح (11)

في مكاتب الدولة:
والحديث في داخل المكاتب الرسمية لا يكف ولا ينقطع عن انهيار الدولة، وعن الهزائم التي ت منى بها جيوشها، والخسائر التي تتكبدها يوما بعد يوم، وابداء النشوة والسرور والفرح والحبور بانتصارات المجاهدين مع الشماتة بهؤلاء المرتدين الذين باعوا الأرض والعرض لروسيا.

الرسائل :
والرسائل تترى من قادة الشيوعيين يعرضون خدماتهم للمجاهدين ويتوسلون لهم أن يؤمنوا طريقا لهربهم إليهم ورسم جادة قرارهم نحوهم.

الغيب المسدل :
والنتيجة يعلمها رب العالمين ولكن بوارق النصر وبشائر الظفر تنير لنا معالم الطريق وكأنها تشير إلى أن النصر قريب وأن دولة الإسلام عما قليل ستظهر للوجود -إن شاء الله- تقدم للبشرية قادة من المسلمين يصنعون قراراتهم بأيديهم، وتنبثق آراؤهم من طيات كتابهم وهدي نبيهم -صلى الله عليه وسلم-.
ويعتمدون على الله ثم على البيض والسمر التي تحملها الزنود السمر في إقرار القرار ولا يتلقون الأوامر من البيوت البيض أو الحمر.

فيا أمتي :
هلا سلكت سبيلهم واستعملت لغتهم التي توقظ الوسنان وتصخ أسماع الزمان؟ ان تقتفي آثارهم هديت، وها هو شعب الأرض المباركة في فلسطين قد فهم هذه اللغة فأيقظت قعقعة صوته وزمجرة ليوثه العالم أجمع وإن شاء الله البقية على الطريق قادمون.

---

(1) القرطبي (8-36).
(2) شرح النووي /ج13/ ص -64.
(3) الطبري (10-30).
(4) شرح النووي /ج13/ ص -34.
(5) رواه أحمد وسنده حسن وصححه ابن حبان.
(6) فتح الباري /ج6/ باب (22) برقم (2818).
(7) القلانس : رؤوس الخوذ.
(8) عرين مغرف : مكان الأسد ملتف الشجر.
(9) بيض دفف : سيوف سريعة القتل.
(10) شجوا: حزنا ، مسبلات: لابسات ثياب الحزن.
الكوادح : المصائب.
(11) مجلد : جرح، قوارح: موجعة

من الدعوة إلى الدولة*
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد السابع والأربعون- صفر1409هـ، سبتمبر1989م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
فقد مضت ثلاثة عشر عاما كاملة منذ أطلقت الحركة الإسلامية أول رصاصة في وجه نظام داود سنة 1975 حتى الآن، ولقد جاءت روسيا بداود لتصفية الحركة الإسلامية فكتب الله أن تهزم روسيا ويسحق عملاؤها، وكانت نقلة واسعة خطتها الحركة الإسلامية عبر مسيرة المعاناة تجرعت فيها الحركة من المرارة وتكبدت من الآلام، وتقلبت في أتون ملتهب من المآسي ما شابت له النواصي، وخلال هذه المحن نضجت نفوس الذين عاشوا الأحداث، والنضج النفسي والصفاء الروحي واشراقة القلب تكون ثمرة طبيعية، ونتيجة منطقية يهديها الله -عز وجل- للصابرين، وهذه بركة الصبر:
إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين
الآية (90) يوسف.
وخلال هذه الطريق المريرة الوعرة التي تجشم الأخوة مشقة اجتيازها بلغت الحركة عموديا -من حيث البناء الذاتي- شأوا بعيدا وكذلك فإن الانتشار الأفقي بين الناس كان كبيرا جدا .
أما من حيث الارتقاء الروحي والربانية في الحياة فإنك تلمسها من خلال مواقف أفرادها وقادتها أمام الأعاصير العالمية الهوجاء التي تريد أن تعصف بهذه الحركة التي لا زالت ومنذ أول يوم تمسك بزمام التوجيه وعجلة القيادة، فقد وقف القادة مواقف سامقة أمام دهاقين السياسة العالمية وصانعي قرارات الأمم، هذه المواقف تعيد إلى أذهاننا سيرة السلف وتحيي في أعماقنا قصص عبد الله بن حذافة السهمي أمام قيصر وربعي بن عامر في إيوان رستم يوم أن اقتحم بفرسه داخل الأيوان تطأ سنابك فرسه طنافس رستم والزرابي ويربطه بنمرقة من نمارقه.
وهذا الاستعلاء الإيماني الذي تمثل شامخا في مواجهة ساسة الدنيا وعلى رأسهم "ريغان" لم يكن لينتج من فراغ أو ي ربى من خلال صفحات الكتب وخطب المنابر لقد كان هذا الاستعلاء ثمرة مباركة للصبر الطويل عبر المعاناة المريرة الأليمة.
النقلة الواسعة :
لقد كان البون شاسعا بين تلك الأيام التي كان يرسم فيها المهندس حبيب الرحمن الشهيد (الأمين العام للحركة) الكلاشنكوف على الأوراق ثم يشرحه في أعماق الغرف الظلماء للذين يربيهم على حب الجهاد وبين هذه الأيام التي يلعب فيها الأطفال بالقاذف الصاروخي "آر. بي. جي." الذي يحطم الدبابة، والحركة الإسلامية وهي تعلن قرارها بالمواجهة المسلحة في وجه داود، لم يكن بوسعها يومئذ أن تتملى في خيالها مجرد تصور هذه القمة السامقة التي بلغتها بالجهاد المبارك، فلم يكن لديها من بين أبنائها كلهم رجل يستطيع استعمال القاذف سوى "أحمد شاه مسعود"، والآن أصبح استعمال القاذف -هذا- من هوايات الغلمان الذين لم يبلغوا الحنث بعد.

القرار التاريخي :
لقد كان قرار المواجهة المسلحة لداود خارقا لتفكير الإنسان العادي، خاصة وأن القرار قد صدر من ثلاثين شابا قد التفوا حول "برهان الدين رباني" و"حكمت يار" في بيشاور - بعد نجاة هؤلاء الشباب من قبضة داود الحديدية التي كانت ترتجف لذكرها أوصال أفغانستان وتحسب لها ألف حساب.
ولم يكن هذا القرار ليصدر لولا وجود حركة إسلامية انبثق من خلالها هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم، وكانوا قد تلقوا قسطا من التربية على أيدي أساتذتها ومشايخها ومربيها.

المورد العذب :
ولقد نضجت الحركة الإسلامية الأفغانية على محك الشدة حتى أصبحت مدرسة فذة قائمة بذاتها ومنهلا عذبا لابد أن يرده كل الذين يحاولون انشاء المجتمع المسلم من جديد، ولقد أعطت أعماقا وأبعادا لكثير من المعاني القرآنية والمصطلحات النبوية الكريمة في أذهان الجيل. ولابد لأبناء الحركة الإسلامية العالمية أن يقفوا طويلا أمام هذا المعين الثر الذي فجرته الدماء والأحداث فوق أرض أفغانستان فينهلوا منه.
وذلك لأن الدعوة الإسلامية في أفغانستان أصبحت الآن فريدة وأعطت المصطلحات الحركية أعماقا ، وأبعادا
.

(1) فلقد كان معنى الصبر" قبل هذا الجهاد المبارك المشرف ينصرف إلى احتساب سياط الجلادين وهي تلهب ظهور الدعاة وما كنا نفهم من معاني الصبر في القرآن الكريم سوى الصبر على ظلم الطغاة وزبانيتهم وجلاديهم.

أما الآن :
فالصبر قد أخذ بعدا أكبر ورقعة أوسع فهو يعني: حبس النفس على الرباط في مواجهة أعداء الله والصبر على الرباط في قمم الجبال وبين الغابات والأدغال ولأشهر متطاولة تمتد إلى سنوات عمل شاق على النفوس، لأن النفوس تألف الحياة بين الأحبة وفوق الأرض التي درج الإنسان عليها وحبا بين رباها ونجادها.
والنفس تستوحش من الغربة، غربة عن الأهل، والجيران، واللغة واللهجات التي تربى عليها، فإذا أضيف إلى هذا كله الجو الرهيب الذي يسيطر غالبا على ثغور الرباط، وقلة الزاد، وجفاف العيش وشظف الحياة، ومجموع هذا كله يكون جوا قاتما كئيبا ثقيلا على النفس.
وهذا الجو لا يخفف ثقله ولا يجلو حزنه سوى التعويض الرباني للقلوب بما يسبغ الله عليها من فرح ومسرة وأنس وسكينة.
(عليكم بالجهاد فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم)
صحيح (1).
فالهم والغم : أمران ملازمان للرباط لا يفارقان إلا القلوب المرتبطة بالله الموصولة بحبله العائذة بجلاله.
(2) ومن القضايا البارزة في الدعوة الإسلامية الأفغانية أنها منذ أن رأت النور وتك ونت نواتها حتى الآن وهي تدفع التضحيات ولم تقطف من ثمار عرقها ولم تخرف (تحصد) من نتاج بذارها شيئا .
ولذا فقد بقيت تستدر عطف الشعب كله، وتستحوذ على اعجابهم، وتنال احترامهم واكبارهم، ولا زال اسم الدعوة أو الحركة، أكبر عامل من عوامل التعديل وأهم مؤهل للثقة.
ولذا بقي مصعب بن عمير معلما بارزا في دنيا الصحابة وبقيت ذكرياته تستجيش أعمق العواطف وتستتهل العيون بالعبرات ولذا فعندما وضع طعام شهي أمام عبد الرحمن بن عوف استعبر (بكى) وقام وذكر مصعبا .
يقول خباب بن الأرت رضي الله عنه
]هاجرنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نلتمس وجه الله تعالى فمنا من مات ولم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه ومنا من أينعت (نضجت) له ثمرته فهو يهدبها (يقطفها)
متفق عليه (2).
والآن : لقد استشهد أكثر من تسعين بالمائة من أبناء الحركة الإسلامية ولم يأخذوا من الدنيا شيئا بعد.
(3) إن عمر الحركة الإسلامية الأفغانية صغير جدا ، ولم يتغلغلوا في مناصب الدولة ولم يرتقوا في سلم وظائفها وكانت أكبر وظيفة لديهم عمادة كلية الشريعة بيد غلام محمد نيازي -رحمه الله- ولذا فلم يكن لديهم مناصب كبرى يمكن أن يساوموا بها على المبادئ نفسها اتباعا لقاعدة: (اختيار أهون الشرين) (إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمها ضررا بارتكاب أخفهما).
ولذا بقيت المبادئ واضحة ناصعة وما اعتراها لبس ولا غموض ولم يعش الدعاة حياة متناقضة بين مبادئ معلنة وبين مواقف عملية تمليها عليهم مصلحة الدعوة محافظة على مكاسب بين أيدي الدعاة قد تتعرض للزلزلة فيما لو وقف الدعاة وقفة المباينة والبراء من النظام القائم.
ولم يعش جمهور المسلمين حيرة قاتلة ازاء التناقض في حياة بعض الدعاة بين نهج مرسوم وواقع عملي يومي، وبقيت المبادئ المعلنة مشرقة لأن السلوك الذي يحياه الدعاة كان الصورة الصادقة والترجمة العملية للكلمات والشعارات والمبادئ.
(4) إن الجهاد الإسلامي الذي خاضت غماره الدعوة الإسلامية وكانت رأس الحربة فيه وقذفت فيه بأفلاذ أكبادها وضحت فيه بأغلى ما تملك من أبنائها أدى إلى انضاج نفوس شبابها الباقين على قيد الحياة وتصفية أرواحهم وإلى صلابة عودهم، ولذا فإنك تجد فرقا هائلا بين نفسية هؤلاء الشباب الذين تتردد أسماؤهم على جميع الشفاه كسي اف وحكمت يار ورباني وخالص، أقول: هنالك فرق كبير بين نفسية هؤلاء الدعاة عام 1975 ونفسيتهم عام 1988، بعد أن أمضوا مرحلة تساوي المرحلة المكية تماما -ثلاثة عشر عاما - في أتون القتال وبين حجري الرحى، وأصبحت كبرى المشاكل في أعينهم جد صغيرة.
إذا اعتاد الفتى خوض المنايا فأهون ما يمر به الوحــول

(5) إن المعركة التي عركت أبناء الحركة الإسلامية اضطرتهم أن يعيشوا مع جميع طبقات الشعب
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير
الآية (22) فاطر.
وذلك لأن الشعب كله اخترط سيوفه منافحا عن عرضه ومكافحا عن دينه وكل واحد يقول:
فالموت أعذر لي والصبر أجمل بي والبر أوسع والدنيا لمن غلبا
واضطرارهم للحياة مع جميع طبقات الناس من مفرط ومقصر ومخطئ ومتعثر وصادق وملتزم أعطاهم من التجربة والخبرة والحنكة من خلال المعاناة المريرة في رفع المستويات، ومحاولة ايجاد التناسق بين هذه المستويات المتباينة التي تعيش في قاعدة واحدة وتواجه عدوا واحدا خلال عشر سنوات متواصلة في حياة واحدة تحت ظل سقف واحد تجمعهم مائدة واحدة ويتحركون حركة واحدة كأنهم جسد واحد.
بينما الدعوات الإسلامية في كثير من أقطار العالم الإسلامي تعيش في مجتمعات خاصة نظيفة لا تلتقي مع سائر طبقات الناس الإيمانية إلا في المحافل والندوات والخطب والاجتماعات.
(6) والمشاكل التي كانت تواجه القادة عبر هذه السنين أعطتهم مراسا للحكم وهذه الممارسة للحكم والدربة على القيادة السياسية والعسكرية لم تكن من خلال صفحات الكتب فوق مقاعد الدراسة في كليات الإدارة، بل كانت خبرة عملية أورثت نضجا سياسيا وعمقا في النظر فرضتها -بقدر الله- الأحداث الضخمة والعقبات الشاقة التي تواجههم على صعيد الواقع.
ولذا فلو أخذنا كمثال: أحمد شاه مسعود، أو المهندس بشير أو الشيخ جلال الدين.. كل واحد من هؤلاء مفروض عليه أن يجد حلا للمشاكل الاجتماعية، ولقضايا الجفاف التي تعض المنطقة بنابها، وعليه أن يوجد حلا لقضايا الجراح التي لا تكف عن النزيف، ولمشاكل الأيتام والأرامل، ولابد أن يبحث عن وسيلة لايجاد مخرج لمئات الألوف من الأولاد الذين لا يعرفون القراءة، فلا جرم أنه مضطر لفتح بعض المدارس ولو في كهوف الجبال أو تحت الشجر.
فكل واحد منهم: إنما هو: حكومة قائمة بذاتها:
فهو كرئيس الوزراء وفي نفس الوقت فهو وزير الصحة والتربية والتعليم والدفاع والشؤون الاجتماعية والزراعة والإعلام والإرشاد.
وقد سألني بعضهم: أو تظن أن الأفغان يستطيعون إقامة دولة إسلامية بأنفسهم؟
والجواب كما مر : أن القادة قد تمرسوا على الحكم خلال فترة الحياة بين فكي الموت، وإذا كان بعض العسكر قد وصلوا إلى الحكم من خلال البيان الأول في الدول العسكرية الثورية، دون أن يعرف عنه سابقة حكم ولا صبغة إسلامية ولا نشأة حركية ولا ذكاء ملموس ولا خلق آسر آخاذ، أفلا يستطيع هؤلاء القادة الحكم؟**!** وبعد هذه المسيرة الطويلة من تربية عميقة نظيفة في ظلال القرآن إلى فارس يمتطي صهوات العتاق المذاكي إلى قائد يفقد أبناءه الذين تربوا على يديه الواحد تلو الآخر يتجرع الغصص ويتلوى بالآلام ويدفن قلبه مع كل شهيد؟

ناموس وقانون انشاء المجتمع المسلم :
إن القانون الإلهي لانشاء دين الله في الأرض وإقامة المجتمع الإسلامي يكون في خطوات:
1- أولها قيام رجل يدعو إلى توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، ثم يتجمع الناس حوله.
2- تقوم الجاهلية في وجه هذا المصلح تدافع عن مصالحها بكل ما أوتيت من قوة وتلقي بخيلها ورجلها وتدفع بثقلها لاجهاض هذا العمل المبارك وفي الطريق يسقط من يسقط ويثبت الله من يثبت يتحمل الايذاء والاضطهاد والتشريد والسجن.
3- تقوم الدعوة الإسلامية بدور الصاعق الذي يفجر طاقات الشعب ويقوم جهاد طويل تكون الدعوة فيه موجها وقائدا ومشعلا للفتيل ويقدم الشعب المسلم الوقود لهذه المعركة الطاحنة الطويلة.
4- وبعد الجهاد الطويل تفقد الحركة الإسلامية معظم أبنائها ويبقى قسم منها يضن الله بهم عن الموت وهؤلاء هم الذين يضع الله بين أيديهم مقاليد الحكم بعد أن أصبحوا أمناء على الدماء والأعراض والأموال.
هكذا قام هذا الدين أول مرة وهكذا يقوم في كل مرة.

ولا يجوز أبدا لأبناء الدعوة الإسلامية أن يزهدوا في الحكم بعد النصر فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار: منهم الخليفة، ومنهم الوزراء، ومنهم مجلس الشورى، ومنهم القادة والقضاة، وأمراء الولايات وخزنة بيت المال.
وإن شاء الله فنحن على أبواب دولة إسلامية قامت على رؤوس الرماح وازاء رؤيتها ننشد وحق لنا أن ننشد:
حتى رجعت وأقلامي قوائل لي الحكم للسيف ليس الحكم للقلم

---

(1) أخرجه أحمد (5-326) وهو في السلسلة الصحيحة برقم (1914).
(2) فتح الباري /ج7/باب (26) برقم (4082).

الطريق إلى "طالقان"*
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الثامن والأربعون- ربيع أول 1409هـ، أكتوبر 1988م].
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
من قرية على مقربة من بنجشير أكتب إليكم، بعد رحلة شعرنا فيها بالبركة والراحة والتيسير الكبير بفضل الله العلي الكبير، وبصحبة الأستاذ رباني الذي كان نعم الصاحب والرفيق والأخ الشقيق.
وقد انطلقت القافلة يوم الخميس الماضي 1988/9/8 من "شترال" بالسيارات وبتنا في "جرم جشما" وانطلقنا صباح الجمعة من "جرم جشما" إلى الحدود واجتزنا الحدود وقضينا يوم الجمعة في معسكر صغير وكان يصاحبنا الأخ الحبيب أبو ابراهيم ويوم السبت تسلقنا الجبل الأول الذي يعترض طريقنا واسمه ديوانا بابا (الجبل المجنون) وقد مكثنا في تسلقه والنزول منه حوالي خمس ساعات ونصف، ونزلنا عند رجل مضياف لكل المجاهدين المارين وداره تعتبر مضافة لكل مار بهذا الطريق ومع هذا لا يطمع من المجاهدين بدرهم ولا دينار ولا تكل أزواجه وأهله عن الطبخ والخبز وتقديم الطعام الذي لا يقل عن الخبز والشاي، فقلت له: يا حاج متين (أنت مثل حاتم طائي) الذي كان يقول لغلامه:
أوقد يا غلام فالليل ليل قر والريح يا غلام ريح صر
إن جلبت ضيفا فأنت حر
فقال لا أطمع من أحد بشيء إلا إذا كتب الله لنا الحج على أيديكم. وبتنا أسفل الجبل الثاني الذي يعترض القادم إلى الشمال اسمه "كافر كوتل" وقد أطلق عليه الأستاذ رباني "مجاهد كوتل" وهو يرتفع أكثر من أربعة آلاف متر فوق سطح البحر وقد استغرق تسلقه (سبع ساعات ونصف) ولا يستطيع أن يتسلقه حصان ولا بغل إلا إذا كان خاليا من راكبه، وفوق قمة الجبل جلسنا ووج ه الأستاذ رباني كلمة للمجاهدين.
ثم بدأنا ننحدر من قمة الجبل إلى السفح وقد استغرق نزولنا الجبل قرابة ثلاث ساعات وهذا الجبل هو الفاصل بين نورستان وبدخشان، وفي خضم الجبل توجد ثلاث طائرات منها طائرة لاتزال تحتفظ بجديتها وآلاتها ولم يأكلها الصدأ بعد، وفي غابة صغيرة رأينا المجاهدين الذين يرتدون الألبسة الخاصة (أردية الجيش وبأحذية ذات نوع واحد) وقفوا في انتظارنا واستقبالنا وكانت هذه المجموعة المتقدمة عبارة عن سرية متقدمة لأمنيات الطريق وتأمين المبيت في هذا المكان، وبتنا في وسط هذه الغابة التي تسفح سبرات رياحها الوجوه وتلذع نسماتها القارسة الأعصاب، وقد تناولنا طعام العشاء من لحوم الظباء (الغزلان) وكانوا قد اصطادوا لنا مجموعة من الغزلان وفي الصباح غادرنا وسرنا حتى زالت الشمس وشارفت الساعة الثانية ظهرا وإذا بأخوين عربيين (أبي طه العراقي، شقيق ياسين وأبي أيوب، والثاني الأخ يونس المصري) وكان لقاء حارا وعناقا يعبر عن أخوة عميقة وأشواق دفينة لم يتمالك أبو طه نفسه حتى فاضت العبرات وسالت الدموع على الوجه سيلا .
قال أبو طه: نحن عائدان إلى باكستان ولكن قدومكم جعلنا نغي ر خطتنا فلابد من مرافقتكم بضعة أيام حتى نقوم ببعض الخدمة وكانا مستأجرين لفرس معها صاحبها وفرس آخر لهما خاصة -ملكا لهما - فسر حا صاحب الفرس ودفعا له الأجرة ثم عادا أدراجهما يرافقاننا هذه الرحلة. وأخبرنا أبو طه: إن الأمير على بعد ساعة، وكلمة الأمير إذا أطلقت في جهة الشمال فإنما تعني أحمد شاه مسعود.
وبعد قليل وإذا بمسعود وأرينبور ونجم الدين ينتظران على تلة، وترجل الأستاذ رباني وترجلنا وكان عناقا حارا بيننا وبين هولاء القادة الثلاثة ووقفت وكأنني لأول مرة أرى الجهاد أمام سرية تعدادها مائة مجاهد

منظمة واقفة في طابورين عسكريين بأسلحتهم، ذوي بزة عسكرية متشابهة ووقفة تنم عن العزة وتحيي في أعماق النفس الافتخار بهذا الدين الذي يضمنا وبهذه القيم التي تجمعنا وتحت راية لا إله إلا الله التي تلفنا.

سالت من الغاب الشبول غلابها لبن اللباة وهاج عرق الضيغـــم

لينم أبو الأشبال ملء جفونـــه ليس الشبول عن العرين بنــوم

وتقدم قائد السرية وألقى التحية العسكرية للأستاذ رباني وتكلم الأستاذ أرينبور كلمة حيا فيها القادمين، ثم تكلم الأستاذ رباني كلمة طويلة وقدمني وتكلمت عن دور الجهاد الأفغاني في صناعة التاريخ الإسلامي من جديد، وكان لقاء تاريخيا ودوى فيه التكبير وعلا فيه الهتاف وأما أحمد شاه مسعود فلم يتكلم سوى أنه أشار إلى أرينبور بأن يتكلم ثم ركبنا الجرد الأبابيل من العتاق المذاكي وانسابت بنا الخيول متوجهة إلى قاعدة (كران ومنجان) وعلى الطريق كان أحمد شاه يتكلم مع رباني وعبد الله أنس يترجم لي ونحن نمتطي صهوات الجياد.

خيول لاتضاع إذا أضيعـــت خيول الناس في السنة الجماد

ينازعن الأعنة مضيعــــــات إذا نادى إلى الفزع المنــادي

فقلت للشيخ رباني ممازحا ، قل لمسعود أين ذهب لحمك (فما هو إلا الجلد والروح والعظم). ثم قلت له بيت المتنبي:

كفى بجسمي نحولا أنني رجل لولا مخاطبتي إياك لم ترني

فابتسم وتكلم مشيرا لعبد الله أنس: لقد قلت له (لعبد الله أنس). إذا رجعت وحدك فلن نسمح لك بدخول "بنشير". وعبد الله أنس له مكانة مرموقة في قلب أحمد شاه وفي نفوس أتباعه، وكان عبد الله أنس إذا ظهر بين المجاهدين أشارت إليه الأصابع وبدأت الألسنة تردد اسمه، وهو شخصية إسلامية متوازنة ذو أفق واسع، يجد مدخله إلى قلوب مستمعيه ويختلس أفئدة المحيطين به ويأخذ بألباب الذين يصغون إلى كلامه، وطوينا ليلتنا في "كران ومنجان" وفي الصباح خرجنا على الخيول وبدأ أحمد شاه يشرح لنا عملية احتلال كران ومنجان.

فقال : لقد كان الفتح كرامة ربانية قبل كل شيء. ثم بدأ يرينا الجبال التي تسلقها المجاهدون وتعجب كيف استطاع المجاهدون أن يتسلقوها وهي قائمة تناطح السحاب كأنها جدار أملس، وكم يشدك تصميم هؤلاء وعزيمتهم، وطاقتهم، قال مسعود:

لقد تسلقوا هذه الجبال خمس ساعات متواصلة في التسلق وشدة البرد تجمد الأطراف وبعضهم يحمل الدوشكا على ظهره وآخر مدفع (75) وثالث مدفع (82) ولولا أني كنت أسمعها من فم مسعود لما كدت أصدق أن طاقة البشر تستطيع القيام بهذا العبء الثقيل. وتحمل هذا العناء وتطيق هذا البلاء، وقال مسعود: لقد كنت لا أستطيع أن أضغط على اللاسلكي لشدة البرد حتى أتكلم فيه، ونفد الطعام وطلب مسعود من إرينبور أية قطعة خبز أو حبة من الحلوى فلم يجد، ومع أن الحصون التي كان يقبع بها الأعداء جد منيعة لا يخترقها رصاص ولا قذائف وهي ممتدة على طول خمسة كيلو مترات إلا أن الله قذف في قلوبهم الرعب

سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين

الآية(151) آل عمران.

واقتحم المجاهدون على الكفار حصونهم وكانت مقاومة شرسة وانقضوا عليهم كالصواعق:

همام إذا ما فارق الغمد سيفه وعاينته لم تدر أيهما النصل

ولم تمض سوى ساعتان إلا ربعا حتى استسلمت جميع المراكز

أرى كلنا يبغي الحياة لنفســـــــه حريصا عليها مستهاما بها صبــا

فحب الجبان النفس أورده التقـــى وحب الشجاع النفس أورده الحربا

والحق أنك لا تدرك الصعوبات التي يواجهها هؤلاء الأبطال في عملياتهم وفتوحاتهم إلا وأنت تقف فوق أمثال هذه الأرض وأنك لتدرك البون الشاسع في الاستعداد العسكري والطاقة والتنظيم عندما ترى هذه المنطقة (علامة داري: كران ومنجان) تتهاوى خلال أقل من ساعتين تحت ضربات المجاهدين، وتقارن بينها وبين قلعة (تشاوني) التي مكثت متمردة شاهقة أمام جموع المجاهدين خمس سنوات، مع أنه لا مقارنة بين تحصينات تشاوني وبين كران ومنجان، ويذهلك الأمر عندما تعلم أن الجبال التي تسلقوها كانت مغطاة بالثلوج، قال أرينبور: لقد أكرمنا الله بالضباب نزحف تحته مع أن السماء كانت صافية.

وأما أرينبور فتحسبه لتواضعه أحد الخدم لا يجلس إلا في طرف المجلس مع أنه فتح مدينة (كشم) قبل أيام فترك الجرحى وجاء لاستقبالنا، وقد كان فتح "كشم" آية من آيات الله و"كشم" محصنة أكثر من "كران ومنجان" وقد كان فيها عشرون مركزا محصنا حول المدينة وفيها مطار محصن تحصينا كبيرا وكل خنادقه تحت الأرض وقد كان قائد الشيوعيين (عبد الرزاق) يقول عن مركزه المحصن في مدخل المدينة (إذا استطاع المجاهدون أن يقتحموا حصني هذا فلا شك أنهم يستطيعون فتح كابل)، والحمد لله (لقد أذل الله الكفار:
فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب
الآية (2) الحشر.
ولقد فتح الله "كشم" على يد أرينبور وولى عليها أحد أتباعه وجاء لمصاحبتنا ومرافقتنا.
شخصية أرينبور:
يعتبر هذا القائد أحد أبناء الحركة الإسلامية الأوائل في أفغانستان ويعده الدعاة أستاذهم ومربيهم، بل يعتبر الآن مفكرا من مفكري الدعوة الإسلامية. ويعتبر الشخص الثاني بعد مسعود في المناطق الشمالية، ويميزه تواضع جم وأدب رفيع عدا ما يذكر عنه من الزهد والعبادة والنوافل.
دخول كشم: واحتل المجاهدون كشم وكأنهم جيش منظم وذلك لأن الإمارة واحدة في الفتح ولم يشترك مع أرينبور سوى مجموعة (سرية) من الحزب الإسلامي يقودهم (فداء محمد) الرجل الذي يشار إلى طيبه بالبنان ويثني على اعتداله واتزانه كل لسان.

فداء محمد وسرية البخاريين:
وسرية فداء محمد من أبناء بخارى الذين هاجر آباؤهم من بخارى قبل ستين سنة، وهم يعدون أنفسهم ويربون أرواحهم لاسترداد بخارى الذي يعتبرونه أهم فرض الأعيان. ومن بين أفراد السرية يلفت نظرك غلامان صغيران أحدهما فيض الله محمد (11سنة) ونور الله محمد (10 سنوات).
قال يونس المصري: قبل فتح كشم سألت نور الله: إلى أين يانور؟. فقال: أنا ذاهب لأقلع شجرة الخلقيين (الشيوعيين) من جذورها وأقطع بذرتهم.
وأما فيض الله الذي كان يخوض المعركة حافيا فكل ما يحلم به بعد الفتح أن يجد حذاء جديدا يلبسه كما قال: أبو طه.
وغلام ثالث اسمه خدا يداد (عطاء الله) 61 عاما فقد أطلق سبعين قذيفة (آر. بي. جي) على المركز الذي دخلوه مع أبي طه وكان أول المقتحمين على الشيوعيين حصونهم.

في قرية آبي:
وفي هذه القرية قرب بنجشير ضمتنا جلسة ممتعة مع الإخوة رباني ومسعود وأرينبور، وبدأ مسعود يتكلم عن معدن اللازورد: الذي يستخرج من الجبال المحيطة فإنه يستخرج من الجبال المحيطة ثلاثمائة وخمسون طنا سنويا ومعدل ثمن الكيلو الواحد 20 دولارا أي أن دخل اللازورد حوالي 7 مليون دولار سنويا . أما الزمرد الأخضر: فهو من الجواهر الكريمة وقد بيع قدر الأصبع منه في هذا العام بمليونين ونصف المليون من الدولارات.
امكانيات أفغانستان:
قال رباني: إنها تزخر بالمعادن: البترول، والغاز في جوزجان، واليورانيوم في قندهار، والحديد في باميان وبإمكان أفغانستان الاكتفاء الذاتي بالقمح والأرز والسكر.
قال أرينبور: إن أزمتنا هي أزمة الرجال من الدعاة الذين يحملون أعباء الحكم الإسلامي فأجبت: إن في العالم الإسلامي طاقات كثيرة سواء من أبناء الدعوات أو من المسلمين الملتزمين وبإمكانكم بعد أن تمسكوا بزمام الحكم وتمسكوا بمقود القيادة في أفغانستان أن تستعينوا بهذه الطاقات الضخمة شبه المعطلة في العالم العربي والأدمغة المهاجرة في أمريكا وأوروبا.
إن الخطوة الأولى أن تطيحوا بالحكم في كابل وعساه أن يكون قريبا وبعد هذا فالأمر سهل -بإذن الله-.
وإن الذي أعانكم على خوض هذا المضمار المضطرم باللهيب خلال عشر سنوات وقد اجتزتم هذا الخضم المتلاطم من الصعاب والمشاكل والعقبات، هو سبحانه قادر على أن يعينكم في ارساء قواعد الحكم الإسلامي في ربوع أفغانستان

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون
الآية (21) يوسف.
قلت لمسعود : نريد أن نخوض معكم عملية افتتاح إحدى المدن أو المراكز الكبيرة.
فرد أرينبور: إن حياتك ليست ملكا لك ولا لأفغانستان إنما هي للأمة الإسلامية جميعا ، فأجبت:
وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا
الآية (145) آل عمران،
ورددت :
أي يومي من الموت أفر يوم لاقدر أم يوم قـــــدر
يوم لا قدر لا أرهبـــــه ومن المقدور لا ينجو الحذر
وأضفت قائلا : إن كثيرا من الدعاة كانت شهادتهم أفضل للدعوة وللإسلام من حياتهم:
ففي القتلى لأجيال حيـــاة وفي الأسرى فدى لهم وعتق
وللحرية الحمراء بـــــــاب بكل يد مضرجة تــــــدق
ثم ذكرت قصة استشهاد سيد قطب وكيف كانت دفعة قوية للدعوة الإسلامية في العالم وهزة عنيفة أيقظت الكثيرين من المسلمين من سباتهم وكانت بداية للصحوة الإسلامية التي أصبحت ظاهرة في الربع الأخير من هذا القرن.
وأضفت قائلا : إن تفسير في ظلال القرآن لم يطبع في حياة سيد سوى مرة واحدة ولكن في السنة الأولى بعد استشهاده طبع سبع طبعات.
فعقب أحمد شاه قائلا : إن كان لديك وقت ففي مخططنا سلسلة عمليات ونحن ننتقل وإياك في السيارة فقلت: إن شاء الله أمشي أو أكثر.
قال الشيخ رباني: نحن هنا جنود عندكم فلا نأمركم بشيء. فقلت: نعرض رغبتنا بالقتال ونحن نلتزم بالأوامر ونأمل من الله أن يرزقنا الشهادة في سبيله.
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

البغل بمائة شيوعي*
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد التاسع والأربعون- ربيع الثاني 1409هـ، الموافق ديسمبر 1988م].
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده ، وبعد:
يشهد الحزب الشيوعي الأفغاني حالة من الهزال والإحتضار، يعد فيها أيامه ليلفظ أنفاسه الأخيرة.
ولم أشهد في حياتي حالة من الذل والهوان والحقارة يحياها حزب حاكم مثلما يعيش الحزب الشيوعي الأفغاني في هذه الأيام بشقيه(برشم وخلق)، وبرشم هو الجناح الشيوعي الذي أسسه بابرك كارمل وخلق هو الجناح الآخر الذي أسسه محمد نورتراقي. ومن المعلوم أن الرئيس (نجيب) هو أحد أعضاء برشم.
وقد كتب الله لي ليلة أمس أن التقي بمجموعة من القادة حول كابل في مناطق " قره باغ" و"استالف" و" شكردرة " في بيت يقبع في خطم أحد الجبال التي كانت مسرحا لأحداث صنعت التاريخ الإسلامي الحديث. وذلك في منطقة" بارندة" التي تقع في أحضانها قرية " جكدلك" مسقط رأس أحمد شاه مسعود القائد مسلم، وقرية "مالاصبا" وهما جد متجاورتين ومابينهما من أكوام الحديد، والآليات وعجلات المدرعات وجنازير الدبابات**T55** ، **T62**مما خلفته المعارك في سنتي 1986 و 1987 ومما لم يستطع الروس أن يسحبوه لتعذر ذلك عليهم تحت حمم المجاهدين المتساقطة عليهم من الجبال المتجاورة والذين تقذف بهم التلال وقمم الجبال في ساعة الشدة ، مايحسبهم أعداء الله ضربا من الجن قد انشقت عنهم القمم وألقت بهم السفوح وفي لحظات خاطفة يجرون عملياتهم ثم يختفون في لمح البصر كأنما انشقت الأرض وابتلعتهم وكأن لم تغن الساحة قبل ساعة ببشر .
كأن لم يكن بين الجبال أو الـغضى أنيس ولم يبرز بها أي ضيغـــــــم
التقيت بهم وبدأوا يتحدثون بوقائع تحسبها ضربا من المزاح أو نوعا من المجاز لتقريب الصورة الى ذهـن السامـع وليسـت حقائـق تجري أحداثـا يوميـة في السـاحة الواسعة حول كابل التـي طالمـا تغـنـت بالشـيوعيـة ودوت ارجـاؤها بشعاراتها.

التقيت بالقادة محمد أنور والقاري محب الرحمن وأمير صوفي رسول من استالف وقره باغ وسلطان محمد من بغرام وجمعة خان من كوشي وأختر محمد قائد في شكردره فطلبت منهم أن يحدثوا عما جرى على أيديهم أو رأوه بأم أعينهم وكان البيت ممتلئا بالقادة والمجاهدين وكان الأستاذ رباني وعبد الله أنس بين الحاضرين .
وقد ذكرتهم بالله أكثر من مرة وقلت لهم : نحن ننقل الى العالم الإسلامي وأنتم مسؤولون عن كل كلمة بين يدي الله غدا، .فافتتح الحديث أختر محمد باللغة الفارسية مع أنه يستطيع أن يتعتع بالعربية ويتكلم بها بصعوبة بالغة . وكان يتناوب الترجمة الشيخ رباني والأخ عبد الله أنس .
قال أختر محمد : كان الروس قبل عدة أعوام يقولون للشيوعيين الأفغان أفغانستان إما أن نحكمها أو يحكمها الباسماش (الأشرار) الذين يعيشون في الجبال -يعنون المجاهدين- أما أنتم فلن تستطيعوا أن تثبتوا أقدامكم فيها .
وقد جاء الزمن بمصداق ما كان الروس يرددونه. فمنذ أن أعلن "غوربتشوف" عن موعد انسحاب الروس حتى الآن والروس الذين في أفغانستان لا تكاد الدنيا تسعهم فرحا وغبطة و هم يعدون الأيام التي يقطعونها حتى يأتي موعد خروجهم وهم يتصلون بالمجاهدين قائلين لهم:
نحن في هذه الأيام ضيوف عليكم فدعونا ودونكم بني جلدتكم .
بل أخذ الروس يتسلون بمرأى الشيوعيين الأفغان يقادون الى الموت على أيدي المجاهدين ويرون في هذا تنفيسا لأحقاد حبيسة وآلام عميقة وجراحات غائرة خلفتها في مسارب نفوسهم هذه المجازر التي شهدوها ، وكانت ثمنا للأمجادالشيوعية التي كان يحلم بها أمثال تراقي وحفيظ الله أمين وكارمل ونجيب، ثم تبدت سرابا للناظر أو سحابة صيف عن قليل تقشع .
لقد شعر الروس أنهم خ دعوا من قبل الحزب الشيوعي الأفغاني اذ صو روا لهم أن أفغانستان طعم سائغ وصيد ثمين فيما لو تخطت أقدام الجيـش الأحمر نهرجيحون (أموداريا) فانزلقت أقدام الدب الأحمر الذي تحطم على صخرة المقاومة الإسلامية التي تفجرت في أعماق هذا الشعب الأبي المسلم .
حدثني أحمد شاه مسعود قال : لقد عرض على الروس سنة 2891 هدنة مؤقتة لمدة ستة أشهر ، وجاء الدبلوماسي الروسي وجلست معه عدة ليال وفي الليلة الثالثة وإذا بالكلام ينساب على لسانه ينفس فيه عن آلام حبيسة في صدره فقال :
(أنت لاتعلم الحالة النفسية التي نعيشها ، لقد ادخلنا "بريجنيف "الأحمق هذه الأزمة الخانقة والدوامة العنيفة التي لانعلم لها حلا ، اننا نشعر كأننا مقيدون بالأغلال ونبحث عن طريقة فك هذه القيود) ، ثم قال مسعود:(وهممت أن أسجل هذا الكلام في ليلة لاحقة ولكني رأيت أن علو النفس تأبى علي استعمال هذه الأساليب الخسيسة وترفض هذه الوسائل الدنيئة) وكان مير داد المسؤول الشيوعي البنجشيري في الجلسة فأشار اليه الروسي قائلا : إن هؤلاء - بائعي الوطن - يتحملون كل النتائج، والآن آن الأوان أن ينفسوا عما في صدورهم من آلام وآحقاد تجاه هذه الطغمة الشيوعية التي باعت بلادها واستقدمتهم ليكونوا ضحية على مذابح أهواء نجيب وكارمل، وقدموا من الضحايا حسب اعتراف الناطق الرسمي مايقارب خمسين ألفا بين جريح وقتيل ودعك عن الطائرات المحطمة التي بلغت حسب إحصائيات الدوائر الرسمية الأمريكية والباكستانية من خلال أجهزة التنصت والأقمار الصناعية في التقرير الأخير في شهر أغسطس سنة 1988م ألفين وثمانين طائرة ومثلها تقريبا من الطائرات المستهلكة وسبع عشرة ألف دبابة ومدرعة واحدى وعشرين ألف ناقلة ، ولا تسل عن الأموال التي أنفقت وذهبـت أدراج الريـاح .
يحدث أختر محمد ويؤمن القادة على صحة كلامه فيقول :لقد وصلت التسعيرة الأخيرة للحزب الشيوعي الأفغاني عند الروس في الأيام الأخيرة كالتالي :
(1) القادة الكبار الذين يشكلون جهاز المخابرات (خاد) ثلاثة آلاف روبية أفغانية (خمسة عشر دولارا).
(2) القادة الصغار : ألفا روبية أفغانية (عشرة دولارات) .
(3) الجنود الشيوعيون : خمسمائة الى ألف روبية(دولاران ونصف الى خمسة دولارات).
فإذا كان ثمن البغل في أفغانستان يساوي خمسين ألف روبية أفغانية فهذا يعني، أن (البغل بمائة شيوعي) .
قال أختر محمد : ففي الأيام الأخيرة كانت (بوستة : مركز) للشيوعيين الأفغان اسمها بوستة (حسين) وكانت تؤذي المجاهدين كثيرا فذهب المجاهدون الى الروس لشراء المركز الأفغاني فطلب الروس ثمانين ألف

روبية (أربعمائة دولار) فلم يتفقوا. وفي اليوم التالي ذهبت مجموعة أخرى من المجاهدين وقدمت للقائد الروسي (مسجلا وثلاثة أحزمة وسط) فتقدم الروس بالدبابة ودكوا المركز بمدافعهم ، ثم تقدم المجاهدون وقتلوا من قتلوا وأسروا من أسروا وغنموا 12 "كلاشنكوفا" و" دوشكا" (سلاحا ثقيلا) ولاسلكي وعاد المجاهدون يحملون الغنائم والروس يهتفون :
زنده باد مجاهدون (يعيش المجاهدون).
وحدث لال محمد قائلا :
في قرية (توتم دره / غوربند) باع الروس للمجاهدين شاحنة قادمة للحكومة الأفغانية مليئة بالملابس والفحم الحجري بصندوقين من العنب .
حدث "سيد ظفر " قائد "سالانج " فقال :
قال لنا الروس : دعونا وحالنا وشأنكم مع بني قومكم من الشيوعيين ، خذوا من السيارات من الطريق العام ماتشاؤون .
وحدث أختر محمد قائلا :
لقد اشتريت أكثر من عشرين مرة أنا والمجاهدون مراكز شيوعية بمسجل ويتقدم الروس يدكون البوستة بالدبابة فيدكون المركز ونحن نركب معهم ثم نتقدم ونأخذ الغنائم والروس يهتفون لنا: (يعيش المجاهدون).
وكم من مركز للشيوعيين باعه الروس بثلاث دجاجات أو شاة**!!**

بيع الطريق العام :
وحدث أختر محمد والقادة يؤمنون أن الروس يضمنون الطريق العام (يبيعون مايمر فيه من السيارات لمدة يوم أوساعات) للمجاهدين وقد اشترى عبد الناصر من الحزب الإسلامي الطريق الوطني (الأوتوستراد:العام) بمائة ألف روبية لمدة ساعتين وأخذ عشرين سيارة .
ويشتري نورز وعبد القيوم الطريق العام يوميا - من الروس - بخمسين ألف أو ستين ألف روبية (مائتان وخمسون دولارا).
فيأخذ السيارة بما فيها فإن كانت السيارة للحكومة أخذها ومافيها وإن كانت خاصة وفيها صاحبها أخذ مافيها وأعطى السائق ورقة أني أخذت حمولتهافيأتي السائق بالورقة التى امضاها قائد المجاهدين فتعطيه الدولة الشيوعية أجرة سيارته .
قال أختر محمد : وقد اشتركت مع بعض المجاهدين في شراء الطريق العام ذات يوم ولكن وللأسف كانت السيارة التي أخذناها محملة بالإسمنت فحزنا لذلك .

موقف الحكومة الشيوعية :
وقد أصبح موقف الحكومة (نجيب) والحزب الشيوعي جد هزيل فصارت تتظاهر بالإسلام وفتحت باب التجارة الخارجية للتجار على مصراعيه فأضحت كابل سوقا دولية للبضاعة العالمية فنجد في أسواقها البضاعة الغربية والشرقية على السواء ففيها الصناعات اليابانية والبريطانية والكورية والصينية والروسية وقل ما تتفقد سلعة إلا وتجدها في أسواقهامع أنها دولة اشتراكية تقف دون التوسع الاستهلاكي وتحول دون التجارة الخارجية إلا في أضيق الأطر وما ذلك إلا لتخفف على الناس من آلام المعاناة وتنسيهم الواقع الأليم الذي يحيونه.
وقد ذكرنا من قبل أن نجيبا - رئيس الجمهورية- أصدر مرسوما يقضي بفصل أي موظف يتغيب ثلاثة أيام عن صلاة الجماعة.

السيطرة على ممر سالانج :
واستولى المجاهدون على ممر سالانج وأمسكوا بالزمام وحطموا في شهر مارس أربعمائة سيارة من بينها عشرون دبابة وقطعت المواد الغذائية عن كابل وأصبحت كابل تئن تحت وطأة الجوع ونقص المواد الغذائية ، فصارت الشاحنات الروسية تفرغ حمولتها في بولخمري / بغلان وتتصل بالحكومة الشيوعية في كابل حتى تستلم هذه البضائع ولكن وزارة التموين في كابل تقول : أنا لا أستطيع أن أوصلها الى كابل وتعتذر روسيا عن ايصالها الى العاصمة وعندما يعلم المجاهدون بتفريغ الحمولة في بولخمري يتصلون بوزارة التموين في

كابل : لئن أفرغت الشاحنات في بولخمري لن تصلكم شاحنة فترد عليهم الوزارة :(نحن نلتزم بما ترون اسمحوا لبعضها بالمرور وخذوا بعضها هكذا كان يحدث الكومندان عبد البصير قائد من سالانج ونحن نصغى اليهم مندهشين متعجبين . وهذا الوضع جعل الناس في كابل يصرخون في وجه الحكومة (ام ا أن تؤمنوا لنا العيش واما أن تسلموا البلد لغيركم).

حصاد السنين بالنسبة للشيوعية :

وهكذا عاد الحزب الشيوعي يجني حصاد السنين فلا رضي عنه سيده الحاكم في الكرملين
كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال اني برئ منك إني أخاف الله رب العالمين
الآية (16) الحشر.
ولا رضي عنه الجيش الذي يعتبر أن الشيوعية هي :الدمار وسفك الدماء وانتهاك الأعراض وتدمير المساجد .
وحيثما سرح الفلاح الأفغاني العادي نظره : يجد أن المآسي التي تغمر المجتمع بأسره ليس لها الا سبب واحد وهو: الشيوعية (برشم وخلق).
فقد كان الأفغاني قبل سني حكم الشيوعية اذا ترامى الى مسامعه كلمة كفر ينصرف ذهنه الى اليهود والنصارى والمجوس والهندوس .
وما كان يدور بخلده أن الشباب الذين كانوا يملأون جنبات كابل دويا وصراخا أثناء المظاهرات ممن يعتنقون الفكر الشيوعي هؤلاء من الكفار وأما الآن فإذا أطلقت كلمة الكفر فلا ينصرف ذهنه إلا إلى برشم وخلق .
ان الأفغاني يتلفت حوله ليتفقد والده فيتذكر أن تراقي الشيوعي هو الذي دفنه حيا واما أمه فقد دفنت تحت ركام البيت أيام حفيظ الله أمين ، وأما اخوانه فقد استشهدوا أيام كارمل . وهذه ابنته التي شوهت بالنابالم وهذا ابنه الذي شل بشظية من الشظايا. كل هذا يغرس في أعماقه احقادا على الشيوعية الكافرة لاينفسها إلا الإنتقام ولذا فإذا من الله على أفغانستان بالحكم الإسلامي ووقف الحاكم الإسلامي في كابل ليقول اذهبوا فأنتم الطلقاء . فان هذا لن يؤمن الشيوعيين على دمائهم ولن يحفظ لهم أرواحهـم ،لأن كل أفغاني موتور على هؤلاء يريد أن ينفس عن مآسيه بالانتقام من قاتل أبيه . ولذا وكماأظن :
لن يبقى شيوعي واحد حيا في داخل أفغانستـــان .
وكما قال الشيخ يونس خالص (نحن الأفغان إن أخذنا بثأرنا بعد مئة سنة نكون قد استعجلنا).

الحقيقة المرة :

والشيوعيون يدركون هذه الحقيقة أنه لم يعد لهم بقاء في داخل أفغانستان، وأصبحت الحياة شبه مستحيلة بالنسبة لهم خاصة وحكمهم يلفظ أنفاسه محتضرا على فراش الموت .
ولذا فقد أصدر مجلس الوزراء الشيوعي أخيرا قرارا يسمح لكل مواطن أن يأخذ جواز سفر يمنحه حرية التنقل والخروج، وتتوالى الأنباء عن طوابير الشيوعيين المصطفة بأية دائرة للجوازات كل يريد أن يفر بروحه من هذا البلد الذي أغرقه بالدماء وفرشه بالأشلاء . وأخذ الشيوعيون يصفون املاكهم ويحاولون أن يحصلوا على مبلغ من العملة الصعبة يؤمن لهم بقية حياتهم في دولة من دول أوروبا الشرقية .

محاولة يائسة :

وتقدم مجلس الوزراء بطلب إلى السيدة الحاكمة روسيا أن تتمهل في سحب قواتها من أفغانستان ويلتمسون بكل وسيلة ذليلة لها أن تحفظ لهم بقيةحكمهم المهتز المترنح .
وقدم الطلب الى وزيرالخارجية السوفياتي "شيفرنادزه" فيرفض أن يتسلم الورقة بيده .
وهكذا وقف الشيوعيون يتجرعون غصص حصاد عقد ونصف من الزمن ، فيقفون أمام روسيا ناكسي رؤوسهم خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي . والسادة الروس الذين في أفغانستان يطلقون عليهم (وطن فروش : بائعي الوطن) ومن جهة أخرى امام شعب يتلمظ غيظا وغضبا ينتظر الساعة التي ينقض فيها عليهم ليبيد خضراءهم ويهلك حرثهم ويجتثهم من الجذور .
والحق: ان الشيوعيين الأفغان فشلوا في بيع أفغانستان للروس فباعهم الروس للمجاهدين.

ولم أر الآية الكريمة:
لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لاي نصـرون
الآية (16) فصلت.
متمثلة في مجموعة أكثر منها في الحزب الشيوعي الأفغاني في هذه الأيام .
ومأأجمل مايقوله أبوالطيب فيهم :
ذل من يغبط الذليل بعيش   رب عيش أخف منه الحمام
وصدق الله العظيم :
... ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا ياأولي الأبصار
الآية (2) الحشر

مسيرة عقد
في جفن الردى *
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الخمسون- جمادي الأولى 1409هـ، الموافق يناير 1988م].
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده، أما بعد:
فنحن الآن على أبواب عام عاشر منذ الدخول الروسي إلى أرض أبي حنيفة، أما الانقلاب الشيوعي فقد مضى عليه عشر حجج ونيف، وقد كتب الله لي أن أواكب هذه المسيرة المريرة على طول هذا الطريق الدامي نيفا وسبع سنين ذقت في دربها مالم أذق قط في حياتي، ذقت الحلاوة في مرارتها، واستعذبت العناء في عذابها، وكنت أحس بأن ثقل الأحداث التي تلقي بكلكلها على عاتقي تصفي النفس من غواشيها وتنضج الروح على حرارة محنتها:
عذابه فيك عذب   وبعده فيك قرب
أتيت الجهاد الأفغاني ولم يخط الشيب في عارضي، ولهول مارأيت فقد اشتعل الرأس شيبا، لقد عايشت الجهاد الأفغاني في هذه الفترة يوما يوما بأعصابي وقلبي ومشاعري وأحاسيسي وصرت أردد مع أبي الطيب:
لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي   شيئا تتيمــه عين ولاجيــد
وقد درنا مع الدهر فرأيت من رفع ومن وضع، وكنا نتقلب بين أعطاف نعيم النصر أحيانا ، ونتجرع غصص الهزيمة أخرى، صاحبنا فيها المجاهدين من القادة إلى الجند، حتى أصبحت أرواحنا واحدة مفرقة في جسوم كثيرة، والشعب الأفغاني بطبيعته قريب إلى القلب، تهواه الأفئدة، لأنه يحمل في طيات جبلته سجايا قل ما توفرت في شعب آخر، ولم تفسد فطرته سيول المدنية الغربية التي تجرف كل مايواجهها من قيم وتغسل ماتلاقيه من مبادئ ومثل.
عرفنا في الشعب نخوته وإباءه، وعزته وصفاءه، وكرمه وحياءه، وغيرته ووفاءه رغم أن البعض كان يعتب علينا أحيانا ، ويجد أخرى، ولكن محبة هذا الشعب هي السمة البارزة في شغاف القلب طيلة هذا العقد. تجاوزت فيها عن سفساف الأخلاق، لأني منشغل بالقضية بضخامتها وأهميتها وعلو شأنها في العالم المعاصر (إن الله يحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها) (1).
وكنت ابان هذه الفترة ازداد اعجابا بهذا الشعب لأنه رغم الارزاء الفوادح، والأضاحي التي تقدم لهذا الدين والذبائح على سفوح الهضاب والصفائح، فإن الإصرار العنيد لايفارق همته، والعز المجيد لايغادر لمته. ويواصل المسيرة مع القرح، وحداؤه طول الطريق المرير
ولا تهنوا ولاتحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين .
الآية (139) آل عمران
ونشيده في هذه المسيرة المضنية:
أأطرح المجد عن كتفي وأطلبه   وأترك الغيث في غمدي وأنتجع (2)
والمشرفية لازالت مشرفـــــة   دواء كل كريم أو هي الوجع (3)
شعب طحنته المصائب، وصبت عليه النوائب، عاش بين فكي الكماشة، وهصرت نضارة حياته رحى الحرب، في تجاعيد جبينه تقرأ ملاحم الآلام العميقة، وفي قسمات وجهه تلمح التاريخ المعاصر كوثيقة.

لقد كانت المسيرة سفينة أشرعت فوق أبحر الدماء، ومركبا تقاذفته أمواج البلاء وطريقا انداؤه الدموع والعرق وزاده الغصص والعناء ولكن:

هي نفرة كالتي من طابة حطمت هام الطغاة ودو ى بعدها الظفر
تدافعت وحداها المجد واتــزرت بالبيض تسبقها الخطية السمر(4)

وكنت طيلة المسيرة المريرة ارى بعين البصيرة وكأن يد الله تدير المعركة، وبقيت أحس من أعماقي أن قدرة الله وراء هذا الشعب المسحوق ظلما.

القوارع الربانية على روسيا :

أقبلت بخيلها وخيلائها، وصلفها وكبريائها، وجبروتها وانتفاخ عليائها، ثم رأيتها باندحارها وصغارها وذلها وهوانها، بعد أن أعادت ضربات المجاهدين فوق هامها الوعي الى رأسها، ورأيت العد التنازلي للعسكرية السوفياتية بعد أن مزقت شر ممزق في أرض البطولة والفداء.

شاركت المجاهدين بفرحتهم بهلاك "بريجنيف". ثم باندثار "اندروبوف" ثم بفطس "شيرننكو"، ثم بذل "غوربتشوف" ورأيت يد الله وهي تنتقم بقوارع السماء من جذور البلاء وصانعي الشقاء للأبرياء.

رأيت انفجار المفاعل النووي في شيرنوبل الذي أفسدت آثاره كثيرا ، ونغصت على أهل أوروبا عيشهم.

ورأيت الزلزال الأخير في "ارمينيا" الذي لم تشهد له روسيا نظيرا في كل حقباتها التاريخية وكان الدمار الذي خلفه والخراب الذي انتجه مئات الأضعاف من انفجار شيرنوبل. هلك مائة ألف، ومات ثلثا سكان العاصمة (لينين كن) وحمل الزلزال المساكن ثلاثة أقدام وألقاها إلى الجبل فارتطمت به ثم عادت لتخسف بها الأرض، وتشرد نصف مليون من ارمينيا وافتتحت روسيا حسابات لجمع التبرعات في كل مكان، وجاءت طائرتان للأغاثة فتحطمتا. وهكذا سخط الله يتصبب، ولعنته تتنزل عليهم لأنهم وقفوا أمام ولاية اذربيجان الاسلامية.

رأيت تاجكستان وتركستان الغربية تهتز لأن الحياة قد دبت فيها، والروح سرت في أوصالها بسبب اضطرار روسيا لفتح الجسور مع صنيعتها في كابل، وتسربت الكتب الاسلامية والمصاحف لتقرأها ذراري المسلمين فيرتبطون بدينهم وتاريخهم ويدخل المجاهدون ويجرون العمليات العسكرية على مشارف بخارى، وتبدأ المظاهرات ويقتل المئات من تاجكستان، وتضطر تاجكستان أن تبدأ بالاذان باللغة العربية بعد أن غاب هذا الصوت أكثر من نصف قرن، وبدأت الإذاعة تقرأ القرآن وذلك تسكينا لشعب تاجكستان وإرضاء لمشاعرهم.

الصنم الذي هوى :

ورأيت ورقة الشيوعية تحترق في أفغانستان نهائيا بعد أن مرغت في الأوحال وديست بأقدام الأبطال الذين يحلو لي أن أنشد لكل واحد منهم:

تلقاه يقطر سيفه وسنانه وبنان راحته ندى ونجيعا (5)

ورأيت الدمار الذي حل بالحزب الشيوعي والتمزق الذي أصابه والبأس الشديد الذي ألقاه الله بين أفراده يصفي بعضهم بعضا ، ورأيتهم يستجدون رحمة المجاهدين ويستعطفون قادتهم، رسائل بابرك ونجيب تتوالى تترى إلى المجاهدين يتوسلون إليهم أن يجلسوا معهم وأن يطرحوا أمامهم مشاكلهم وجند الله يستعلون بايمانهم ويأنفون أن ينزلوا مع هؤلاء الأنكاس الأنجاس، ورأيت الروس يبيعون الشيوعيين الأفغان كالكلاب التي يقتلها صاحبها اذا كلت أنيابها عن النهش أو عجزت عن الحراسة.

العزة والشموخ :

ورأيت كيف لفتت بطولة الأفغان وعزتهم أنظار العالم إليهم حتى أصبحت قضيتهم أكبر حدث يشغل العالم ومؤسساته.

وعايشت الأحداث وواكبت المسيرة ورأيت عزة السلف وشموخهم ممثلة في أبنائهم فرأيت كيف رفض حكمت يار مقابلة "ريغان" وكيف واجه سياف بعزة المسلم واستعلائه ارماكوست - وكيل الخارجية الأمريكية- والصفعات التي وجهها إليه، ورأيت يونس خالص كيف رفض مقابلة كوردفيز، ورأيت رباني وهو يرد على روسيا بعزة وإباء في داخل أروقة الأمم المتحدة. وسمعنا رده وهو رافع الرأس ناصع الجبين على غورباتشوف.

والنشيد العذب على لسان كل واحد منهم:
وإني لمن قـوم كـأن نفوســهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

المكائد والمصائد :
ولمست بيدي مؤامرات العالم على هذا الدين وهم يرتعدون رعبا اذ يرون دين الله قادما بخطى حثيثة نحو الحياة ليأخذ بيده المقاد ولتسلس له الناس القياد رأيت الكيد تجاه الاسلام، وأبصرت أعداء الله يعض ون أصابع الندم إذ لم يخنقوا هذا المولود المبارك قبل أن يولد، وكيف تركوا هذه الشجرة تضرب بجذورها وتستوي قائمة على أصولها دون أن يجتثوها.
سمعنا "نيكسون" يقول على شاشة التلفاز (ان العدو الحقيقي هو الاسلام ولابد لأمريكا أن تتناسى خلافاتها مع روسيا حتى تواجه الاسلام)! وكتب شخترمانـاليهودي الأمريكي:
We have Awaken the Giant؟What We have done)
ماذا صنعنا ؟ لقد أيقظنا العملاق.
ثم كانت مؤامرة جنيف لإيقاف الجهاد، فاشتعلت ناره بعدها وزاد ضرامه ليرى البشر أن المقادير بيد الواحد القهار وليس للبشر من الأمر شئ، ثم قتل ضياء الحق. محاولة من الغرب أن يطفئ نور هذا الحق
يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون
الآية (8) الحشر.

والآن نحن على أبواب كابل:
وآمل من الله أن يكون هذا العام هو عام الفتح، إذ أن كل المدن في أفغانستان محاطة إحاطة السوار بالمعصم من قبل المجاهدين وهي تترنح لتسقط بقيادتها الشيوعية تحت أقدام الأباة الكماة الغر :
لاأبعد الله عن عيني غطارفة جن ا إذا ركبوا إنسا اذا نزلوا
ونحن نرى بفضل الله الأمل فوق رءوس البيـــض (6) والأسل .(7)

روسيا والعد التنازلي :
وأخيرا وبعد أن يئست روسيا أن تحسم القضية عسكريا فقد طلبت بنفسها أن تقابل المجاهدين وجها لوجه في الطائف وعلى قدم المساواة مع المجاهدين، ومبدأ المفاوضات لا غبار عليه من جهة الأصل لاشرعا ولا مصلحة -ولكن بشروطه الشرعية التي نص عليها الفقهاء والتي لايتسع لها هذا المقال-.

والآن هذه أفغانستان :
أبطالها لكثرة ماعانوا كأنهم ظلال ، بناؤها لما أصابه من الدمار كأنه أطلال
أنضاء طل ت دمعهم أطلالهم فتخالهم بين الرسوم رسوم (8)
كم من الأرجل سقطت بسبب الثلوج لأنها لاتجد الحذاء؟ وكم من ثاكل فقدت وحيدها لاتجد رغيفا يسكت جوعتها؟ كم من بيت تهدم فوق أهله فلم يبق منهم سوى طفلة صغيرة لاتعرف لها أهلا ؟ كم من شاب أو قائد طالما زلزل الأرض تحت أقدام روسيا ومع هذا فعندما جرح لم يجد أجرة توصله إلى مكان علاجه؟ لقد مر علي المجاهد شاه سليمان وقد اسقط خمس طائرات في يوم واحد لايجد العلاج
فتلك ربوعـهم بالدافـق المـو ار تغتســل
وتلك جماجم الاطفال تسحق وهي تبتهـل
وكـل قذيفــة يشــدو علــى أنغامــها الأمــل
ورأس الشعب مرتفع وموج البذل متصــل
ومع هذا فلم تلن لهم قناة ولم تهن لهم شكيمة:
وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وماضعفوا وماستكانوا والله يحب الصابرين
الآية (146) آل عمران.

كلمة من الأعماق إلى كل مسلم :

إنه من العار على أمة أن يكون بعض بنيها يخطون تاريخها بالدماء ومع هذا فلا تقدم لهم الأمة ثمن الضمادات التي توقف نزيفهم، ومن الإثم على أهل ملة أن يكون إخوان العقيدة فيهم درعا لدينهم ودثارا لملتهم وشعارا لعزتهم ومع هذا فإن ابناء ملتهم لايقدمون لهم ثمن الطعام، ولايتكفلون لهم بالكساء ولا بلقمة الغذاء.

فماذا على المسلمين ؟..
ماذا على المسلمين لو دفع كل واحد منهم لإعادة دين الله في الأرض مقدار مصروف ابنته الصغيرة؟ وماذا على المسلم لو اعتبر الجهاد الأفغاني كمولود جديد حل على أسرته؟ ماذا على المسلمين لو أخروا تغيير نوع السيارة ؟!! أو تجديد غرفة النوم؟ أو طاقم صالة الضيوف؟ وهل يصوم المسلمون عن المرطبات ويدفعون ثمنها لبناء حصون المجد وقلاع المكرمات ؟
ونحن نهيب بإخواننا المسلمين أن لايتركونا على أبواب كابل وينكصوا، وأن لايخذلونا ويدعونا فرادى نواجه المعارك المصيرية واللقاءات الحاسمة.
انها أيام حاسمة في دورات الزمن وصفحات مشرقة في جبين التاريخ فاصغوا أيها المسلمون إلى النداء الرباني الجليل
يأأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون
الآية (200) آل عمران .

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك. وهو في السلسلة الصحيحة برقم (1378) وفي صحيح الجامع برقم (1885).
(2) أنتجع : أطلب الكلأ أي كيف ألقى المجد الذي يحققه لي الجهاد ثم أبحث عنه، وأترك الرزق الذي يحققه لي السيف ثم أبحث عنه.
(3) المشرفية : السيوف.
(4) البيض : السيوف ، الخطية السمر: الرماح.
(5) البنان: الاصبع، الراحة : الكف، ندى : كرم ، نجيع : دم
(6) البيض : السيوف
(7) الأسل : رءوس الرماح
(8) أنضاء : مهزولين ، طل ت: أروت ، أطلالهم : آثار بين بيوتهم ، أي أن هؤلاء القوم قد رو ت دموعهم هذه الربوع فكأنهم أشباح بين هذه الآثار.

والله غالب على أمره*
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الحادي والخمسون- جمادي الثانية 1409هـن الموافق يناير/فبراير 1989م].
الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لانبي بعده. وبعد.
فعلى أبواب كابل تصطف الجياد وقد احكم الفرسان لجمها والمقاد، والطيران لايهدأ في ليل ولا في نهار، وقلوب القوم مذعورة من الأبرار.
قيام بأبواب القباب خيولهـــــــــم وأشباحهم في قلب أعدائهم تجري
وقد أشام كل ليث مهنده، يرى في بذل دمه مجده وسؤدده، والحق قد اتخذ أهبته وعدته، وعيون الضراغمة ترمي شزرا وتقدح شررا ، وتتلمظ غيظا ترقب الساعة التي تقفز قفزتها لتقصم ظهر الكفر بضربتها، ولسان القوم ينشد لحنه العذب الذي تحيا على أنغامه الأمم، وتصقل من خلاله النماذج والقمم
و لن أصالحكم مادام لي فــــــــــرس و اشتد قبضا على السيلان (1) إبهامي
إنها لحظات حرجة يلتقط فيها التاريخ أنفاسه ويمسك بقلمه منتظرا ماذا يسطر في هذه المرحلة الدقيقة الحرجة من تاريخ الأمة الإسلامية بل تاريخ العالم أجمع.
وعجلة التاريخ تقف على مفرق طريق إم ا أن تطوي الكفر وتمضي على بركة الله لترفع راية الإسلام من جديد وتحيي طارف (2) مجده والتليد(3)، وان كانت الأخرى لا قد ر الله فحسبنا الله ونعم الوكيل وهو العليم الحكيم، ينظر إلى القلوب والنفوس ويهبها ويعطيها حسب مايصلحها ويصلح مجتمعها.

ونحن الآن ننعم بأعظم خارقة حصلت خلال القرون الثلاثة الأخيرة تقريبا وهي انتصار شعب مسلم أمي فقير على أشرس وافتك طاغوت في الأرض.
فهي معركة بين (أشرف شعب وأشرس دب) ورأس مال هذا الشعب توكله على الله، وأما عزته التي تناطح السحاب فهي فريدة الزمان وأما إباؤه وأنفته فتلك لايكبحها عنان وغوربتشوف وأركان جيشه والجنرالات في أرض كابل الملتهبة يصرحون: أن دخول أفغانستان كان خطيئة -كما صرح غوربتشوف- وأن الهزة الاقتصادية التي يتعرض لها الاتحاد السوفياتي كانت بسبب القتال في أفغانستان، ويصرح أحد الجنرالات الروس في كابل: أننا خسرنا بدخولنا كابل ولم نحقق السلام الذي كنا نحلم به وننشده.
ولقد عانى غوربتشوف وجهازه الحاكم الآن في إيجاد تبرير معقول للانسحاب ومقبول لدى الأمهات اللواتي ثكلن أبناءهن في هلمند وهرات والنساء اللواتي تأيمن بقتل بعولتهن في بلخ وطالقان، والأفلام الوثائقية التي وصلت تصور لك مدى الحرج الشديد الذي يواجهه غورباتشوف بالانسحاب ولدينا فيلم يصور النساء اللواتي يندبن حزنا ويذرفن الدموع حسرة على أرحامهن الذين غيبهم الثرى في ذرى الهندوكوش. وأما الحكم الشيوعي في كابل فقد ضاقت عليه الأرض بما رحبت وكأن الشاعر يعنيهم بقوله:
يسأل أهل القلاع عن مــلك قد مسخته نعامة شارد
تستوحش الأرض أن تقربه فكلها آن ه له جاحـد((4))
والدب الروسي منسحب لامحالة -بإذن الله- ولا يمكنه الاستمرار أبدا في داخل أفغانستان.
والحكم الشيوعي الأفغاني لن يلقى السلاح لأنه يدرك تماما المصير الذي ينتظره بعد الهزيمة، ويتوقع كثير من المراقبين أن المعارك التي تنتظرها أفغانستان في الأشهر القليلة القادمة ستكون شرسة ضارية، وذلك لأن الحكم الشيوعي سيضرب ضربات اليائس من الحياة ولذا فإن طعناته ستكون موجعة وصفعة الجبان عادة مؤلمة والقط عندما يحس بالخطر فإنه يصبح أسدا لأنه يتشبث بالحياة بكل وسيلة
وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا
وبعد أن يئس الروس من تأمين انسحابهم ومن تأمين عملائهم فإنهم اشتدوا شراسة ولكن على الأطفال والنساء، ولقد جاءتني رسالة من كندز تنبئنا أن الروس قاموا بمجزرة هناك في مديرية إمام صاحب ذبحوا فيه بالسكين النساء والأطفال وقتلوا مايقارب أربعين إلى الخمسين من العجزة والقواعد.
وكذلك فقد قصف الروس القرى المحيطة بممر سالنج حتى بلغت الضحايا ألف قتيل من العزل المدنيين وهذه القرى لم تكن قد قصفت من قبل، وقد كان القصف غاية في الوحشية والعنف والدب الروسي معروف بعنجهيته وصلفه وخبثه
علـيــه مــن اللــؤم سروالـــة فلــيس يـــرق لمستعط ـف

الذخائر المكدسة :
إن روسيا تحسب ألف حساب لترسانة الأسلحة والذخائر التي كومتها في مخازن الدولة الشيوعية وهي في المقابل ستدفع الدولة الشيوعية الأفغانية إلى محرقة لا يدرك هولها حتى تضمن انتهاء هذه الذخائر المخزنة التي بين أيديها وبين أيدي المجاهدين وحتى تبقى دولة المجاهدين القادمة وكأنها منطقة معزولة السلاح.
أما المجاهدون: فهم ينتظرون ساعة الانقضاض ليجهزوا على الحكم الشيوعي الهش، والحق أن هذا الشعب قد حمل من أصيل السمات ماجعله فريدا بين الأمم، وأكثر مايهز هذا الشعب اعجابا الشجاعة والوفاء.
ولذا خاب الذين حاولوا قياده من خلال الجيوب وأسلس المقاد للذين خاطبوه بالمحبة من أعماق القلوب.
فلا تستنكرن له ابتسامـــا إذا فهق المكر دما وضاقا((5))
فقد ضمنت له المهج العوالـي وحم ل هم ه الخيل العتاقا (6)
ملاقيـــة نواصيهـــا المنايـــا معودة فوارسهـــا العناقـــا

عقبات الطريق :
ويكاد المراقبون يجمعون كما قال كارلوتشي - وزير الدفاع الأمريكي - على ثلاث قضايا:
1-الانسحاب الروسي.
2- سقوط الحكم الشيوعي.
3- وصول المجاهدين إلى الحكم .

ولكن ماذا بعد؟ فهناك العقبات الجمة التي تنتظر دولة المجاهدين القادمة:
منها العقبات الخارجية وتواكبها المتاعب والمصاعب الداخلية ولن نستطيع في هذه العجالة أن نتعرض للمشاكل الداخلية وسنكتفي بذكر العقبات الخارجية: وعلى رأس هذه العقابيل:
- الرعب العالمي من حكومة المجاهدين الأصوليين المتطرفين كما يحلو لأجهزة الإعلام أن تطلق عليهم.
- واليهود أكثر أعداء الله هلعا من نتائج هذا الجهاد الذي سيفرز قيادات اسلامية أصيلة -إن شاء الله- واجتزئ هنا ببعض شذرات مما فلت على ألسنتهم من حقد وما سال على أسنة أقلامهم من غيظ على الاتجاه الإسلامي.
فقد كتبت "الجيروزلم بوست بتاريخ 78/9/25 مقالا لحاييم هيرتسك (السفير اليهودي السابق) في الأمم المتحدة تحت عنوان (حتى لانخسر الأصدقاء ونشد على عضد الأعداء)، قال فيه: (إن جهودا كثيرة بذلت لكبت نشاط الحركات الإسلامية ولكن الأحداث الأخيرة في المنطقة الإسلامية وعودة الاتجاه الإسلامي يمارس نشاطه على نطاق واسع في مصر وأفغانستان وسوريا وتركيا وإيران وغيرها قد أظهرت أن جميع الأساليب التي اتبعت لكبت نشاط الحركات الإسلامية كانت فاشلة على المدى البعيد رغم ماحققته من نجاح لفترات قصيرة).
وكتبت "يدعوت احرنوت" الجريدة اليهودية في 78/3/18 (هنالك حقيقة هامة وهي جزء من استراتيجية اسرائيل في حربها مع العرب وهي أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طول ثلاثين عاما ويجب أن يبقى الإسلام بعيدا عن المعركة إلى الأبد ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف والبطش.
وستجد اسرائيل نفسها في وضع حرج إذا نجح المتعصبون أولئك الذين يعتقدون أن أحدهم يدخل الجنة إذا قتل يهوديا أو إذا قتله يهودي).
وكتبت "الصنداي تلغراف" البريطانية في 78/12/17 مقالا بقلم "بيرغرين دورستون" قال فيه (إن الغربيين يقعون في خطأ كبير حين يظنون أن الخطر الذي يتهدد مصالحهم في الشرق الأوسط هو خطر الشيوعيين لأن الخطر الحقيقي الوحيد الذي يتهدد مصالح الغربيين وأصدقائهم في المنطقة هو خطر المسلمين المتطرفين).
ونقلت القبس الكويتية عن وكالات الأنباء العالمية خطابا لموشى ديان - وزير دفاع اسرائيل الهالك - في 79/1/26 قال فيه:
(إن على دول الغرب وعلى رأسها الولايات المتحدة أن تعطي اهتماما أكبر لاسرائيل باعتبارها خط الدفاع عن الحضارة الغربية في وجه أعاصير الثورة الإسلامية التي بدأت من ايران والتي من الممكن أن تهب بشكل مفاجئ وسريع ومذهل في أية منطقة أخرى في العالم العربي وربما في تركيا وأفغانستان أيضا).
ويقول "بريجينسكي" -مستشار البيت الأبيض (إن الادارة الأمريكية تشعر بقلق بالغ ازاء تزايد نشاط الحركات الاسلامية المنتشرة في العالم الإسلامي لأن أمريكا حريصة على عدم السماح للإسلام أن يلعب دورا مؤثرا في السياسة الدولية)، جريدة الرأي الأردنية 79/1/21 نقلا عن الواشنطن بوست.
ولاننسى أن الإدارة الأمريكية أوفدت رئيسين سابقين وهما نيكسون وكارتر لدراسة أوضاع الجهاد الأفغاني فعاد نيكسون وفي مؤتمر صحفي على شاشة التلفاز قال (ان أكبر عقبة تواجهنا هي الإسلام ويجب أن تتناسى أمريكا خلافاتها مع روسيا لتقف في وجه الزحف الإسلامي).
ولانستطيع الاستطراد في هذه الشواهد، فمعاهدة جنيف بترتيب اليهودي الأمريكي الروسي الأصل "ارنولد هامر" وذلك لايقاف الجهاد الأفغاني وقد وقت بداية الانسحاب بذكرى قيام دولة اسرائيل في الخامس عشر من آيار، وقد ق د م تقرير قبلها إلى مجلس الأمن القومي الأمريكي يقول:
(ان استمرار الجهاد الأفغاني خطر على مصالح أمريكا).
ان دولة المجاهدين القادمة -والله أعلم- ستواجه الدنيا بأسرها بخططها وأحابيلها ومكائدها وحقدها، ولن يسمح هؤلاء الأعداء للدولة الفتية أن تذوق طعم الراحة أو تنعم بلحظة استقرار ماستطاعوا فإذا كانت أمريكا ودول الكفر قد اطبقوا على تصفية الرئيس الراحل ضياء الحق - رحمه الله - لأنه اجتهد في محاولة اخراج القنبلة الذرية (التي يسميها الغرب القنبلة الإسلامية) ولوقفته الصامدة الشامخة بجانب الجهاد الأفغاني ولأنه أعلن جادا قبل مقتله بأشهر أنه سيطبق الشريعة الإسلامية.
أترى هذه الدول ستقف مكتوفة الأيدي، وفيها الآلاف من ضياء الحق ويجمع شعبها على أن الإسلام هو دين الحياة عقيدة وعبادة ونظام حياة.

وستثير هذه القوى الغربية والشرقية -على السواء- الدول المكتنفة للدولة الإسلامية الوليدة وقد بدأت ايران تتحرك تطالب بنسبة الربع إلى الثلث في مجلس الوزراء للشيعة وقد نسيت نفسها أنها حرمت أي سن ي أن تطأ أقدامه مجلس الوزراء الإيراني.
ولكن إيران تعرف من هم الأفغان؟ وقد بقيت المنطقة الشرقية منها تحكم ولفترات طويلة من قبل الأفغان.
وأما الهند فهي ترتجف لمجرد رؤية عمائم الأفغان وقد صرح غاندي (ان قيام دولة اسلامية متطرفة خطر على أمن المنطقة كلها) والهند أكثر من غيرها ترهب الأفغان الذين كانوا إذا انتفضوا لايقف لغضبهم شئ حتى يدخلوا دلهي. وحسبك من قادتهم الذين أذلوا الهندوس محمود الغزنوي - الذي حطم صنم ساموناتا - وأحمد شاه بابا.
وأما باكستان فلا أظنها في وقت الحصاد تضيع ثمار المواقف المشرفة التي امتدت قرابة عقد من الزمن بجانب المجاهدين.

وختاما نقول:
ان اطمئناننا إلى رحمة الله بعباده وحبه لنصرة شريعته، وقوانينه التي لاتتخلف تجعل سرائرنا مرتاحة وصدورنا منشرحة لقدر الله الجاري وناموسه الماضي في خلقه فهو يقول لنا:
وما كيد الكافرين إلا في ضلال
الآية (25) غافر
وما كيد فرعون إلا في تباب
الآية (37) غافر
ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين .
الآية (18) الأنفال
وما كان الله ليعجزه من شئ في السموات ولا في الأرض انه كان عليما قديرا ،
الآية (44) فاطر.
والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون
الآية (21) يوسف.

---

(1) السيلان : مقبض السيف
(2) الطارف : الحديد
(3) التليد : القديم
(4) الآنه : المثقل ، المتعب تحت الحمل الثقيل
(5) فهق : امتلأ . المكر: محل الكر والنزال
(6) المهج : الأرواح. العوالي: الرماح . العتاق: الجيدة.

جاء الحق وزهق الباطل*
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الثاني والخمسون- رجب 1409هـ، الموافق فبراير/مارس 1989م].
حمدا لله يارب، نصرت عبدك، وأعززت جندك، وهزمت الأحزاب وحدك، سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، ما أدينا حق شكرك، وما عبدناك حق عبادتك، فألهمنا اللهم في النعماء شكرا ، وانزل السكينة على قلوبنا في البأساء صبرا .
وهكذا ه زم أعداء الله، ونكست راياتهم، ومزقت كتائبهم، وتفرق شملهم، وهتكت أستار الهيبة التي تمثل نسيج العنكبوت حول الأصنام الكبرى والطواغيت العظمى ودحرت روسيا من أعماق أفغانستان بعد معركة استمرت عشر حجج، لقد كابرت كثيرا طيلة المدة السابقة وهي تحاول أن تكتم آهاتها وتستعلي على جراحاتها، وتخفي آلامها وزفراتها، ولكن الصبر البشري له حدود، ومخالفة الفطرة أمر سريع الزوال يصطدم مع صخرتها ويتحطم على قوانينها ونواميسها، ولقد كان الغزو الروسي لأفغانستان (أخسر صفقة من أبي غبشان) الخزاعي الذي باع قصيا مفاتيح الكعبة بزق خمر.

البشر والقدر :
إن البشر لا يملكون إزاء القدر ردا ، وليس لهم به حول ولا قوة، فقد قدر لي أن أتصفح جولات "كوردوفيز" المكوكية بين واشنطن وموسكو وإسلام آباد وجنيف، ابتداء من يونية 1982 حتى كانت آخر الجولات التي وصلت اثنتي عشرة جولة في الرابع عشر من إبريل 1988. فوجدت أن المحادثات كلها والاتفاقيات الأربعة التي كانت موضوع معاهدة جنيف قد أغفلت ذكر المجاهدين تماما وكأنهم غرباء عن القضية، بل لقد أشارت إحدى المعاهدات إليهم بوصف المرتزقة المتسللين عبر حدود باكستان إلى أفغانستان وحق لي أن أردد قول الشاعر:
وي قضى الأمر حين تغيب "تيم" ولا يستشهدون وهم حضور
وما رأيت المجاهدين على الموائد الدولية إلا كالأيتام على مآدب اللئام، كل هذا قبل عام، وانقلبت بعد جنيف كل الموازين وتصببت الانتصارات بعد أن أحكمت القوى الدولية الخناق وانبرى "جونيجو" (رئيس وزراء باكستان السابق) يتحمل كبر تنفيذ المؤامرة الدولية بعد أن وقع على شرعية نظام كابل، وانطلق الملأ من اليسار الباكستاني يقيم التفجيرات في الأماكن المأهولة بالسكان لتزهق أرواح الكثيرين من المدنيين حتى يعطوا الحكومة مبررا قويا وورقة ضاغطة للتعجيل بطرد المجاهدين والمهاجرين وإغلاق الحدود دون عبورهم، حتى استطاعوا أخيرا أن يعبثوا بمخزن كبير للذخيرة في إسلام آباد ويفجروا الصواريخ التي بقيت تنطلق على مدينتي إسلام آباد وراولبندي تروع السكان وتقتل المارة وتدمر البنيان.
محاولات لانقاذ الموقف العسكري الروسي :
وقد حاول قادة "الكرملين" أن ينقذوا الموقف العسكري بدفع الهند للهجوم على باكستان عبر أعوام الجهاد المبارك فكانت الكرامات الربانية تنقذ الموقف بعد اشتداده وتأزمه.
- وقد كان أولى هذه الكرامات يوم أن قامت "أنديرا غاندي" تريد إثارة الحرب الشعواء على الباكستان وبدأت تتجول على المقاطعات الهندية تثير الهمم وتشعل الحماس في نفوس الهنود، وفي اليوم السابع من هذه الحملة قتلت "أنديرا غاندي" على يد أحد حراسها السيخ وانقلبت المعركة داخلية بين السيخ والهندوس تأكل الكيان الهندي وتمزق وحدته.
- وجاء "راجيف غاندي" وأراد مواصلة الطريق وقدمت له روسيا الترسانة الحديثة من الأسلحة من الطائرات والدبابات التي وصلت الآلاف وبدأت القوات الهندية تحتشد على الحدود الباكستانية منتظرة إشارة البدء فيسوق الله صحفيا غربيا يقابل العال م الذي يشرف على المفاعل النووي الباكستاني فيسأله عن المفاعل فأجابه: لقد صنعنا مئات القنابل الذرية.
وفي نفس الوقت : أصدر المجاهدون الأفغان بيانا يهددون الهند ويحذرونها بأنهم لن يقفوا مكتوفي الأيدي إذا حاولت الهند أن تعبث بالنار وكأنهم ينشدون:
مفرشي صهوة الحصان ولكـن قميصي مسرودة من حديـــــد
عش عزيزا أو مت وأنت كريـم بين طعن القنا وخفق البنــــود
فرءوس الرماح أذهب للغيظ وأشفى لغل صدر الحقـــود
وفجأة وإذا بالزئير ينقلب إلى نهيق حمير، وإذا بقعقعة السلاح تنقلب إلى عواء ونباح.
- وانتقلت المحاولات إلى إيران وحاولوا أن يعقدوا معهم معاهدة صداقة وحسن جوار ليشددوا الخناق على المجاهدين وكادت المحاولة أن تنجح لولا الله ثم انزلاق روسيا ببيع صواريخ بعيدة المدى إلى العراق ضربت بها طهران وقم، فكانت روسيا
كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا
الآية (92) النحل.
- وحاول العالم أن ينقذ مؤامرة جنيف من خلال باكستان فأبى عليهم "ضياء الحق" فسلطوا رئيس وزرائه الذي هدد بتقديم تقرير إلى أمريكا وروسيا يفصح لهم فيه عن موقف ضياء الحق المتشدد تجاه المؤامرة، وفكر ضياء -كما ذكر لي أحد مستشاريه- قائلا (أنا لا أستطيع أن أعيش بقية عمري ذليلا) فركل حكومة جونيجو بقدمه، وقال مستشاره لي بأن ضياء قبل قتله بأشهر قال: (إن أمريكا قد وقعت أوراق قتلي) ولعل هذا هو السبب الذي من أجله كان ضياء يصطحب السفير الأمريكي معه في ترحاله ليكون رادعا لأمريكا عن تنفيذ مؤامرتها.

وق تل ضياء ومضى إلى ربه رافع الرأس بعد تلك الوقفة المشرفة التي وقفها كالطود الشامخ بجانب هذا الجهاد المبارك فنرجو الله أن يغفر له ذنوبه بهذا الموقف المجيد.
ولكن القتل كان متأخرا بعد أن تجاوز الجهاد عنق الزجاجة وتعدى مرحلة الخطر وأفلت من قبضة القوى الدولية كلها.

العد التنازلي :
كان أول التنازلات إيقاف إطلاق النار من جانب الروس في الخامس عشر من يناير سنة 1987 فقوبل بتصاعد هجمات المجاهدين على الكفار. ثم كان طلب المصالحة الوطنية التي قوبلت بسخرية واستخفاف من قبل ليوث الغاب الخفاف. ثم كانت جنيف بمعاهداتها تجمع بإجماع العالم أن نظام نجيب باق، وأن المهاجرين سيرجعون، مغفلة تماما المجاهدين ولكن الانتصارات التي تنزلت من السماء في هذا العام أضعاف ما حققه المجاهدون في سنوات عديدة.
وهنا أرسلت روسيا رسولها (أحد كبار رجالات العالم العربي المحسوبين على الدعوة) يحمل في حقيبته طرحا على المجاهدين كشرط لانسحاب روسيا أن يرجع قادة الجهاد ليكونوا وزراء في حكومة نجيب فرفض الطلب من قبل القادة وكأنهم يقولون:
ولن أصالحكم ما دام لي فـرس واشتد قبضا على الصمصام إبهامي
ثم تنازل الروس إلى طلب حكومة مشتركة يشترك فيها المجاهدون والشيوعيين فكان الرفض بالحسام لا بالكلام.
ثم نزل الدب درجة أخرى فطلب حكومة محايدة، فأجاب المجاهدون لن يحكم أفغانستان الأمريكان السمر (يعنون الأفغان الذين تربوا في الصالات الأمريكية ورتبت أوراقهم وراء الكواليس من خلال المحافل الماسونية أو الدولية).
ولقد وقف الشيخ يونس خالص موقفا مشرفا واجه به "أراماكوست" -وكيل الخارجية الأمريكية- قائلا : والله لو التقت السماء على الأرض ما قبلنا بحكومة محايدة، وأما سي اف فقد كانت ضربته أشد في المواجهة لأرماكوست حين قال: (نحن نعلم أنكم -الأمريكان- أخبث أمة على الأرض، وأنتم مصاصو دماء فقد قمتم بإبادة شعب بكامله واحتلال أرضه والنزول مكانه وهم الهنود الحمر، ونحن نعلم أنكم ترهبون انتصار الإسلام وقيام دولته ولذا وقفتم ازاءنا هذا الموقف) وإذا بأرماكوست يحمر وجهه ويربد فبدأ يهذي قائلا : نحن نحب قيام دولة إسلامية.
ولم ييأس الروس مع الغرب في المحاولات. فطلب "فورنتسوف" وكيل الخارجية الروسية وسفيرها في كابل في مؤتمر الطائف دخول مجموعة من وزراء نجيب المعتدلين (ثلاثة أو أربعة) في حكومة المجاهدين حفظا لماء وجه روسيا ريثما يتم الانسحاب ثم أردف "فورنتسوف" قائلا : وبإمكان المجاهدين طردهم بعد خروجنا، فرفض المجاهدون، وأعلنوا في مؤتمر صحفي: إننا لن نجلس مع الروس بعد اليوم على مائدة المفاوضات وكانت صفعة سياسية شديدة في وجه روسيا الذي مرغ بالأوحال وديس بنعال الأبطال في ميدان النزال.
أي عزة هذه التي امتطى صهوة جوادها هؤلاء الصيد المرازبة الجحاجح (1) أي قمة تربع عليها هؤلاء الغطارفة المهندة الصفائح (2) : أي مجد قد ناله هؤلاء الشم البطارقة المسامح؟ (3) إنها عزة المجاهد في سبيل الله.
والعز في صهوات الخيل مركبه والمجد ينتجه الاسراء والسهــر
وكان الطلب الأخير من وزير الخارجية الروسية "شيفارنادزه" أن يشترك بعض الشيوعيين في مجلس شورى المجاهدين الذي انعقد في إسلام آباد.

مؤتمر الشورى:
في مدينة الحجاج (إسلام آباد) المنعقد بين العاشر إلى الرابع والعشرين من فبراير 1989:
ولقد اجتمع مجلس الشورى الذي يبلغ عداده أربعمائة وأربعين نفرا في إسلام آباد لإقرار حكومة المجاهدين بواقع ستين شخصا لكل منظمة وعشرين آخرين من المنظمات الصغيرة.
ولقد قدر لي أن أعيش هذين الأسبوعين على كثب من مجلس الشورى أتابع ساعاته كأي شخص يتحرق على مصالح المسلمين ويحيا من أجل قضاياهم.

المؤامرة العالمية:
ولقد كنت قد أيقنت من خلال الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة العداوة الأبدية بين هذا الدين وأعدائه وقد خرجت من خلال التاريخ الإسلامي بمصداقية واقعية تطبيقية للقوانين الربانية والنواميس الإلهية في العداء الذي يناصبه أهل الكتاب والمشركون لهذا الدين وأهله، إذ أنه لا لقاء في منتصف الطريق، ولا هدنة ما دام في جسد الكفر عرق ينبض أو نفس يجري.
ولكن في هذه المرة أدركت هول المؤامرة عيانا ورأيت شخوصها وأبطالها يتحركون ذهابا وإيابا مما لا يدع مجالا لشاك ولا لبسا لمستريب، وأدركت أن الرعب العالمي والفزع الدولي من الإسلام وأبنائه لا ي عد له شيء في قلوب الكفار وأعوانهم وأذنابهم.
وخرجت بيقين جازم لا يتزعزع بخطورة تولي قياد الأمم من أناس لم يتمرسوا بهذا الدين من خلال معاناة طويلة وبذل وجهد ناصب وتضحيات باهظة، ورأيت كيف ت حمى الأمم وتنقذ الشعوب بفرد فذ من أبنائها وكيف يمكن للأمة كلها أن تباع بجلسة على مائدة خضراء أو بكأس راح في ليلة حمراء أو بابتسامة من ثغر فاتنة شقراء.
وأيقنت أنه لا نجاة للأمم إلا بأن تسلم قيادها وتسلس مقادها لشباب مسلم قد شبوا على نار الأسى واكتهلوا في أتون المعارك ونضجوا على حرارة المعاناة وعلى هدي الكتاب ونور السنة من خلال المواجهة اليومية بهذا الدين مع أعدائه، فمن خلال التكاليف التي يقدمها المسلم لهذا الدين يصلب عوده وتنضج نفسيته.
وتأكدت أن الأفق الذي يصل إليه المرء في هذا الدين يوازي التضحيات التي يقدمها، وأن مستوى المسلم ونضجه يسير جنبا إلى جنب مع التكاليف التي يبذلها وأن هذا القرآن لا يفتح أسراره لفقيه قاعد وهذا الدين لا يسبر أغواره ولا يدرك معانيه حفظة المتون والحواشي ممن لا يتحركون به ولا يعيشون لنصرته.
وخرجت بيقين جازم وعلم حاسم أن الجهاد بالنفس ضرورة حياتية للمسلم حتى يتحرر من الخوف ويمزق حجاب الوهم والرعب الذي يغتصب به الطواغيت حقوق الأمم ويبتزون أموالها وينتهكون حرماتها ويدوسون مقدساتها ومثلها.
وأدركت سر رعب الطواغيت من الحركات الإسلامية الخالصة، وهلعهم من أبنائها الصادقين، وذلك لأنهم يتمردون على الدنيا التي يملكها الطغاة، ويدوسون المتاع الرخيص الذي بين أيدي الجبابرة والذي من خلاله يجمعون القطيع ويسوقونه إلى مذابح شهواتهم قرابين رخيصة، إنها عناصر فريدة لا تباع في سوق النخاسة ولا تذوب في حوامض الجاهلية، فتحافظ على أصالتها ونقائها ومثلها ومبادئها في أي جو عاشت ومع أي قوى التقت.
لقد وجدت أن العلماء المخلصين وأبناء الدعوة الصادقين هم صمام الأمان لدماء الناس وأعراضهم ومبادئهم وأموالهم.
وأيقنت أكثر من أي زمن مضى سر اتفاق الفقهاء البارزين على عدم انعقاد البيعة للفاسق واشتراط العلم والتقوى لمن يلي أمور المسلمين أو يتصرف في شؤونهم.
ولقد رأيت الأيدي التي تريد أن تعبث بقداسة هذا الجهاد وتود أن تختلس ثماره أو تغتصب بركاته جهارا نهارا رأيت الدنيا بأسرها تقف بخيلها ورجلها وهيلها وهيلمانها وثقلها تريد أن تحول بين الصادقين وبين الوصول إلى سدة الحكم.
فوجدوا حفنة من العلماء الصادقين، ومن أبناء الدعوة المخلصين يقفون كالشم الرواسي ينافحون عن عزة هذا الجهاد وشرف هذا الشعب الأبي الكريم ولا يتزحزحون قيد أنملة عن هدفهم الكبير وهو إقامة دين الله في الأرض.
لقد وقفت هذه الحفنة الصادقة التي يمثل رأس حربتها التي أغمدت في فؤاد الكفر مجموعة لا تصل عدد أصابع اليدين وعلى رأسهم سي اف وحكمت يار ويونس خالص وحقاني ومحمد ياسر وأرسلان وغيرهم، أقول: وقفت هذه الحفنة أمام الدنيا بأسرها وأرغمتها أن تخضع لرأيها بعد أن امتدت أيادي الأشرار إلى أعماق خزينة الأسرار.
لقد آن لنا أن نسطر بماء الذهب كلمة حكمتيار عندما قال: سأحارب الحكومة التي تفرضها أمريكا كما حاربت روسيا.

وللحق والتاريخ أن نسج ل موقف محمد ياسر وهو يطرد أكابر القوم الذين حاولوا أن يشتركوا في جلسة تقرير المصير، وكم راهن الكفار على تمزيق شمل المجاهدين وكم رفعوا عقيرتهم باختلاف كلمة الأبطال، ولكن الله خي ب فأل الأعداء والتقى المجاهدون على كلمة سواء، وأخرس الله أفواه الحاقدين وأحجر كل نابح، وقامت دولة الجهاد فوق رء وس البيض والسمر. وآن لنا أن ننشد لهذه الدولة:

حسم الإلف ما اشتهته الأعادي وأذاعته ألسن الحســـــــــاد
فيه أيديكم على الظفر الحــــق وأيدي قوم على الأكبـــــــــاد
هذه دولة المكارم والرأفـــــــــة والمجد والندى والأيـــــــــادي

---

(1) الصيد والشم : الأعزة.
(2) المرازبة والجحاجح والغطارفة والبطارقة: السادة.
(3) الصفائح : السيوف العريضة.

من يعلق الجرس ؟

[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الثالث والخمسون- شعبان 1409هـ، الموافق فبراير/مارس 1989م].

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد :

فلقد قلب هذا الجهاد بفضل الله ومشيئته الموازين الدولية وعط ل المعادلات السياسية العالمية، واستطاع المجاهدون -بنعمة من الله- أن يكذبوا كل التنبؤات السياسية والتوقعات العالمية. ولقد كانت النعمة الكبرى التي من الله بها على المجاهدين في إحباط المؤامرات الدولية السياسية لا تقل عن الآلاء العظمى التي أنعم الله بها عليهم في الميادين العسكرية من انتصارات ساحقة وكرامات باهرة.

ولقد نقلت كثيرا من الكرامات الربانية التي تنزلت على المجاهدين ولا زالت إبان احتدام القتال عبر السنين العشر الخوالي مما كان له الأثر البالغ في استئناس المجاهدين أثناء مسيرتهم واطمئنانهم على استقامة جادتهم. ولقد رأيت أن هذه الكرامات أعطت دفعات قوية لجحافل المجاهدين التي تدك قلاع الكفر وتزلزل الأرض تحت أقدام أحزابه، وكم أثارت هذه الكرامات والخوارق من ضجات لدى الخوالف ممن لا يعرفون سنن الله في الحياة ولم يطلعوا على أصول هذا الدين وتاريخ السلف الكرام وكانت التساؤلات تنتهي لدى المتشكك إثر وصوله أرض المعركة لأنه ينتقل من السماع إلى الرؤية. ولكن الكرامات في ميادين السياسة قد لا تكون بارزة لدى الكثيرين بخلاف الكرامات في ميادين القتال لأن الكرامات في القتال تتعلق بطرفين متقابلين يواجه أحدهما الآخر جهارا نهارا في معركة بارزة واضحة لا خفاء فيها ولا مداورة.

أما الكرامة في الميدان السياسي فهي تخفى على الكثيرين لدقتها ولأنها تتعلق بأطراف كثيرة غير بارزة وتشل أصابع خفية تدير الأحداث من وراء الكواليس أو من خلف الستائر ومن خلال دمى تحرك بمسرحيات أ تقن إخراجها وص نع أبطالها وبرعوا في أداء دورهم.

الكرامات ا لسياسية ا لتي تلت معاهدة جنيف :

كانت معاهدة جنيف تتلخص في خنق المجاهدين وقطع شرايين إمدادهم، بإيقاف المساعدات وإغلاق الحدود الأفغانية الباكستانية، ثم انسحاب الروس من المناطق الشرقية والجنوبية، وإعادة المهاجرين إلى المناطق التي ينسحب منها الروس، وإبقاء الحكومة الشيوعية في كابل مع الاعتراف الدولي بشرعيتها، ووقف إطلاق النار، والمصالحة الوطنية.

وأكثر القرارات التي تستحق الضحك والاستهزاء بل السخرية والرثاء بعقلية الغربيين والسياسيين: العفو العام عن قادة الجهاد باعتبارهم مجرمي حرب، ولكن هذا القرار الأخير ألغي من المعاهدة فيما بعد.

وسميت معاهدة جنيف في الإعلام العالمي (بالانفراج الدولي) لأنها عالجت كثيرا من القضايا، وربطت إنهاء حرب الخليج بين إيران والعراق، وحل قضية فلسطين، وإيقاف الجهاد في أفغانستان بخيط واحد، ولذا تهالكت كثير من الدول الصغرى على قبولها، وتداعت من كل حدب وصوب للضغط على ضياء الحق لقبول

المؤامرة وذلك لإخماد نار الحرب المضطرمة التي يئست الأطراف المزجوجة فيها أن تجد لنفسها مخرجا من أتونها بعد أن أتت هذه الحروب على الأخضر واليابس.
وعقد المؤتمر الإسلامي في عم ان وأوفدت دول العالم الإسلامي أحد الحكام ليتولى عملية اقناع ضياء الحق بقبول المعاهدة التي تمثل المخرج الوحيد والفرصة الذهبية لخروج الدول العربية من ورطة الاصطلاء بنار حرب الخليج التي هز ت اقتصاد العالم كله، وهذه نعمة تتفضل بها الدول الكبرى لإيقاف اليهود عند حدود ثابتة من خلال ضمانات دولية تحول دون ابتلاع اسرائيل لمناطق جديدة وحتى لا تطيح بكيانات ولا تهدم أنظمة ولا تثل عروشا .
وجاء الحاكم المبعوث وقضى ثلاث ساعات وهو يحاول اقناع الجنرال الراحل الذي رسم بموقفه معالم بارزة للرجولة الإسلامية يحفظها التاريخ الصادق بين صفحاته للأجيال فإن تنكر التاريخ ونسي فإن رب العزة لا يضل ولا ينسى.
ولم يكن لدى الحاكم صورة واضحة عن الجهاد في أفغانستان فقد كان يظنها طلقات تتبادل عبر الحدود الباكستانية الأفغانية كتلك التي تنطلق عبر الحدود اللبنانية الفلسطينية.
وعندها بي ن ضياء الحق للحاكم أن روسيا مهزومة في أعماق أفغانستان وأنها منسحبة لا محالة إذ أنها لا تملك الاستمرار بعد أن أثخنت جراحا ، ومن خلال الاحصائيات الضخمة التي بين يدي ضياء الحق عن خسائر روسيا سواء في القوات الجوية أو البرية أو البشرية فقد كانت الخسائر التي جمعتها أجهزة التنصت الباكستانية والأقمار الصناعية الأمريكية حتى بداية 1988 تقول: إن الطائرات الساقطة والمدمرة قد وصلت إلى حوالي ألفين وثمانين طائرة ودعك عن التي استهلكت لكثرة الاستعمال والتي لا تقل عن مثل هذا العدد، وعدد الدبابات قد وصل إلى سبعة عشر ألف دبابة وأما الآليات والناقلات فقد وصلت إلى إحدى وعشرين ألفا ، وأما القتلى فحد ث عنهم ولا حرج.
ففغر الحاكم فمه مشدوها مبهورا وهو يسمع هذه الحقائق ولم يملك ازاءها ردا ولم ينبس ببنت شفة وقفل راجعا إلى المؤتمر ليحدث بما سمع بعد أن اتصل بالمؤتمرين وأخبرهم بألا يتعجلوا في القرارات إذ أن لديه حقائق ومعلومات.

ضياء مع قادة الجهاد:
ورغم هذا كله فقد استمرت الضغوط على ضياء لقبول توقيع المعاهدة من الأصدقاء والأعداء. وتلفت حوله فلم يجد صديقا ولا عدوا وعندها جمع قادة الجهاد وعرض عليهم حاله: أنه قد عيل صبره واستنفذ كل السهام التي في كنانته في رد هذه المعاهدة وأنه لا يستطيع إلا أن يوقعها وطلب من إخوانه قادة الجهاد أن يعذروه في التوقيع.
فقال له سياف : ولكنك في قرارة نفسك غير مقتنع بما أنت مقدم عليه والأولى لك أن تعتذر عن استضافتنا في باكستان خير من أن يسجل التاريخ أنك قمت بتوقيع معاهدة بيع أفغانستان وجهادها المشرف في سوق النخاسة الدولية. فأطرق ضياء برأسه ولم يحر جوابا .
يقول ابن ضياء الحق : لقد عاد والدي في تلك الليلة وأسهد الحزن جفنه وأقض لذع الضمير جانبه ولم يكتحل بالنوم، وقدمنا له الطعام فعافه، وبقي يومه مطرقا حزينا وقد كسى وجهه بغلالة من الوجوم والهوم. وسأله أهله عن سر هذا الشرود الذهني والقلق النفسي، فأفصح لزوجته وأولاده: هذه هي المرة الوحيدة التي أخذل فيها إخواني المجاهدين مضطرا .
توقيع المعاهدة
ووقع ضياء المعاهدة بعد أن أضاف استدراكين على المعاهدة وهما:
1- لا أضمن وقف اطلاق النار.
2- لا أكفل الضغط على المهاجرين ليعودوا إلى أفغانستان.

موقف " جونيجو" و " نوراني " :
ولكن رئيس وزراء ضياء ووزير خارجيته كانا قد وعدا من الدوائر الدولية لكل منهما بميدالية السلام الدولية، فكان كل منهما مستميتا في تنفيذ معاهدة جنيف حتى يأخذ قطعة ذهبية مكتوبا عليها جائزة نوبل -اليهودية- للسلام، فكان جونيجو متفانيا حتى يبيع أفغانستان وشعبها وجهادها مقابل هذه القطعة الذهبية.

اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون
(الآيتان (9، 10) التوبة .[الإل : القرابة]
وكم جرت بين نوراني وبين قادة الجهاد من مشادات عنيفة ومساجلات حادة ومن مجادلات ساخنة، وأما جونيجو فقد هدد ضياء الحق بأنه سيقدم تقريرا للعالم - أمريكا وروسيا والأمم المتحدة -أن الرئيس غير ملتزم بتنفيذ المعاهدة، وغير جاد في احترام بنودها، وأخذ يرسل رجالاته إلى المهاجرين ليرغمهم على الرجوع إلى أفغانستان بالضرب والتهديد .

الانسحاب ا لروسي:
وبدأت روسيا تنسحب من المناطق الحدودية منتظرة رجوع المهاجرين مكانها وكلما انسحبت من منطقة -بكتيا وقندهار وبكتيكا واللوجر وكونر- انقضت عليها ليوث الله واحتلتها.
وبدلا من أن يرجع المهاجرون إلى بلادهم زادت هجرتهم من الداخل نحو باكستان بسبب اضطرام المعارك واشتدادها.
ووجدت روسيا أن حكومة نجيب ضعيفة لا تستطيع أن تحافظ على أية منطقة تنسحب منها.
موقف ضياء الحق:
وعندما أصر جونيجو على تنفيذ المعاهدة فك ر ضياء ملي ا ثم أقدم على إقالة حكومة رئيس وزرائه وقد كان آنذاك في الصين فاتصل به وقال له: عد إلى بيتك فقد قررت طردك من الحكومة. وحل مجلس الشورى، وأمسك ضياء بقبضته العسكرية البلد من جديد معلنا :
1- وقوفه بجانب المجاهدين والمهاجرين الأفغان حتى يعودوا إلى بلادهم معززين مكرمين.
2- أنه سيطبق الشريعة الإسلامية وإن كلفه هذا نفسه وأهله وعرشه.
قال أسلم ختك (وزير الداخلية لضياء الحق) : ستقتلك أمريكا والغرب، فأجاب ضياء الحق (إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض).

التراجع الروسي :
وعندما رأت روسيا أن الحكومة الشيوعية هشة أمام ضربات المجاهدين وأنها تفقد الموقع تلو الموقع إثر الانسحاب وتوالت ضربات المجاهدين وتنزلت الانتصارات بفضل الله وحوله، خشيت روسيا أن تسقط كابل قبل أن يتم انسحابها فرجعت وأرسلت قواتها مرة أخرى إلى قندهار وغيرها، وصارت توجه طائراتها للإغارة على الحدود الباكستانية وضرب القرى الباكستانية الحدودية، ورفعت باكستان عقيرتها بالشكوى على روسيا التي تعتدي على الآمنين.
وقامت الدول الكبرى وأمريكا على رأسها تلوم روسيا وتندد بموقفها بسبب إخلالها بالتزامها وتعهداتها.
فقالت روسيا : إن المجاهدين لم يلتزموا بالبنود.
فرد المجاهدون : نحن لانعترف بالمعاهدة أصلا وليوف الذين التزموا لروسيا بوقف اطلاق النار بما التزموا به.

انتصارات المجاهدين:
ولقد حقق المجاهدون من الانتصارات خلال سنة 1988 بعد جنيف أضعاف ما أحرزوه عبر سنوات ماضية.
زيارات كوردوفيز:
وقد حاول كوردوفيز مرتين أن يقابل المجاهدين بعد توقيع معاهدة جنيف فرفض يونس خالص (كان آنذاك رئيسا للاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان) مقابلته في المرة الأولى وفي المرة الثانية رفض كذلك فلجأ كوردوفيز إلى ضياء فاتصل ضياء بالشيخ يونس خالص قائلا له: إما أن تأتي لمقابلة كوردوفيز وإما أن نأتيك إلى بيشاور. وكان لضياء الحق مكانة في نفوس المجاهدين فأتى الشيخ يونس وقابل كوردفيز وقال له : لقد أتيت احتراما لكلمة ضياء الحق وليس من أجلك وأنصحك باعتناق الإسلام واضطر كوردوفيز أن يتصل بالمهاجرين دون إذن القادة وصرح تصريحات غير مسؤولة بأن المهاجرين يرحبون بظاهر شاه.

وهنا كذب المجاهدون كوردوفيز وشكوه إلى الأمين العام للأمم المتحدة فأوقفت مهمته.

موقف يونس خالص :
والحق أن هذا القائد الذي ني ف على السبعين وقف مواقف لا يقفها إلا أفذاذ الرجال وحمى بموقفه الصلب المشرف الجهاد الأفغاني من الاهتزاز في تلك الآونة العصيبة التي تداعت فيها الأمم من كل جانب لاقتسام مغانم هذا الجهاد.
وقد حاولت كثير من الدول استدراجه لحضور جنيف حتى تؤخذ صورته مع الوفد الأفغاني ليستلمها الإعلام الدولي ويلوح بها للعالم أن المجاهدين قد رضوا عن حضور جنيف ومعاهدتها.
وعندما رأى الضغوط تتوالى عليه من كل جانب قدم استقالته عن رئاسة الاتحاد.

العروض على المجاهدين :
وقد تعرضت في الافتتاحية السابقة للعروض التي طرحت دوليا ومن قبل روسيا والتي تنازلت فيها درجة تلو درجة.
وكان أول هذه الطروح : العرض الذي جاء يحمله معروف الدواليبي من روسيا بعقد مؤتمر دولي تشترك فيه (روسيا وأمريكا والمجاهدون والمؤتمر الإسلامي والأمم المتحدة) ويعرض فيه حكومة مشتركة يرأسها نجيب ويشترك فيها قادة الجهاد كوزراء مع الحكومة الشيوعية. وكان الرفض، ثم الحكومة الائتلافية التي لا يرأسها نجيب، وجاء الرد بالرفض كذلك، ثم الحكومة المحايدة وقد طرحها أرماكوست وكيل الخارجية الأمريكية فقال يونس خالص (والله لو التقت السماء على الأرض ما رضينا بحكومة محايدة).
وكانت آخر محاولة ؛ الحكومة ذات القاعدة العريضة **Broad Based** يكون مجلس شورى من المجاهدين 50% ومن المهاجرين في باكستان وإيران 30% ومن المهاجرين في العالم 10% ومن المسلمين في كابل 10%.

في مدينة الحجاج:
والتقى مجلس الشورى في مدينة الحجاج وجاء وزراء ظاهر شاه السابقون من بين أعضائه مع بعض الأفغان المستغربين وقد ارتدوا الأزياء الغربية الضيقة ورائحة الدخان المنبعثة من أفواههم تزكم أنوف الحاضرين، مع ماألفوه من تنعم وترهل وما اعتادوه من حلق اللحى والشوارب كأبناء الغرب الضائعين. واجتمعوا مع المجاهدين الذين أنضجتهم المحنة وصاغتهم الأحداث الضخمة وصقلتهم نيران المعارك التي اكتووا بضرامها عبر السنين، جاءوا بشعورهم الشعثاء الطويلة تبدو عليهم الخشونة والبذاذة (الزهد والتقشف)، وكلما نظر إليهم المستغربون تفكروا في أنفسهم : أو يمكن أن نعيش مع هؤلاء تحت سقف واحد؟وكانت نظرات المجاهدين الشزرة تكاد تزلق هؤلاء المتنعمين. فيسلم عليهم القائد المجاهد وكأنه أسد خرج من بيشة (غابة الأسود)، وقد كسا وجه طبقة سوداء من آثار المعارك وسبرات الثلوج القارصة، فيبادره المجاهد سائلا من أين الأخ؟ فيجيب من قندهار أو من هرات أو بروان أو بدخشان؟ فيفاجئه بسؤال مفعم مفحم وأين كنت خلال هذه السنوات العشر؟ فيطرق بنظره حياء وتعلو وجهه حمرة الخجل و لا يحير جوابا .
ووقف عبد الستار سيرت -أحد وزراء ظاهر شاه- ليشرح للحاضرين عن خطة سياسية معقولة للحل وكأنه يريد أن يجرهم إلى قبول الأمر الواقع الذي لا محيد عنه وهو قبول ظاهر شاه.
وإذا بالمسؤول عن إدارة المؤتمر يصيح (مرده باد) ظاهر شاه (الموت لظاهر شاه) وإذا بمجلس الشورى كله يدوي بالموت لظاهر شاه وبهت عبد الستار وكأنما سكب عليه ذنوب (دلو) من ماء بارد.
وغادر المستغربون والمنتفعون وتجار الدماء قاعة مدينة الحجاج غير مأسوف عليهم.
ووصل المجاهدون إلى حل : (محمد نبي رئيس للدولة وأحمد شاه رئيس للوزراء) وزلزلت الأرض زلزالها وأخرجت صدور الحاقدين على هذا الدين أثقالها ومكنونات قلوبها فقال أحد كبار الناصحين : (إن أمريكا والصين وإيران... لا ترضى عن هذه الحكومة.
قال سي اف : نحن شكلنا هذه الحكومة لأفغانستان وليس لأمريكا.
وقال حكمت يار : لن يفرض أحد علينا حكومة وسنحارب الحكومة التي ترتضيها أمريكا كما حاربنا روسيا.
وألقى العالم بثقله وكلكله وفرط العقد ومز ق الكلمة.

وتقدم جلال الدين حقاني : مع سبعين من مجلس الشورى يطلبون من القادة السبعة الحل أو يتركوا إليهم تقديم حل، ووافق السبعة وانتحى جلال الدين مع أربعة عشر من مجلس الشورى في بيت منزو بعيد عن الأنظار وخرج بالحل الذي أفرز (مجددي) رئيسا للدولة وسيافا رئيسا للوزراء.
وعلقت أجهزة الإعلام : لقد كان أحمد شاه أصوليا فجاء سياف أشد أصولية منه.

التحدي الكبير:
وقامت الدولة وهي تنتظر اعتراف الأصدقاء وتضع دول العالم الإسلامي أمام امتحان عسير وإزاء تحد كبير، وكأنها تسائلهم: أين أخوة الإسلام؟ بل أين الشعارات واللافتات؟ بل أن ى ذهبت الوعود والتصريحات؟
إن وجوم العالم الإسلامي إزاء دولة المجاهدين التي ولدت في أجفان الردى وفي أغماد السيوف، وصمت القبور الذي يلف دول العالم الغربي حيال دولة الشرف وحكومة المجد ليضع علامة استفهام كبيرة حول هذا الموقف.
وكأنه يصرخ بشدة في آذانهم:
أويستطيع نظام أن يخرج عن إرادة البيت الأبيض أو الأحمر؟ أو يتمرد على إشارات برمنجهام؟
وكأن دولة المجاهدين تقول : من يعلق الجرس ؟

لن تطفئوا نور الله*
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الرابع والخمسون والخامس والخمسون- رمضان/شوال 1409هـ، ابريل/مايو 1989م].
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبي بعده، وبعد:
فقد استحر القتل بالمجاهدين المحاصرين لجلال آباد، وروسيا تدفع بكل مابين يديها من وسائل الفتك والإبادة، وانتقلت من استعمال الـ**Mig 27**، إلى طائرات جديدة يعتقد أنها**Back Fire** ، الروسية الجديدة والتي يظن أنها تقلع من روسيا مباشرة من ترمذ (قرب نهر جيحون في الولايات الإسلامية المحتلة من الاستعمار السوفياتي) لقصف جلال آباد، وكثر الشهداء حتى صرنا لا نتابع الكتابة عنهم، وسقط من الشهداء العرب حتى الآن قرابة الثلاثين في الأسبوعين المنصرمين فهذا أكثر شهر يسقط فيه على طريق هذا الدين من أبناء عدنان أو من نسل قحطان في أفغانستان .
والشيوعيون قد انتفضوا بكلي تهم يدافعون عن كيانهم الهش الذي بدأ ينهار ركنا بعد ركن، وصيحات النظام لا تتوقف مستغيثة الأمم المتحدة والضمير العالمي، وهم يتعلقون بقشة كغريق يتقاذفه الموج العاتي والأعاصير الهوجاء وهو يرى مصرعه أمام ناظريه، وحتفه قرب قرنيه ناشبا أظفاره يريد أن يستل الروح الخبيثة من الجسد الخبيث.
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع
وفي هذه المعركة أبدى المجاهدون بسالة لا نظير لها وهم يقتحمون الموقع تلو الموقع والألغام تحت الأرض تتربص بهم ريب المنون، والسماء لا تكاد تكف عن وابلها والموت يجم ع نفسه لينقض لا يوفر مؤمنا ولا كافرا ، والشباب العرب قد ضربوا مثلا رائعا في الإقدام على المنايا خاصة في اقتحام المطار، وكأن المنية بينهم منشار يأكل في الذهاب والإياب وكأن لسان كل واحد منهم يردد مع عنترة: ومدجج كره الكماة نزاله
لا ممعن هربا ولا مستسلـــم (1) جادت له كفي بعاجل طعنــة
بمثقف صدق الكعوب مقــوم (2) فشككت بالرمح الأصم ثيابــه
ليس الكريم على القنا بمحرم (3) فتركته جزر السباع ينشنـــه
يقضمن حسن بنانه والمعصم (4)
والجميع مصمم على الموت، أما الكفار فإنهم يدفعون عن أنفسهم بكل ما استطاعوا متشبثين بالحياة:
ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون .
الآية (96) البقرة .
التساؤلات :

والناس الذين يرقبون المعركة وأبصارهم ترنو إلى أرض المعركة وقلوبهم متلهفة يريدون أن تسقط (جلال آباد) بطرفة عين أو لمحة بصر لشدة تعلقهم بهذا الجهاد يودون أن تقوم دولة الإسلام في أفغانستان بين عشية وضحاها وتمسح الشيوعية من أرض أفغانستان لتقوم مقامها المنارة المفقودة (الخلافة) التي طو حت بصرحها معاول الشرق والغرب على يد الذئب الأغبر في 3 مارس سنة 1924.
والكل مشدود بكليته إلى جلال آباد - أعصابه متوفزة، ونفسه متحفزة، وقلوبهم تود لو تطير من بين جوانحهم لترقب سير المعركة ونتائجها في جلال آباد، ويتساءلون ما بال الفتح قد تأخر؟

الاعتذار عن المجاهدين :
ونحن إذ نؤرخ لهذه المرحلة نعتذر عن المجاهدين بأمور:
(1) إن المجاهدين حديثو عهد بفتح المدن، إذ أن مسيرة الجهاد المباركة التي مضى عليها بضعة عشر عاما كانت كلها دفاعية، أو حرب عصابات، يربض فيها أ س د الله في خنادقهم حتى إذا مرت قافلة انقضوا عليها كالصواعق المرسلة تدمر كل شئ بأمر ربها، تبيد خضراءهم، وتلحي (تزيل اللحاء) شجرتهم.
وأما الآن فقد انتقل الجهاد من الدفاع إلى الهجوم ومن فتح مراكز صغيرة إلى فتح مدن كبيرة.
(2) إن جلال آباد منبت الشيوعيين، فمردة الكفرة معظمهم من هذه المنطقة وهم ينافحون بدافع الحفاظ على الحياة مع كراهية عميقة لهذا الدين. قد استقرت في قلوبهم من خلال التربية الحاقدة على كل القيم الربانية.
(3) إن الذين لهم أدنى معرفة بالحروب الشاملة يدركون أنه ليس بمستغرب طول حصار المدن. فقد حاصر نابليون عكا 1799 في أيام أحمد الجزار ثم ارتد ناكصا على عقبيه.
وهلك كثير من جيش هتلر في الحرب العالمية الثانية على أبواب (قوس كورسك)، وقد حاول أن يقتحمه بثمان وثلاثين فرقة إلا أن صمود مدينة ستالين جراد ومدن هذا القوس قد أدى إلى هزيمة هتلر، وقد كان (جنرال ثلج) أهم عامل بعد الصمود.
والقوات الإسرائيلية في هجومها على منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت الغربية بلبنان في 1982/6/4 رغم تفوقها في العدد والعدة و أن الهجوم كان برا وبحرا وجوا ، إلا أنها عجزت عن اقتحام المنطقة إلا بعد حوالي (80) يوما من القتال المرير والخسائر الباهظة، في حين كانت قد حددت لذلك مدة لا تتجاوز الأسبوع الواحد.
أقول: إن حصار المدن وفتحها ليس بالأمر الهين ولا يتم بومض البصر الذي أدى إلى الانتصار الروسي.
ونحن نستطيع أن نقول في حصار جلال آباد: لقد نجح المجاهدون في التكتيك (العمليات الجزئية) ولم ينجحوا في الاستراتيجية (الحرب الشاملة)، حتى الآن.
(4) لقد فتح المجاهدون خلال الشهرين الماضيين أكثر من مائة مركز حول جلال آباد، وغنموا غنائم كثيرة كانت تصل أكوامها طولا إلى عدة كيلو مترات، وفتحوا ثمر خيل وكامة، وأغلقوا الطريق بين جلال آباد وكابل، وعطلوا المطار، ونأمل من الله أن يعجل في فتحها إنه سميع قريب.
(5) أما نجيب وحكومته المنهارة فهم يعيشون حالة من اليأس القاتلة والتردي المزرية البئيسة، فلا يدع مارا بالشرق إلا ويستنجد به ليتوسط لدى المجاهدين وقد جاءني أحد القادة مرسلا إلي من رسول نجيب لأقابل رسول نجيب فرفضت ورددته إلى أمراء الجهاد، وقد تذرع نجيب بكل الوسائل متوسلا إلى المجاهدين أن يوقفوا ضرباتهم المتصببة فوق رأسه، ومن المضحكات المبكيات أن نجيب قد أعلن وقف إطلاق النار بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك وكأنه يملك أن يوقف النار أو يحركها.
موقف أصحاب الش مال (اليسار) العربي:
والصحف التي يمسك بزمامها أصحاب الش مال الذين يتدسسون من خلال أوكارهم الهدامة لتدمر حصوننا من داخلها في العالم الإسلامي، أقول: إن هذه الصحف والدوريات تلعب دورها في تحطيم نفسيات الجيل العائد إلى الله ولا تني صباح مساء أن تدس سمومها لغرس اليأس في قلوب المسلمين من خلال التلاعب بالألفاظ ومعسول الكلام.

في زخرف القول ترويج لباطله   والحق قد يعتريه بعض تأويل
تقول هذا جن ي النحل تمدحـــه   وان تعب قلت ذا قيئ الزنابيـــر

والشيوعية وأصحاب الش مال في العالم الإسلامي يكادون يتفجرون غضبا وغيظا على هزيمتهم الكبرى في أفغانستان وهم متحمسون للشيوعية ولنجيب أكثر من أمهم (روسيا) التي تركتهم نهبة للطامعين وصيدا رخيصا سهلا للقانصين، وركلتهم بأقدامها خاسئين خاسرين، وهم مع هذا كله يتربصون بالإسلام وأبنائه:
إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها
الآية (120) آل عمران.
وهم يعيدون ويبدئ ون أن القتال في أفغانستان حرب أهلية فكيف يجوز لمسلم أن يدفع درهما لتأجيج نار الفتنة الأهلية وسفك دماء المسلمين الأفغان، وكيف يزج مسلم بنفسه وبماله في هذه المتاهة (القاتل والمقتول فيها بالنار)؟!!! وكيف يعد المجاهدون أنفسهم مسلمين وهم يشنون حربا شعواء ويشعلونها نارا ضراما على نجيب الذي يصلي ويصوم، فالإنسان قد يكون ضالا ويتوب ويهتدي، ألم يسمعوا الحديث الشريف لأسامة بن زيد:
(أقتلته بعد أن قال لا إله إلا الله؟ ماذا تصنع بلا إله إلا الله؟ هل شققت عن قلبه؟) !!. (5)
وهكذا تواجهك الأسئلة الكثيرة التي يلب س بها اليساريون (أصحاب الش مال) على الأمة الإسلامية التي تفاعلت مع الجهاد الأفغاني المبارك وتعده من أخطر القضايا الإسلامية وأهمها شأنا .
يسألونني في الإمارات (أبو ظبي) أ و ي جوز قتال نجيب وهو يصلي؟ فقلت صدق الله العظيم:
وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور
الآية (119) آل عمران،
ولا يغيبن عن بال المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدر دماء بضعة عشر شخصا يوم فتح مكة قائلا (اقتلوهم ولو وجدتموهم معلقين بأستار الكعبة)(6) وقد ق تل عبد الله بن خطل وهو معلق بأستار الكعبة.
أما الحرب الأهلية:
فإن كانت المعارك بين جند الله وبين الشيوعيين في أفغانستان حربا أهلية فهذا يعني أن قتال الرسول صلى الله عليه وسلم لقومه حرب أهلية فقد قاتل صلى الله عليه وسلم يوم بدر أهله وعشيرته وقد عاتبه ربه بعد قبول الفدية من أسرى بدر السبعين وعدم قتلهم قائلا سبحانه
ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم
الآيتان (67-68) الأنفال
والإثخان هو كثرة القتل.
فقد كان العتاب لعدم قتل الأسرى لأنه لابد من الإثخان في بداية أمر دولة الإسلام ونشأتها في أية بقعة وعبر أي زمان.
وقد نزل القرآن مؤيدا لرأي عمر رضي الله عنه في الأسرى إذ قال (يارسول الله أرى أن تمكني من فلان -قريب لعمر- فأضرب عنقه وتمك- ن عليا من عقيل بن أبي طالب فيضرب عنقه وتمك- ن حمزة من فلان -أخيه- فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم)(7).
وبعد نزول الآية:
لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم
الآية (68) الأنفال.
قال صلى الله عليه وسلم (لو نزلت نار من السماء لأحرقتنا إلا عمر)، وفي رواية: (لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه إلا سعد بن معاذ لقوله: يانبي الله: كان الاثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال) (8).
والإعلام اليساري رغم إصابة الشيوعية بقاصمة الظهر، ورغم أن حوالي عشرين تصريحا لكبار الشيوعيين في العالم تؤذن بتراجعهم عن الشيوعية واعترافهم (أن الطريق لإنقاذ الاتحاد السوفياتي والشيوعية من الإفلاس هو العودة إلى الرأسمالية)، ومع هذا فلا زالوا بتبجح صفيق وجعجعة فارغة تسمعها ولكن لا ترى طحنا، أقول: إنهم يحاولون أن يصدوا عن سبيل الله، وأن يطفئوا نور الله بأفواههم، وأن يغطوا الشمس بغربال.

وعبثا يحاولون أن يصدوا القلوب عن قضيتها، وأن ينفروا الصادقين عن آمال عراض امتزجت بأرواحها وأمان كبار تعيشها بأحاسيسها، إنهم يعبثون ولن يوقفوا القدر الذي تحقق في هزيمة الشيوعية العالمية، وما هو إلا نعيق بوم ونعيب غربان.
وجدير بالذكر أن الصحف وأجهزة الإعلام الغربية أخبرت في تاريخ 89/4/11 عن حدوث تمرد ومظاهرات في "جورجيا" تطالب بالانفصال عن الاتحاد السوفياتي، و"جورجيا" هي مسقط رأس "شيفارنادزه" وزير خارجية الاتحاد السوفياتي ، وقد سقط في هذه المظاهرات (16) قتيلا و (160) جريحا باعتراف روسيا، فإذا كانت هذه حال ولاية "جورجيا" -النصرانية الأصل - فما بالك بحال الولايات الإسلامية التي تعيش غليانا شديدا كأذربيجان وطاجكستان.. وهذا يعني أن الاتحاد السوفياتي يعيش حركة تمزق داخلية قد تكون مسمار نعشه في المستقبل:
والليالي من الزمان حبالى صامتات يلدن كل عجيب

---

(1) مدجج : كامل السلاح ، الكماة: الأبطال
(2) مثقف: رمح ، صدق الكعوب : صلب
(3) الأصم: الصلب ،
ليس الكريم على القنا بمحرم: أي أن الرماح مولعة بالكرام لحرصهم على الإقدام
(4) جزر: جمع جزرة وهي الشاة التي أعدت للذبح ، ينشنه: يتناولنه ، المعصم: موضع السوار
(5) السيرة النبوية لابن هشام ج4/ ص 271.
(6) السيرة النبوية/ ج4/ ص 51.
(7)
(8) أحكام القرآن لابن العربي (884).

ما أشبه الليلة بالبارحة*
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد السادس والخمسون- ذو القعدة 1409هـ، الموافق يونيو 1989م].
الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لانبي بعده، وبعد:
فوق هذه الأرض التي نعيش عليها الآن دارت رحى أحداث هذه الملحمة المشرقة المحزنة، وعلى انجاد هذه البقعة برزت ضراغم وتألقت ضياغم، وشهدت وهاد هذه المنطقة مأساة أسيفة أليمة نكبت بها الأمة الإسلامية التي كادت تتنفس الصعداء والعيش في ظلال هذا الدين لولا قدر الله ثم الخيانة التي ولغ فيها كلاب الطمع وعبيد الدنيا ونحن الآن نلاحظ أن رياح تلك المأساة عادت تهب من جديد وأن الكير الذي كانوا يديرونه فيملأون الجو دخانا يعمي الأبصار عادوا يحركونه من جديد وإن النغم الذي عزفوا عليه فسكرت بلحنه العقول الطائشة التي أجهضت أعظم حركة إصلاح جهادية في القرن الثالث عشر الهجري ووأدوا دولة إسلامية ناشئة عادوا يعزفون عليه فما أحرانا أن ندرس فصول هذه المأساة لتكون لنا عبرة:
لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب
الآية(111) يوسف.
تمهيد:
فمن أعماق الظلام المطبق فوق القارة الهندية حيث المسلمون يعيشون كقطعان الغنم في ليلة شاتية تتناوشها الذئاب، وتجثم شركة الهند الشرقية الانجليزية بثقلها على صدر الهند، وأما الأجزاء التي يحكمها الراجاوات والاقطاعيون والنواب فكلهم يقادون بخطامهم من قبل الانجليز حيث تساق الأمة على مذبح شهوات بريطانيا، وباختصار فإن الانجليز قد أمسكوا بأيديهم لجام السيخ والمرهيتين والحكام المستسلمين، وكل خبرات الهند تصب في جيب السيدة الأم بريطانيا العظمى ولقد بلغ الانحلال الخلقي بالمسلمين إن بعض نسائهم كن يبعن كالسلع في بيوت تجار الرقيق الأبيض في أوروبا، في هذا الجو المدلهم المكفهر وفي سنة 1201هـ (1786) ولد البطل المنقذ والجواد الملهم وبرق الحسام الصارم (سيد أحمد عرفان الشهيد) في بيت علم وأدب ودين فآباؤه الصيد يشار إليهم بالبنان علما وخلقا وزهدا ورفعة في بلدة (رائي بريلي).
أخـــلاق :

وقد كان متيما منذ نعومة أظفاره بالفروسية وامتطاء صهوة الجياد، والرياضة والسباحة ولوعا بخدمة الأمة التي جعل انقاذها نصب عينيه، وكان متعبدا متبتلا ، ذاكرا مسبحا ، فقد قسم وقته بين خدمة الناس والعبادة والتسبيح والرياضة.
فقد والده في الثالثة عشرة من عمره فخرج إلى "لكنو" (72) كم عن مسقط رأسه في طلب الرزق في رحاب العلم والتربية، ترك أحمد عرفان "لكنو" وتوجه إلى دلهي ماشيا وكم كابد من وعثاء السفر ومرارة المسير وغصص الرحلة إذ قطعها وحيدا وواجه من الجوع والعطش والألم الشئ الكثير حتى تورمت قدماه، ووصل الشيخ عبد العزيز ابن الإمام ولي الله الدهلوي فعندما قدم نفسه إليه وعرفه فرح به كثيرا وأحله بيت أخيه عبد القادر وبدأ يتلقى الأدب قبل العلم وجد فيهما وأخذ نفسه بالعبادات والأذكار مع العلم وترك الشيخ عبد العزيز وأخوه بصماتهم على نفسية سيد أحمد عرفان وفي وقت قصير أجازه الشيخ عبد العزيز ثم عاد إلى وطنه (رائي بريلي) وأقام عامين في وطنه ثم تزوج.
في جيش أحمد خان:
كان حب الجهاد يأخذ بمجامع نفس بطلنا، ويحس في أعماقه أن الأمة قد طال عليها الأمد وغطت طويلا في منامها فلابد من ايقاظها، وسقطت بين براثن اعدائها، فحق انقاذها فكان لابد من أن يأخذ للأمر اهبته، ويعد للشأن عدته، فعاد إلى شيخه عبد العزيز في دلهي سنة 1226هـ فلفت نظره إلى الانخراط في جيش أمير خان الذي كان يقوم بجهود طيبة في مواجهة الزحف الانجليزي، وأمير خان ذو أصل أفغاني ذو مروءة وهمة عالية وانضم حوله مجموعة من الفرسان الأسود، ومكث سيد أحمد في جيش أمير خان ست سنوات مربيا وداعية وجنديا وليثا هصورا ، فارتفع مستوى الجيش التربوي والروحي فكان يعد ويستعد ويعطي ولقد كانت أخلاقه ورفعته معلما عمليا فكانت أخلاقه مدرسة فذة ومنارة سامقة.

العودة إلى دلهي:
وقعت ظروف قاهرة اضطرت أميرخان أن يهادن الإنجليز ووقع في قبضة الانجليز فقبل الإمارة تحت نفوذهم فاهتزت نفس السيد أحمد حزنا وتركه وعاد إلى دلهي، واستقبل استقبالا رائعا لدى وصوله.
بيعة الصاحبين : وهنا تقدم إليه اثنان من أسرة شاه ولي الله الدهلوي وبايعاه وهما الشيخ عبد الحي بن هبة الله البرهانوي والشيخ محمد اسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي وقد أصبحا أخص خاصته وكونا جناحين طار بهما إلى الدعوة والجهاد فأما الأول فقد برع في الخطابة والدعوة وأما الثاني فقد نبغ في أمور الحرب وفنون القتال، وهذان الشخصان من عمالقة حركة الإصلاح الديني في الهند وأفغانستان، ثم أقبل عليه خلق كثير يبايعونه ويمشون في ركابه ويشاركونه مسيرته ويعيشون معه آلام أمة تعتصر قلوبهم حزنا وآمالها التي ترفرف بأشواقها المجنحة في صدورهم وأعماق قلوبهم.

بث الروح:
وانطلق الصاحبان يرافقان شيخهما في الدعوة الإصلاحية الجهادية، وبدأت الدماء تجري من جديد في العروق الجافة في الهند والنبض يقوى فيضخ الدماء إلى الأطراف الميتة، فطفقوا يجوبون القرى والمدن ويتبعهم الآلاف المؤلفة يقبلون على بيعة السيد أحمد عرفان، وقد كانوا بأخلاقهم وسمتهم ودلهم روحا جديدا تنفخ في القلوب الميتة فمن دهلي إلى بهلت ولوهاري وسهارنفور ورامفور وبريلي وشاه آباد، فتتبعه جمهرة من العلماء وساروا في ركابه ومضوا على طريقه.
ثم عاد إلى بلده (رائي بريلي) ثم رجع إلى لكنو وأقام على تل الشيخ بير محمد اللكنوي على شاطئ نهر كومتي، فبايعه آلاف من الرجال.

تحطيم العادات:
وفي بلده تزوج بأيم وهو أول نكاح بأيم في السادة والأشراف الذين كانوا يأنفون من زواج الأيم.

الحج:
وقد قام بعض المتعلمين وأصدروا فتوى بأن الحج فيه مخاطر لأن ركوب البحر يعتريه المخاوف ولذا فالناس لا يستطيعون السبيل، فقام السيد ورد عليهم وأراد أن يهز فتواهم ويزلزل مكانتهم بحل عملي فأعلن عن عزمه

على الحج ونادى المنادى بالناس من أراد الحج فطعامه وركابه على حساب السيد فغادر بلده في شوال سنة 1236 مع أربعمائة ممن عزم على الحج معه وكلما مروا بمدينة أو بلدة نادوا بالناس لأداء هذه الفريضة ووجوب احيائها وكلما مر ببلدة اقبلت الجموع تبايعه فاقفرت حوانيت الخمر ومراكز اللهو ودور الفساد والبغاء وصارت العادات الذميمة تنمسح تدريجيا ببركة دعائه واخلاصه، حتى وصل كلكته عاصمة الحكم البريطاني، ومكث فيها ثلاثة أشهر ثم غادرها إلى جدة يرافقه سبعمائة وخمسة وخمسون شخصا ووصلوا جدة في شعبان سنة 1237 (مايو 1822) وأقام في مكة رمضان إلى الحج. وبايعه جمع من العلماء وعلى رأسهم إمام الحرم ومفتي مكة.

بيعة على الجهاد:
وفي أيام الحج وفي العقبة - حيث كانت بيعة الأنصار (بيعة العقبة) على نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقول في نفس المكان والزمان بايع السيد أتباعه على الجهاد، وبعد الحج توجه إلى المدينة المنورة وكان محط أنظار العلماء ومرجعهم وتجمع عليه كثير من عوام الناس وخاصتهم، ثم عاد إلى مكة في رمضان وكانت له حجة ثانية ثم قفل راجعا إلى بلده فوصلها في رمضان سنة 1239 (1824م).

التحريض على الجهاد:
ومكث في بلده سنة وعشرة شهور ليس له عمل سوى الحث على الجهاد والهجرة فكان يشعر أن الحمل ثقيل والأمانة كبيرة
أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب
الآية (214) البقرة.
فقد كان يرى بريطانيا تلقى بكلكلها على صدر الشعب الهندي وتمتص خيراته وتسومه سوء العذاب فليس لهذه الحالة حل إلا بالهجرة والجهاد وبذل المهج والأرواح:
فقاتل في سبيل الله لاتكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا
الآية (84) النساء.
هدف السيد:
كان أحمد عرفان يرمي إلى تحرير القارة الهندية بأسرها وإقامة حكم إسلامي فيها وقد صمم أن يبدأ معركته مع السيخ الذين يقيمون في البنجاب تحت قيادة (رنجيت سنغ) في لاهور، وقد اختار المنطقة التي تقطنها القبائل الأفغانية ذات الشكيمة الصلبة والمراس الشديد عدا عن أن كثيرا من أبنائها قد دخلوا جيشه وبايعوه فكان يطمع أن يؤدي الشعب الأفغاني دوره في القتال، أما البنجاب فصورها اقبال في بيت واحد قائلا : (لقد مات الإسلام في هذه المنطقة لأن السيخ قد انتزعوا من المسلمين السيف والمصحف)

الهجرة:
غادر السيد أحمد وطنه في جمادى الآخرة سنة 1241هـ متوجها إلى المنطقة الشمالية القريبة من الهند (بيشاور والحدود) فاجتاز صحراء بلوشستان المقفرة وتكبد من عناء العطش ولفح الصحراء ماتكبد، ووصل قندهار ثم اجتاز أفغانستان إلى بيشاور وكانت آنذاك جزءا من أفغانستان ولا يمر ببلدة إلا ويبعث منظر جيشه الأمل في القلوب اليائسة، هذا مع التحريض على القتال وبث روح الحمية الإسلامية واستثارة الغيرة الدينية في نفوس الناس فكان الجيش يزداد كلما مر بقوم فيندفع البعض لمبايعته ومتابعته.
لقد كانت هجرة شاقة سيما وأن اتباع السيد من علية القوم من دلهي والهند ومن ذوي البيوتات الرفيعة في الثراء بالإضافة إلى العلم والأدب.
فقطعوا صحراء (مارواز) بين الهند والسند التي تمتد على طول 814 كم، وبعد الرحلة المضنية استقبلهم أهل السند استقبالا حافلا ، ثم دخلوا صحراء بلوشستان بشعبها الجاف الخشن الطباع عدا عن انحسار الدين عن الحياة ودعك عن اللصوص الموزعين على طول الصحراء وعرضها، ثم دخلوا ممر (بولان) الشهير الذي

يعتبر المدخل الوحيد بين الهند وأفغانستان وطوله 55 كم وأخيرا وصلوا مدينة شال (كويته) ثم قندهار فغزني فكابل.
ولقد استقبل في المدن الأفغانية الثلاث بحفاوة بالغة وتكريم كبير إذ كان الأمراء يخرجون لاحتضانه والاحتفاء به، وكانت كابل في القمة من الفرحة البالغة والحفاوة الرائعة فاستقبله سلطان محمد خان مع إخوانه الثلاثة ونزل في قصر الوزير الكبير فتح خان وقد كان بين أمراء أفغانستان نزاع وخلاف أطمع فيهم الانجليز والسيخ فمكث السيد شهرا ونصفا في كابل يحاول أن يصلح بين الإخوة.
وقد كان السيد معجبا بهذا العرق الأصيل (الشعب الأفغاني) ويرى أن فيه من الأصالة وطيب المعدن والمروءة والفروسية مايمكنه أن يقيم دولة إسلامية تمتد من الهند إلى أسوار القسطنطينية لو اتحدوا، فحاول جاهدا الإصلاح بينهم ولكنه فشل وواصل مسيرته إلى بيشاور وأقام فيها ثلاثا ثم وصل إلى "نوشهرة" في 12 جمادى الأولى سنة 1242هـ.

في نوشهره:
وألقى عصا التسيار في نوشهره وأقام معسكره الإسلامي ووجه رسالته إلى رنجيت سنغ ملك السيخ في لاهور فاعتبر هذه الرسالة تطاولا على سيادته من شيخ من شيوخ المسلمين الذين يعيشون تحت حكمه كالسوائم إذ أن الرسالة تعرض عليه الإسلام أو الجزية أو السيف فاستهان بالرسالة وأرسل إلى قائده (بده سنغ) أن يأخذ حذره.
معركة اكورة ختك في 20 جمادى الأولى سنة 1242هـ: وبي ت السيد أحمد (بده سنغ) فهجم عليه ليلا وعمل في جيشه قتلا ونهبا وقتل منهم سبعمائة واستشهد من المجاهدين بضعة وسبعون رجلا وكان نصرا مؤزرا مبينا .

البيعة :
وبعد النصر المؤزر الذي أنزله الله على السيد في اكورة أقبل الناس وبايعوا السيد وقرئت خطبة الجمعة باسمه ورأى أمراء بيشاور الإخوة الثلاثة (يار محمد خان، سلطان محمد خان، وبير محمد خان) أن هذا أمر قد توجه وإن له ما بعده فأقبلوا على السيد وبايعوه، غير مخلصين.

معركة شيدو (بلدة قرب نوشهرة):
كان جيش السيد قد وصل ثمانين ألفا ولكنه من أخلاط الناس وأوشابها إذ كثر الغثاء على النواة المخلصة التي كانت تكو ن القاعدة الصلبة ممن تربى على يد السيد وذاق في الله وعلى طريق الهجرة ماأنضج نفوسهم، وجاء أمراء بيشاور بجيشهم البالغ عشرين ألفا وانضموا إليه وكان أمراء بيشاور على صلة وثيقة بالسيخ في لاهور، فدفعهم الحسد إلى دس السم في طعام السيد ثم دخلوا المعركة وقدم يار محمد خان فيلا أعرج إلى السيد ورأى أن يشترك السيد في المعركة والسم يأخذ من جسده كل مأخذ بين اغماء واستيقاظ ودخل السيد المعركة وطمع إخوة بيشاور أن يسقط السيد أسيرا بيد السيخ ولكن الفي ال كان رجلا صالحا فانسحب بالسيد من المعركة، وانسحب يار محمد خان من المعركة بعد أن لاحت تباشير النصر للمسلمين ثم انخذل الأخلاط من ورائه، وكانت معركة لها مابعدها لو صدق أخوة بيشاور، ولغيرت التاريخ في المنطقة ولكنها الأطماع والأهواء كم أضاعت من شعوب وكم هزمت من أمم.

في بنجتار:
أدرك السيد أن الجيش إذا كثر غثاؤه، وطفا زبده فإنه يصبح مصدر شر ومنبع فساد فلابد من التربية والبناء، وقد علمته معركة "شيدو" الكثير الكثير من هذا، واغتنمها السيد فرصة إذ عرض عليه فتح خان زعيم قبيلة (خدوخيل) أن ينزل في ضيافته في قرية "بنجتار" على أطراف "سوات" فجاء السيد مع ألف من أتباعه واستقروا فيها وعملوا على هؤلاء بالتربية على قدم وساق (بالقيام والصيام وكثرة الذكر وطول القيام) مع التدريبات الشاقة، وأقام مصنعا للذخيرة والقنابل في قرية (قاسم خيل) مع مزاولة الفروسية وسباق الخيل.

البيعة في 15 شعبان 1244:

وبعد سنة من الدعوة والبناء في "سوات" ومنطقتها وعاصمتها (خهر) فاتح السيد زعيم القبيلة فتح خان بأنه لابد أن يتنازل عن القانون القبلي وأن يبايع السيد على الحكم الإسلامي وفي جمع غفير من المنطقة بايع فتح خان وبايع الناس، وأقام السيد نظام الحسبة والقضاء الشرعي وجباية الزكاة وعم العدل وأمن الناس وتوارى الفساد.

في مواجهة القائد الفرنسي فينتورة: كان فينتورة قائدا لرنجيت سنغ، فكان قائدا للجيش الخاص الذي كان يفوق الجيوش الحديثة تدريبا وتنظيما واستعدادا ، وبعد بيعة السيد استدعى خادي خان أحد زعماء القبائل الذين حضروا البيعة فينتورة لعله يسحق السيد أو يزيله من المنطقة، وعسكر فينتورة وطلب الأتاوات التي كان يأخذها من زعماء القبائل فرفضوا قائلين نحن بايعنا السيد، وأرسل السيد كتيبة عدادها ثلاثمائة واصطفت في مواجهة فينتورة فألقى الله في قلبه الرعب وكثر الله المؤمنين في نظره وانسحب من المنطقة.

وفي السنة التالية استدعاه (خادي خان) فجاء بعشرة آلاف ليغسل عار الهزيمة الأولى وتوجه إلى بنجتار (مقر الجيش الإسلامي) وعندما علم السيد أمر المسلمين أن يبنوا جدارا في مدخل بنجتار الوحيد، ولبس السيد لأمته وخرج بسلاحه وصف الجند الذين بلغوا ثمانية آلاف، وتقدم الشيخ اسماعيل فقرأ آيات بيعة الرضوان من سورة الفتح، وبايعوا السيد على إحدى الحسنين (النصر أو الشهادة) ودعا السيد دعاء طويلا مخبتا ذرفت منه العيون ووجلت فيه القلوب.

وتقدم فينتورة ورأى هذا الجيش الإسلامي فألقى في قلبه الرعب وانسحب ثانية.

النصر المبين:

ولقد كان لهزيمة فينتورة دوي هائل على طول البلاد، وتحدث به الناس بين حاضر وباد وأقبلت القبائل تبايع السيد وتعاهد على نبذ الشرائع القبلية الجاهلية وعلى التزام الحكم الشرعي إلا "خادي خان" فقد ركب طيش رأسه وأصر على عناده وأبى.

فأرسل إليه السيد محمد اسماعيل على رأس كتيبة عدادها خمسمائة مقاتل وقبل القتال ذكره بالله وبالتزام الشرع الإسلامي فرد خادي خان (نحن لنا شرع ولكم شرع).

وبعد انقطاع الأمل استقر الرأي على اقتحام قلعة خادي خان المسماه ب- (هند) فاقتحموها وقتلوا خادي خان ورجلا آخر وخضعت القرية الحصينة لحكم السيد.

وهنا انتفض يار محمد خان وقام على رأس جيش لجب من بيشاور مع سرب من الأفيال ووصل إلى (هرياته) يريد أن يقصي السيد عن (هند) وأرسل رجاله يعيثون في الأرض فسادا وأطلق المدافع ليقذف الرعب في قلوب الأهالي، وهنا أرسل السيد رسله يمحضونه النصح ويذكرونه بالله فاستقبلهم باستعلاء وعنجهية وإباء.

معركة زيدة:

وهنا اضطر السيد أن يرسل الشيخ اسماعيل على رأس كتيبة عدادها ثمانمائة فأقبل المجاهدون على الموت وعلا التكبير ودوى الزئير.

وتقدموا إلى كتيبة مدافع العدو واستولوا عليها واستعملوها ضد يار محمد خان، وهرب الشتات وجموع المرتزقة الذين جمعهم يارمحمد وجرح ومات على الطريق وكان نصرا عظيما مؤزرا .

معركة تورد:

بعد مقتل يار محمد خان أمير بيشاور في زيده أقبل أخوه سلطان محمد خان يقود جيشا عرمرما يعد ثمانية آلاف فارس وأربعة آلاف راجل للأخذ بثأر أخيه واراحة المنطقة من الخطر الإسلامي الجديد فعندما علم السيد بهذا أرسل إليه الرسل وذكره بالله ثم بالإسلام أن لايزج بالناس في حرب يفرح بها أعداء الله من الإنجليز والسيخ وذكره بالبيعة التي في عنقه ولكنه قابل النصح بالاستخفاف وأرسل إليه السيد مرات وعندما علم إصراره على الحرب خرج السيد يقود كتائب الإيمان المكونة من (خمسة آلاف فارس وثلاثة آلاف راجل) ودعا طويلا وكان هذا دأبه قبل كل معركة وأنشد المجاهدون نشيد الجهاد الذي نظمه (خرم علي) وتسابقوا إلى الموت وأبدى السيد بسالة فائقة، وهزم العدو ودارت الدائرة عليه وقتل منهم عدد كبير ونصر الله جنده.

فتح بيشاور:

وهنا آن الأوان لفتح بيشاور بعد أن صنع أمراؤها ماصنعوا، فتوجه السيد بجيش قوامه سبعة آلاف من المجاهدين ومروا على مردان وبقي فيها يومين ثم توجه إلى بيشاور وهنا أرسل سلطان محمد خان رسله يعلن توبته وندمه فأبى السيد إلا دخول بيشاور حتى لايشيع سلطان أن السيد قد انخذل خوفا ورعبا ، وألقى السيد تعليماته ووجه نصائحه ومواعظه إلى الجيش بوجوب التزام آداب القتال وعدم الغلول، وصيانة حرمات المسلمين وأموالهم وأعراضهم، ودخل الجيش وهرب سلطان محمد خان وبقي الجيش جائعا يومين حتى ذهب (بهرام خان) واستدان من الصرافين مالا واشترى للجيش طعاما .
وهنا عاد سلطان محمد خان وأرسل يعرض التوبة على السيد وتجديد البيعة ونزع يده من كل ثائر على الحكم الإسلامي وفزع الناس إثر سماعهم هذا العرض لأنهم خشوا أن يعود سلطان إلى ظلمه وبطشه خاصة وقد رحب الناس بالفتح المبين.
وقابل سلطان محمد خان السيد أحمد فذكره السيد بالمؤامرات التي حاكها مع إخوانه خلال السنوات الثلاث من شيدو إلى زيدة ثم تورد، فأخرج له سلطان رسالة من بعض علماء الهند المحترفين يحذرونهم من السيد وصحبه ويغرونهم بالإيقاع به بمجرد الوصول إليهم لأنه خارج عن الإسلام وعميل للإنجليز. فدهش السيد وهو يرى هذا النوع من المحترفين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وأظهر سلطان ندمه وتوبته وجدد بيعته وعاهد أن يكون مخلصا وفيا للسيد وخاضعا لأحكام الشرع.

تولية سلطان محمد خان على بيشاور :
وولى السيد سلطان محمد خان أميرا على بيشاور وعين مظهر علي العظيم الآبادي قاضيا فيها، وعين المحتسبين والجباة في القرى والمدن وبدأ شرع الله يسود المنطقة كلها، وأزيلت المظالم، وأعلن السيد وجوب تخفيف المهور لأن غلاءها أدى إلى شر مستطير وفساد كبير.
تعطيل القانون القبلي (الأفغاني) وسيادة شرع الله:
وعندما ساد شرع الله تعطلت مصالح الزعماء والرؤساء والمنتفعين من العلماء وقد عب ر عن هذه النفسيات عناية الله خان السواتي الذي أرسل رسالة إلى محمد اسماعيل قائلا :
(إنكم لا تحيدون عن الكتاب والسنة قيد شعرة وإن الكتاب والسنة والعلماء في جانبكم ولكن هذه الأحكام يشق علينا العمل بها وسنظل متمسكين بتقاليدنا الأفغانية فإن أبيتم علينا حاربناكم فإن كان الظفر لكم غادرناها إلى بلد من بلاد الكفار).

المؤامرة الرهيبة (الوهابية):
وعاد سلطان محمد خان مع بعض القوم يتآمرون واتفقوا مع الانجليز والسيخ وزعماء القبائل فأجمعوا أمرهم أن يشيعوا بين القبائل أن السيد قد جاء بدين جديد هو (الوهابية) الخارجة عن الإسلام وأرسلوا أموالهم ووزعت على بعض العلماء الموالين للكفار وعلى رءوس القوم وتواعدوا فيما بينهم يوما للقيام على القضاة والمحتسبين وعمال السيد الإمام وقتلهم جميعا ، وجاء اليوم الموعود وانطلق القوم لا يلوون على شئ ولا يرعون في مؤمن إلا ولا ذمة وبدأوا يصادون كالظباء الموادعة فعملوا فيهم مجزرة عظيمة فقتل علي العظيم آبادي في بيشاور ورمضان شاه رئيس القضاة وقد قتل قسم منهم أثناء الصلاة، وهكذا أبادوا صفوة المهاجرين المجاهدين بهذه الخيانة النكراء التي قلما شهد لها التاريخ مثيلا بالخسة والنذالة.

الهجرة الأخيرة :
ووقع النبأ كالصاعقة على قلب السيد وقرر الهجرة من بنجتار خاصة وقد علم أن فتح خان (زعيم منطقة بنجتار) متآمر مع المجرمين وقرر أن يغادر وبكى الكثيرون على قراره وحاولوا أن يثنوا عزمه عن القرار ولكنه مضى ويمم شطر كشمير ليجاهد الانجليز منها وعلى الطريق استقر الجيش في (بلاكوت) الحصينة حيث وصلها في رجب 1346.
وفي بلاكوت طوي سفر القافلة المباركة : إذ هجم السيخ بجيش كبير عليهم ورأى بعض أتباع الإمام الانسحاب إلى الجبال بعيدا عن جيش السيخ حتى يعد العدة ويعود للانقضاض ولكنه أبى وقال (إما النصر على السيخ ودخول لاهور أو الجنة) وبدأ السيد بالدعاء الطويل وقذائف السيخ تتصبب عليه وهو في المسجد ويسمع بين الحين والآخر هاتفا يناديه ويتساءل أدعاني أحد منكم فيجيبه المجاهدون بالنفي، ثم انقض مع

أصحابه كالسهم الخاطف، والصواعق المرسلة وحمي الوطيس وانتقلت المعركة إلى استعمال السلاح الأبيض والاشتباك حتى كان المجاهدون يلحقون بالسيخ ويجرونهم بأرجلهم، وفجأة قتل محمد اسماعيل، وأبيد القوم، واختفت جثة السيد أحمد عرفان فلم تعرف وكان هذا آخر فصول المشاهد العظيمة التي كانت الدنيا كلها تتتبع أحداثها بلهفة ولوعة وهي تنتظر انتصار الإسلام على السيخ والانجليز وإعلاء راية الإسلام وشريعته في وسط آسيا كلها وقد كانت الفاجعة في 24 ذي القعدة 1246 الموافق 6 مايو سنة 1831، واستشهد في الواقعة ثلاثمائة من صفوة أهل الأرض ثم أسدل الستار.

مواصلة الجهاد :
وواصل أتباع السيد أحمد عرفان الجهاد ضد الانجليز واضطروا أن يرسلوا عشرين بعثة عدادها ستون ألفا لمقاومة المجاهدين وقد اعترف الدكتور هنتر بأن تكنات الجيش الإنجليزي في البنجاب قد خلت بعض الأيام لانشغالها لمحاربة المجاهدين وأخيرا أثاروا القبائل باسم (الوهابية) وقضت عليهم وما انتهى نشاط المجاهدين إلا بعد قرن كامل سنة 1320هـ حيث توفي آخر أمير لجماعة المجاهدين عبدالله بن ولاية علي الصادقفوري (1).
ونسمع اليوم عن حركة وليدة ناشئة في بلوشستان تنادي بالجهاد على خط أحمد عرفان الشهيد. وقد كتب د.هنتر عن قضية السيد أحمد عرفان كتابين هما:
THE GREAT WAHABI CASE _ INDIAN MODEL MANS.

ما اشبه اليوم بالبارحة:
واليوم في الجهاد الأفغاني تستعمل بريطانيا نفس السلاح المسموم فتثير الغوغاء وتحرك الدهماء على القادة الصادقين والعرب القادمين المهاجرين لنصرة الجهاد بهذه الشائعة (الوهابية) وتصبح الوهابية نغما لازما تعزف عليه الصحف الغربية وإذاعة كابل والصوفية المخرفة وصوت أمريكا وإيران الحرة لعلها تفرق بين العرب والأفغان وتعيد تحجيم القضية مرة أخرى إلى قتال قوم (الأفغان) ضد الروس، بعد أن أصبح الجهاد في أفغانستان جهادا عالميا إسلاميا يقض مضاجع أعداء الله في الدنيا كلها، ولكن قادة الجهاد والعلماء الصادقين وقفوا وقفة مشرفة أمام هذه المؤامرة الجديدة حتى عب ر عنها الشيخ يونس خالص قائلا (إن حب العرب جزء من ديننا).
يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون
الآية (32) التوبة .

---

(1) (ارجع إلى الموضوع بتفاصيله في كتاب أبي الحسن الندوي/ إذا هبت ريح الإيمان)

حضارة الإرث الثالث*
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد السابع والخمسون- ذو الحجة 1409هـ، الموافق يوليو 1989م].
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.
قال لي صاحبي معاتبا : أنتم قدمتم القضية الأفغانية في إطار أوسع من حجمها، وبصورة أنصع من واقعها، وبضخامة أكبر من أحداثها، وهذه مسؤولية أمام الله،
مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد
الآية (18) سورة ق.
وقال لي آخر: لقد بدأت صورة العملاق الأفغاني تقزم، وإشراقة الصفحة الجهادية تبهت، وبدأ الجهاد يفقد تلك الجاذبية التي أغرت الجماهير الإسلامية بمتابعته، وجذبت العشاق من كل ح د ب وصوب فارتمت على عتبته.
وقال لي ثالث : إنك ماتفتأ تذكر أن الشعب الأفغاني شعب فريد في أصالته عريق في أرومته فذ في استعداداته وفطرته، مع أننا رأيناه جاهلا فيه كثير من السقطات والهفوات والإنحرافات.
فأجبتهم : رويدكم، لا ترموني شزرا ، ولا تزلقوني بأبصاركم ضجرا ، ولا ترهقوني من أمري عسرا فما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين.

أما عن تقديم الجهاد الأفغاني في ثوب فضفاض فهذا أمر غير صحيح، إذ لم يكن في حسبان أحد أن الجهاد سيحقق الأماني الع ذاب واقعا ملموسا بمسيرة الآلام والعذاب فلقد حو ل الجهاد الأساطير إلى أحداث ووقائع ولقد كانت الإحصائيات التي قدمتها الأقمار الصناعية الأمريكية وأجهزة التنصت الباكستانية أن ما دار في أعماق أفغانستان شئ يشبه الخيال لا يمكن وجوده إلا في عالم المثال تدركه الأشواق وتقصر دونه الأفعال.
فلقد كانت التقريرات تثبت أنه قد سقط وحطم للسوفييت حتى بداية سنة 1988 حوالي ألفين وثمانين طائرة، وعسكريا مثلها يكون قد استهلك لكثرة الاستعمال ودمر حوالي 17 ألف دبابة ومصفحة و 12 ألف آلية.
وهذه أرقام لم يشهد لها التاريخ نظيرا بعد الحرب العالمية الثانية، بل أستطيع أن أقرر قائلا :

واقعها أكبر من إعلامها:
ما رأيت قضية واقعها الفعلي أكبر من إعلامها مثل قضية أفغانستان، وأما عن الشعب الأفغاني:
فهذه شهادة التاريخ القائلة: بأنه فريد في شدة مراسه وصلابة شكيمته وقوة بأسه، ودعك عن صبره وأنفته، وعزته وشدته وسلامة فطرته، وإبائه وحيائه. وإذا حمل الشعب الأفغاني عقيدة فإنه يبذل لها المهج والأرواح فقد اعتنق البوذية أولا وكان وراء نشرها في وسط آسيا وشرقها ثم اعتنق الإسلام فحمله على رؤوس الأسل وصفاح البيض وعم الإسلام المنطقة ولم يذعن أهل أفغانستان التي تشكل جزءا من أرض خراسان - للإسلام بسهولة بل بعد جهد جهيد يقول ياقوت الحموي: (وإذا اندلعت نار الحرب في خراسان أحرقت الأخضر واليابس وأتت على المدنية والعمران لشدة بأس أهلها وقوة شكيمتهم ودفاعهم عن أمصارهم والتصدي لخصمهم) (1).
قال صاحبي: ولكنك لم تذكر عيوب الشعب الأفغاني، فأجبت قائلا نحن نتكلم في قضية معينة وهي الحرب والشجاعة والصبر والبطولة، وهي التي فقدتها معظم الأمة الإسلامية.
أتريدوني وأنا أتكلم عن بطولة عنترة الفرسان أن أقول عنه ولكن له رائحة كريهة تخرج من عرقه أثناء المعركة وهو جاهل أمي حتى تكون الصورة صادقة والنقل أمينا ، وأقول من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها فمن كان شعبه خاليا من العيوب فليذكر عيوب الأفغان.
وأما إكرامهم لضيفهم فحسبك ما رواه أبوالجنيد عن أهل فارياب قائلا : لقد بقينا طيلة شهر رمضان سنة 1409هـ كعرب نأكل الرز -بدون لحم- سحورا وفطورا ثم اكتشفت أن القائد قد ألقى أوامره الحاسمة للطباخ أن يشتري لنا الرز دينا من الأسواق بينما الجبهة تفطر وتتسحر الشاي و الخبزفقط.
أما عن صورة المارد الذي تقزم فهذا شأن الإعلام اليهودي الغربي الأمريكي إذ أنهم نقلوا بعض الصور الحقة أثناء القتال بين الأفغان والروس، وقد كان الأمريكان جد خائفين من استمرار الاحتلال الروسي لأفغانستان وكانوا يخشون على آبار البترول في الخليج العربي وعلى المياه الدافئة فكان يهمهم أن لا تستقر قدم الدب الروسي أيضا قرب بحور الذهب الأسود، ويهدد مصالحهم في باكستان والدول الصديقة، أما الآن وقد هزمت روسيا وولت على أعقابها مدبرة ذليلة حسيرة. وأصبح المجاهدون قاب قوسين أو أدنى من الانقضاض على عرش نجيب والإجهاز على الشيوعية، انتفضت الدنيا خشية أن يصل المجاهدون الحكم ولذا ألقيت الأوامر إلى الإعلام أن يبحث عن كل نقيصة فيلصقها بالمجاهدين ويبرز غوربتشوف بأنه بطل السلام فبدأت الأوتار الموتورة والحملات المسعورة تعزف على قضايا (الحرب الأهلية) (القتال بين المسلمين) (الوهابية وهدم المذهب الحنفي)، وبدأت الضفادع اليسارية من أهل الش مال والببغاوات التي تقبع وراء كثير من الصحف العربية تردد ما يبدئ فيه اليهود ويعيدون، وتحذ ر من دفع المساعدات للمجاهدين لأنها - بزعمهم - تزيد في سفك دماء المسلمين في حين أن كف الأيدي عن البذل في قضايا مثل أفغانستان إنما يعني عدم دفع الشر عن الأطفال الأطهار وعدم حقن دماء الشيوخ الأبرار.

المؤامرة كبيرة:
ففغر صاحبي فاه قائلا إذن فالمؤامرة عالمية فأجبت قائلا : نعم ألا تسمع اللحن النشاز في مسيرة الشرف والفخار والذي ينادي بعودة ظاهر شاه فقد نقل إلي أن الجنرال أكرم قد عاد من عند ظاهر شاه قبل أيام فسئل عن الملك فقال: لقد عرض عليه الأمين العام للأمم المتحدة أن يرجع إلى أفغانستان فأجاب الملك لن أرجع حتى يطلبني القادة السبعة وعلى رأسهم حكمت يار وسي اف وذا يكون حين يلج الجمل في سم الخياط.

مقتل ضياء الحق:

فقال صاحبي وهو يتابعني ولعل قتل الرئيس ضياء الحق كان جزءا من المؤامرة. فقلت: إن قتل ضياء الحق كان الركن الركين في هذه المؤامرة فلقد قتل ضياء لأنه وقف وقفة الشرف والإباء بجانب ليوث الله فكان الغرب والشرق يخشون أن يصل المجاهدون إلى الحكم ويحفظوا لهذا القائد الفذ يده البيضاء ويقيموا اتحادا فدراليا أو كونفدراليا مع باكستان فتلتقي الطاقة البشرية الإسلامية في أفغانستان مع القوة الذرية في باكستان وعندها تصبح مصدرا للرعب يهز أوصال الكفر في العالم أجمع، عدا أن ضياء الحق قد أسدل ستارا حديديا من الصمت المطبق حول قضية المفاعل النووي الذي حمت لوجوده أجهزة الأمن الهندية واليهودية (الموساد) والتي أوكلت لأجهزة الرصد الأمريكية بالبحث عنه فباءت بالفشل.

عدا أن ضياء الحق كان يقف صخرة شماء أمام المخطط الأمريكي الذي ينوي ضم الهند إلى المعسكر الغربي وكان للهند شرط واحد: أن تكون شرطي المنطقة فيأبى الراحل الفذ أن يعطي الدنية في دينه للهند. ودعك عن الوقفة المشرقة التي ودع بها الدنيا يوم أن أطاح بالحكومة المدنية وآلى على نفسه ليحكمن بالإسلام وإن كلفه ذلك نفسه وعرشه.

ولذا فإن المراقبين يكادون يجمعون أن أمريكا هي التي عبثت بطائرته وذلك لأن المادة الكيماوية التي استعملت في حادثة اغتياله لا تصنع إلا في دولة متقدمة.

واستدارت عجلة الجهاد:

أما اليوم فقد استدارت عجلة هذا الجهاد كيوم بدأ وعاد يواجه الصعوبات التي قابلها في تلك الأيام الأولى من ضيق ذات اليد وتنكر الصديق قبل العدو، وبدأ التضييق على الحدود، وجاء قرار منع إخراج الأغذية خارج باكستان كثالثة الأثافي ليحول دون وصول الرغيف إلى يد ليوث الغاب فإذا وضعت في حسبانك السنين التي حل ت على أفغانستان خاصة شمالها وغربها تحمل معها القحط والفاقة حتى تضاعف ثمن الطحين لهذا العام خمسة أضعاف وزحفت الآفات مع الجراد لتأتي على ما بقي من حياة وأضافت القذائف بحرائقها على هذا الجو الكئيب الحزين عمقا لمأساة الرغيف. ولقد جاءني "نعمة الله" أحد تلاميذ معهد الأنصار من بدخشان يقسم لي أن جبهتي في "شهربزرك" تعرض السلاح للبيع حتى تشتري الطحين للمجاهدين ولكن أن ى لهم بالمشترين؟

ودعك عن إيقاف الدعم المفاجئ الذي واجهه المجاهدون من الدول الصديقة وهم على أبواب كابل حتى لا تحسم المعركة عسكريا .

الحائط المسدود:

قال صاحبي: ولكن ألا ترى أن الجهاد الأفغاني قد وصل إلى حائط مسدود ومأزق ضيق ووقف أمام عقبة يصعب عليه اجتيازها بعد عجزه عن فتح جلال آباد مع مرور هذا الوقت الطويل؟

فقلت له: رويدك قليلا ولنرجع إلى الوراء قليلا لندرك حقيقة جلال آباد فلقد كانت الحكومة تسيطر على مساحة 70×30 كم (2،100كم2) تقريبا قبل ثلاثة أشهر في منطقة ننجرهار (جلال آباد) فلم يبق في يدها إلا (7×4كم) هذا بالنسبة لجلال آباد التي تقع تحت رحمة نيران المجاهدين التي يكفونها عن الأهالي.

أما بالنسبة لأفغانستان : فالمجاهدون يسيطرون تقريبا على معظم الطرق الرئيسية مثل شارع كابل غزني، قندهار هرات، كابل جلال آباد، جلال آباد طورخم، جلال آباد أسعد آباد، كابل لوكر، لوكر جارديز.

ودعنا نقلب معك صفحات التاريخ :

حصار الطائف :

ألم يرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبواب الطائف بعد أن حاصرهم بضعا وعشرين ليلة بعد أن نالت النبال من أصحابه صلى الله عليه وسلم ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق حتى كان يوم الشدخة عند جدار الطائف ودخل نفر من أصحابه صلى الله عليه وسلم تحت دبابة (آلة تصنع من خشب وتغطى بالجلود يدخل فيها رجال ليصلوا إلى السور لينقبوه) فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد المحماة بالنار فخرجوا من تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا فأمر صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف (2).

فتح العراق:

ألم تعلم ياأخي أن المدة التي مضت بين القادسية التي كانت في محرم سنة 14هـ وبين نهاوند سنة 12هـ (أقدم مدن العراق) سبع سنوات. وكان المسلمون خلالها بين كر وفر وهزيمة ونصر.
أما علمت أن الصحابة والتابعين قد وقفوا أمام حصون تستر (مدينة الهرمزان) سنتين كما يروي ابن كثير، وأنهم قد خاضوا مع الكفر فيها ثمانين معركة وزحفوا ثمانين زحفا وما دخلوها إلا بعد أن خرج إليهم رجل من أشراف القوم اسمه "سمينة" ودلهم على الطريق وأدخلهم بأمان حتى قتلوا الحرس واقتحموا الحصن بعد أن دعا لهم البراء دعوته المستجابة (اللهم اهزمهم واستشهدني)، وقد استشهد خيار الصحابة فيها كالبراء ومجزأة بن ثور.
وفي نهاوند (فتح الفتوح) يرسل النعمان بن مقرن طليعة أمام الجيش ولهول الموقف يرجع الجميع حتى عمروبن معد يكرب وينفذ رجل واحد وهو طليحة الأسدي (المتنبئ التائب) فلما طال الحصار جمع النعمان أهل الرأي يستشيرهم فقال عمرو بن معديكرب يحرض المسلمين (ناهدهم وكاثرهم ولا تخفهم فردوا عليه جميعا : إنما تناطح بنا الجدران والجدران أعوان لهم علينا)(3).

فقه الأوراق وفقه الحركة:

والذين يزاولون فقه الأوراق اليوم وهم ينقلون عن الصحابة طول مدة القصر يظنون أنهم كانوا مستقرين مطمئنين ولا يعلمون وهم ينقلون عن الصحابة أنهم كانوا في معارك لا تتوقف أو جو من الرعب والرهب في حصار أعداء الله وشبح الموت يتراءى أمام نواظرهم صباح مساء.
فقد روى نافع عن ابن عمر (أقام ابن عمر بأذربيجان ستة أشهر يصلي ركعتين وقد حال الثلج بينه وبين الدخول) وقال أنس: (أقام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم برام هرمز سبعة أشهر يقصرون الصلاة)، وقال الحسن (أقمت مع عبد الرحمن بن سمرة بكابل سنتين يقصر الصلاة ولا يجمع) فقد كان الجميع يعيشون المعركة في خضم متلاطم من القبائل والأعداء يتحفزون للانقضاض عليهم والبطش بهم.
قال صاحبي: إذن لم يفت الوقت فأجبته بلى: بل إن الجهاد في تقدم وما من يوم يمر إلا والجهاد يحقق نصرا مهما كان ضئيلا والمجاهدون الآن يدمرون الحزام الأمني الثاني لكابل، ويوصلون الليل بالنهار لمعركة كابل المقبلة خلال الأشهر القليلة المقبلة بإذن الله، فتراهم مشغولين بحفر الخنادق وتخزين المؤن ونقل الأسلحة
ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز
الآية (40) الحج.
وبشرنا حكمت يار بالأمس عن فتح مديرية كبرى من مديريات كابل وهي (ميربجاكوت) مع غنيمة 16 دبابة.

أريدحياته ويريد قتلي:
ولو علم الغرب والشرق والأمريكان بالذات ما سيحققه انتصار هذا الجهاد من خير لهم، ومن إنقاذ لإنسانيتهم، وحل لأزمتهم، لبذلوا له الغالي والرخيص والنفس والنفيس، إنهم يردون الرحمة المهداة، والسكينة والطمأنينة المنشودة والتي فقدوها نهائيا في مجتمعاتهم، إنهم يقتلون الإنسانية بحضارتهم، وانتصار الجهاد وتسلم المجاهدين للزمام يعني تقديم السعادة للإنسان، إن حاجة البشرية اليوم إلى الإسلام أشد من حاجتها إلى الطعام والشراب.
إن حضارة الإسلام هي الوحيدة التي تصلح لإرث الأرض وإنقاذها، إن نداء الفطرة يصرخ: أريد حضارة (الإرث الثالث) كما يسميها جارودي، إن الفطرة تريد الخلاص، وصدق الله العظيم:
أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون
الآية (122) الأنعام.
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

---

(1) خراسان لمحمود شاكر / ص 12.
(2) السيرة النبوية لابن هشام / ج4، ص 126.

(3) البداية والنهاية /129/7.

الطريق إلى كابل*

[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الثامن والخمسون- محرم 1410هـ، الموافق أغسطس 1989م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فعلى طول الطريق من بيشاور إلى غند الفتح (جاجي) كان الحديث الذي يدور بيني وبين حكمتيار ويملك ويحتل الأهمية البالغة في وقتنا هو حديث الجهاد، وفي قمة الأهمية البالغة معركة كابل التي أصبحت الشغل الشاغل للمجاهدين قادة وجنودا ، كيف لا وهي فيصل المعركة التي ق دم لها الغالي والرخيص والنفس والنفيس، وعلى حسم المعركة في كابل تتوقف نتائج عظيمة لهذا الجهاد الذي اشرأبت له الأعناق، وهفت له القلوب، فأصبح لها موردها ومثابتها، وسامرها وأنيسها وسلوتها، فما بذلت النفوس، ولا أريقت الدماء، ولا كانت هذه التضحيات إلا لتحقيق هذه الأمنية وذلك بفتح كابل والتي يترتب عليها اسقاط النظام الشيوعي ومن ثم إقامة دين الله في أفغانستان، وبناء المجتمع الإسلامي.

مركز "الفتح":

وصلنا مركز "الفتح" الذي أخذ حبه على حكمتيار كل مأخذ، إذ كانت له في غاباته ذكريات عزيزة إبان المعارك التي احتدمت خلال الأعوام المنصرمة، وقد كان حكمتيار أثناءها يتخذ قمة من القمم الشاهقة التي تناطح عنان السماء مستقرا يربض فيه خلف رشاش مضاد للطائرات، وقد صاحبته في بعض المواقع الساخنة في هذه الأصقاع وكانت يومئذ في الحرب الضروس فئات كأن المتنبي يعنيها قائلا :

في غلمة أخطروا أرواحهم ورضوا   بما لقين رضا الآساد في الأجم (1)

قد بلغوا بقناهم فوق طاقتــه   وليس يبلغ مافيهم من الهــم (2)

ولشدة ولعه بحب "الفتح" فقد أوصى حكمتيار: (إذا مت في بيشاور أو في باكستان فادفنوني في الفتح وإذا استشهدت في أفغانستان فادفنوني حيث مصرعي).

لقاؤنا مع الإخوة العرب:

وقد كان اللقاء في الفتح مع مجموعة من الإخوة العرب في الثاني من ذي الحجة سنة 1409هـ يقودهم أبو الحسن ومعه ثلة من الصفوة قد أعدوا أنفسهم ليلقوا بها في أتون معركة كاسبل، وفي خضم أحداثها، وبدأ أبو الحسن يتكلم عن رحلته قبل أيام إلى خرد كابل حيث زار مع بعض إخوانه مناطق الحوزة الثالثة من كابل (سروبي وبجرامي وتشار أسياب)، وأخرج أبوالحسن خارطة كابل، وكان قد طبع حوالي ثلاثمائة خارطة لأماكن شتى لكابل وماحولها، ودار الحوار حول حوزات كابل وأهدافها الرئيسية فقال حكمتيار:

لابد من إغلاق الطريق الرئيسي الواصل بين سالنج وكابل، طريق (حيرتان - سالانج - كابل) هذا هو الهدف الأول الذي يجب أن نضعه نصب أعيننا.

وأما الهدف الثاني فلا بد من ضرب المراكز الحساسة مثل مطار كابل (خوجا رواش)، وبجرام، ودار الأمان.

ثم قال حكمتيار: إن مديريات كابل يمكن ترتيبها حسب أهميتها في المعركة القادمة كالتالي:

(1) الحوزة الأولى الشمالية : ذات الأهمية القصوى وتضم أربع مديريات: قره باغ، مير بتشاكوت، دي سبس، شكردره.

وهذه يوكل إليها مهام ضرب الطريق الرئيسي (حيرتان - سالنج - كابل) ومطار بجرام ومطار خوجا رواش (مطار كابل).

(2) الحوزة الثانية (حوزة غرب) وتضم بغمان وجاردي، ويوكل إليها ضرب دار الأمان.
(3) الحوزة الثالثة : (جنوب شرق) وتضم : سروبي وبجرامي وتشار أسياب ويوكل إليها مهمة أساسية وهي: ضرب مطار كابل، ومهام أخرى: كإغلاق طريق كابل / جلال آباد، وطريق كابل / جارديز وضرب بول تشرخي.
وقد أجمع القوم على أن مقتل الحكومة في الحوزة الشمالية التي تستطيع أن تخنق كابل بقطع طريق الإمداد الرئيسي عنها.
القيادة الموحدة أو مجالس الشورى:
وأكثر ما كان يشغل أذهان الإخوة العرب ويتردد على ألسنتهم هو العمل الدائب لإظهار قيادة موحدة للمعركة وهذا الأمر هو الذي استحوذ على اهتمام الإخوة في جولاتهم حول كابل والتي بدأت منذ بضعة أشهر، وهنا قضيتان لابد من الوصول فيهما إلى حل:
(1) الاجتماع على قيادة موحدة.
(2) الاجتماع على خطة مشتركة بين المجاهدين.
وهناك قضايا أخرى كانت الترتيبات والاتصالات الدائبة تعمل عليها منذ عدة أشهر وعلى رأسها التنسيق مع القادة الأمراء بشأن المواد الغذائية وتوفيرها للمعركة، وقد كانت التقديرات الأولية أن معركة الصيف تحتاج ستة آلاف طن من المواد الغذائية، وتوفير الغذاء ونقله إلى الخطوط الأمامية كان يشغلنا ويجهد علينا أفكارنا.
ولعل الله قد اطلع على قلوب بعضنا، فعلم صدق النيات واخلاص الطويات فألان لنا بعض قلوب الصالحين والمحسنين فبذلوا بسخاء وقد تجمع بعض المال الذي اشترينا به المواد الغذائية.
وفي المساء وعند هذه القضية بالذات قمت بالتجول مع أبي الحسن بين المخازن التي نصبت سرادقها لتوضع فيها الأغذية (الأرز والطحين والعدس واللوبيا والسمن) وكانت السيارات الشاحنة الضخمة واقفة أمام هذه الخيام وقد ش حنت هذه الناقلات بالأغذية.
وكانت القافلة الأولى تضم ستا وعشرين ناقلة كبيرة بدأت مسيرتها بعد طلوع الشمس، وأخذت صيحات التكبير من الإخوة العرب تتعالى وتتردد أصداؤها بين السفوح والأودية، وارتفعت الأكف إلى السماء ضارعة إلى الله أن يحفظ هذه الشاحنات وأن يوصلها على خير.

تبرع سخي :
ولقد ذكر لنا أبو الحسن أن هذه المواد الغذائية قد تبرع بها أحد المحسنين، فضرعت إلى الله عز وجل أن يحفظه في دينه وماله وأهله، وأن يجد بركة هذا التبرع السخي في دنياه وأخراه وذريته وصحته، ولقد ورد في الحديث الصحيح أن بغيا من بني اسرائيل سقت كلبا فغفر الله لها. فكيف بمن يتكفل عشرات الألوف من المجاهدين بالطعام في معركة فاصلة مثل هذه يتوقف عليها كثير من النتائج في المنطقة بل ربما في العالم أجمع .

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي ... المجد للسيف ليس المجد للقلم
اسمعتني ودوائي ما أشـــرت به ... فإنما نحن للأسياف كالـــخدم
من اقتضى بسوى الهندي حاجته ... أجاب كل ســـؤال عن هل بلم

حديث التاريخ :

ولقد حدثني التاريخ قائلا : إن بين طيات صحفي مصداقية كلامك، فمن وسط آسيا خرج المغول وحكموا أرجاء كبيرة من المعمورة واعتنق أحد أبناء جنكيزخان هذا الدين (وهو بركة خان) وقامت الدول المغولية الإسلامية التي حكمت تركستان وأصقاعا كبيرة من الأراضي التي ترزح تحت الاستعمار السوفياتي. ولقد برز من هذه الأرض (وسط آسيا) تيمورلنك الأعرج الذي أنشأ الدولة التترية والتي بسطت سلطانها على مساحات واسعة من الأرض واعتنقت الإسلام وأخذت مكانتها خليفة للدولة المغولية.
وبزغ من هذه الأرض الأتراك العثمانيون الذين امتد رواق سلطانهم قرابة خمسة قرون على العالم العربي وعلى أرجاء شاسعة في أوروبا يحكمونها باسم الإسلام وتعلن إذعانها لهم بدفع الجزية لخلفاء بني عثمان.
فلا تستغربن أن يكون للأفغان دور ينتظرهم في انقاذ قطاع كبير من البشر باسم الإسلام وبحد الحسام.

قال أبو الحسن المدني: إن أول مالفت نظري إلى أهمية القضية الأفغانية أستاذ في الدراسات الشرقية في جامعة أمريكية أخذت عنده مادة في التاريخ لمدة أربعة أشهر وقف فيه الأستاذ شهرين كاملين مع القضية الأفغانية ودورها المنتظر في التاريخ الحديث.
وواصل أبو الحسن حديثه عن متطلبات المعركة فقال: لابد من تنشيط حفر الخنادق، وقد سه ل الله لنا بأن اشترينا مائة حفارة على حساب أحد المحسنين، وقد دربنا مجموعة كبيرة من الأفغان على هذه الحفارات بحيث يستلمونها ويحفرون بها ويقومون باصلاحها إذا اعتراها عطل أو خراب.
وواصل الحديث : إن من ضرورات المعركة تأمين الخدمات الصحية : فرق الإسعاف، ومستشفيات الاخلاء (التخلية)، ثم المستشفيات المركزية.
وقد قطع الإخوة العرب شوطا كبيرا في هذه الميادين.

لغة الواثق المطمئن :
وأثناء الحديث قال أبو الحسن: لقد دار النقاش بيننا وبين القادة في الميدان عن الشتاء المقبل وأخذنا عهدا على البعض ألا يترك مكانه إذا تساقط الثلج فقاطعه حكمتيار قائلا : لا تحدثوهم عن الشتاء فإننا نرجو - بإذن الله - أن تحسم المعركة في هذا الصيف لصالح المجاهدين، وأملي بالله عظيم أن يطيح بعرش نجيب قبل حلول الشتاء.
وأنا أعلم : أن حكمتيار متفائل دائما وقد جاءت الأيام تصدق كثيرا من آماله ، فكثيرا ما كان يدور النقاش بيني وبينه حول انسحاب الروس و،قبل سنوات كان يقول لي:
ليس أمام الروس أي طريق سوى الانسحاب أو أن يقتحم الجيش الهندي الباكستان والجيش الهندي دون اقتحامه خرط القتاد فلم يبق أمام الروس سوى الهزيمة والخروج، وصدقت الأيام ظنه.
وقد بدأ حكمتيار بالمعركة مع إخوانه سنة 1975 ضد نظام داود وقد كانت كل المؤشرات تقطع بأن فأل حكمتيار لا محالة خائب وأن معركته خاسرة، وما عمله إلا انتحار للحركة الإسلامية.
ثم مرت الأيام وصد قت ظن حكمتيار، واتضح للأذهان بما لا يدع مجالا للشك أن لولا الله ثم قرار خوض المعركة ضد داود لأصبحت أفغانستان مع الأيام قطعة من روسيا كبخارى وطشقند. ولكن رأيت حكمتيار قد تعجل في تحديد فترة سقوط جلال آباد وقندهار.
أما بالنسبة لكابل: فلقد أخذ حكمتيار يسرد علي تفاصيل المعركة وذلك بيني وبينه مما جعلني اطمئن أنه لا يعيش في أوهام ولا يتحرك في فراغ ولا ينعم في عالم الأحلام وإنما ينطلق من قاعدة صلبة، وضمن يديه أرقام وأسماء ووقائع تجعله واثقا بفضل الله أن نهاية الشيوعية في أفغانستان قريبة ولكن عل- ق الأمر على قدر الله أولا ثم على توفر الذخائر بشكل كاف .
أما بالنسبة لي: فقد بت جد حذر من التسرع بتحديد مواعيد لسقوط المدن أو نهاية الطاغوت في كابل بعد أن تعجلنا كثيرا في اعلان سقوط جلال آباد التي كانت في نظرنا لا تتعدى الأسابيع القليلة ثم ظهر لنا فيما بعد أننا لم نكن محيطين بالصعوبات البالغة والعقبات الشائكة التي تكتنف فتح المدن.

القدر لا يخضع للبشر:
وهنالك أسباب يخبئها الله لعباده الصادقين ينزلها الله أثناء الشدة وإبان الأزمات فقد تستسلم فرقة من الجيش الكافر بالاتصال السري فتنهي وجود الحكم.
التسخير الرباني : وإني لأحس من أعماقي رحمة الله وفضله في تسخير العرب لخدمة هذا الجهاد، ودورهم في اذكاء روح الحماس لدى المجاهدين الأفغان الذين طحنتهم الأحداث، وسهصرت عجلة الوغى أعصابهم وأنفسهم وقلوبهم حتى بات لسان حال الكثيرين يقول:
تمرست بالآفات حتى تركتها تقول أمات الموت أم ذعر الذعر
ويقول :
جرحت مجرحا لم يبق فيـــه مكان للسيوف أو السهــــــــام
وعطاء العرب من أنفسهم وأرواحهم أضخم بكثير من بذلهم من جيوبهم، ودعك عن الروح المعنوية العالية التي يقبل بها العربي وهو يتدفق حيوية ويتفجر حماسا مما يرفع معنويات المجاهدين.

ولا تنس الالتزام الخلقي الذي يعتبر سمة بارزة للمجاهدين العرب، عدا المعرفة العميقة للكثير منهم بالسنن والقيام وصيام النافلة وآداب الطعام والشراب والتزام أذكار الصباح والمساء، وتلاوة القرآن، وآداب السفر، وأدعية القتال مما ينتقل إلى الأفغان بالاقتداء والتأسي لا بالكلام والتعليم.
هذا عدا المؤسسات التي أشرف العرب على انشائها داخل أفغانستان للمجاهدين أو في باكستان للمهاجرين وفي شتى المجالات التعليمية والطبية والاجتماعية وحتى العسكرية.

أمور يتفرد بها العرب :
وهنالك مشاكل استعصى حلها على الأفغان أو أعجم عليهم الاهتداء إلى إزالتها فكان الفرج على يد العرب؛ كالخلافات الداخلية واغلاق الطرق من قبل بعض الجبهات على الأخرى، والتنسيق بين قادة الميدان أو التقريب بين وجهات نظر الأمراء.

أعداء الله يدركون الخطر:
ولقد أدرك أعداء الله البارزون وأعوانهم المتسترون بأسماء المسلمين ضخامة الدور الذي يقوم به العرب الآن في المعركة، والروح التي تسري في الجهاد والمجاهدين كسريان النور في الظلام بسبب وجود هؤلاء المهاجرين الأنصار العرب، مما جعل الأعداء ينتفضون بكليتهم يشنون حملاتهم المسمومة على الوجود العربي، ويشعلون الفتن ضدهم باسم الوهابية والتشكيك بالغايات السامية التي ط لـ ق من أجلها المجاهدون العرب الدنيا وهجروا النعيم، حتى جازت الحيلة على بعض الجهلة، وأخذوا يوغرون صدور المسؤولين في باكستان على الوجود الإسلامي بين المجاهدين الأفغان ويؤزونهم أزا للتضييق على حركتهم ومنع اعطائهم الاعتراف القانوني ببعض مؤسساتهم.
ولكن جذور المحبة العميقة التي نمت مع الأيام بين الأفغان والعرب من خلال تسابق العرب على الموت والتزام خنادق القتال والإلقاء بالنفوس في أتون المعارك المضطرمة جعل الأفغان وهم أهل رجولة واباء وشمم وفراسة يدركون أن هؤلاء العرب ما جاءوا لغرض قريب أو متاع زائل أو سفساف من الأمر وإنما جاءوا لقضية كبرى هي: الشهادة والجنة واحياء دين الله من جديد وإقامة المجتمع الإسلامي فوق هضاب خراسان وبلخ وطالقان (وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه).
ودعك عن الاحترام العميق الذي يكنه الأفغان بدافع من دينهم للعرب الذين يعتبرونهم أحفاد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال يونس خالص لنا: (إنا نعتبر حب العرب جزءا من ديننا).
ولكن لابد أن يكون معلوما لدى الجميع أن العرب لا يفعلون شيئا بدون الأفغان ولا يستطيعون (فهم كالملح للطعام).
استدراك مهم: وفي ختام الجلسة الطويلة قال حكمتيار: ولكن علينا أن لا ننسى أننا نواجه مشكلة المدنيين الذين يقطنون المدن فلابد من انقاذهم وعلينا أن نوفر لهم الخيام والمؤن في المناطق المحررة المحيطة بالمدن .

القدر والبشر :
وختاما لا يغيبن عن البال أن قدر الله جار، وأنه لا راد لمشيئته، ولا معقب لحكمه، إليه يرجع الأمر كله، بيده ملكوت كل شئ، والبشر لا يملكون ازاء القدر شيئا ، إنما وجب علينا الأخذ بالأسباب والنتائج بيد رب الأرباب.
فالمجاهدون يعدون وهم على طريق كابل سائرون وأعداء الله متيقظون متحفزون
وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .
ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين

رجال وأحداث

[*نشر في مجلة الجهاد -العدد التاسع والخمسون- صفر 1410هـ، الموافق سبتمبر 1989م].
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فهكذا وعلى طول الطريق من "سنجت دره" إلى "تشاري كار" حتى مصنع النسيج في "جلبهار" كأنك تسير في بستان واحد، الظلال الوارفة، والثمار الدانية، والأوراق اليانعة، قطعة أرض واحدة على مد البصر تمشي عدة ساعات وكأنك لم تخرج من الروض النضير الذي ابتدأت منه المسير، الشارع العام الموصل بين كابل و"تشاري كار" يمر عنه المار في رابعة النهار فما تجد من العدو أحدا ولا تسمع له ركزا ، ومدينة "تشاري كار" هي (مركز بروان)، ونمشي على هذا الشارع وعلى بعد نصف (كم) أو أقل من مركز بروان، بل إن المواقع العسكرية للمجاهدين لا تبعد أكثر من مائتي متر، وخنادق المجاهدين لا تبعد خمسين مترا عن الشارع استعدادا لقافلة مارة أو دبابات تؤمن الطريق للمواد الغذائية القادمة من روسيا إلى دولة كابل.

شمالي :
ويطلق أهل أفغانستان على هذا السهل الممتد من "شكردره" إلى "جلبهار" اسم (شمالي) ولعل الإسم قد أ خ ذ لأن السهل يقع شمال كابل، وهو قطعة أرض واحدة على مد البصر ، وكأنها مسطح أخضر لأن الأشجار المثمرة، من المشمش والتوت والبرقوق والكمثرى والدراق والجوز والأعناب والرمان وغيرها من الثمرات التي تشتهيها الأنفس وتلذ الأعين، تغطي سطح هذا السهل العجيب. وينتظم هذا السهل الري ان ولايتي (كابيسا وبروان) تخترقه الأنهار ذات الماء الذي يشبه اللجين -الفضة- وتتدفق هذه الأنهار في الصيف حتى تصبح بأمواجها المتلاطمة البيضاء مع الجداول التي تتفرع منها أو تصب فيها فتشكل لك مناظر ساحرة أخ اذة، تأخذ بمجامع القلوب والألباب.
وفي هذا السهل مطار "بجرام" الذي يحيط به المجاهدون من كل جانب على بعد لا يتجاوز مائة متر.
وجبل السراج الذي لا يختلف عن سابقه (مطار بجرام) من حيث الأهمية، وفيه قوة للدولة في مكان يسمى (قلعة سرخ) أو (قواي سرخ) أي القلعة الحمراء - والتي تؤمن الطريق أثناء مرور قافلة ضخمة أو شاحنات زاخرة - على مقربة من ممرسالنج الجنوبي أخطر مضيق على القوافل الروسية المارة - وعلى طول 3 كم- ثم تسير من ممر سالنج الجنوبي حتى تصل "قره باغ" و"مير بتشه كوت" ثم "شكردرا" (وادي السكر) وهذه الثلاثة الأخيرة ساقطة في يد المجاهدين وهي من مديريات ولاية كابل.
أم ا "شكردرا" فقد اخترق المجاهدون فيها الحزام الأمني (كمربند) الثالث، والذي يحيط بكابل لتأمينها والمكون من الجيش، وكذلك انقض المجاهدون على الحزام الأمني الثاني - حزام الخاد (المخابرات) ولم يبق سوى الحزام الأول المحيط بكابل وهو حزام الشرطة.
هذه المراكز والتي تعتبر شريان الحياة للدولة لا تحتاج إلا لتنسيق الجهود بين المجاهدين ثم انزال ضربات سريعة متلاحقة متتالية عليها لتهوي في يد المجاهدين وبالتالي تؤدي إلى الإطاحة بالنظام الشيوعي الذي يرأسه نجيب في كابل. وهذه المراكز "تشاري كار". مطار"بجرام"،" جبل السراج"، "قلعة سرخ" بالإضافة إلى الطريق العام الموصل من "حيرتان" إلى كابل والذي يمثل شريان القلب بالنسبة للنظام، والذي يعتبر إغلاقه المقتل للدولة.
وهذا الطريق لو نسقت التنظيمات الجهادية فيما بينها لاستطاعت وبجهود متواضعة أن تحكم إغلاقه.

أمان وليست أحلاما ، آمال وليست أوهاما :
كان حكمتيار على طول الطريق من "بيشاور" حتى وصلنا "تشاري كار" يحدثني أن أمامنا هدفين رئيسيين الآن :
1- إغلاق الطريق العام (حيرتان - كابل أو روسيا- كابل).
2- ضرب مطار بجرام.
فكنت أقول له: أو تظن أن الحزب الإسلامي وحده قادر على القيام بهذين الهدفين وتحقيق هاتين الأمنيتين؟
فيقول لي: أظن أننا قادرون بإذن الله -كحزب إسلامي وهو التنظيم الذي يرأسه حكمتيار- على تحقيق هذين الأمرين.
فكنت أقول له: لعلك بحاجة إلى ألا تغض طرفك عن التنظيم القوي الآخر الذي يشاطرك هاتين القضيتين وهو الجمعية الإسلامية.

ولقد كنت حريصا وأنا بجانب المهندس حكمتيار أن أقر في قلبه أن ليس بإمكان الحزب وحده أن يضطلع بمسؤولية فتح الثغور المهمة التي ذكرها آنفا ، وليس بمقدوره أن يحمل على كاهله إغلاق الطريق وفتح مطار بجرام.
وبناء عليه فكنت أريد أن أقرب إلى ذهنه الحكم الشرعي بالنسبة للقائه مع أحمد شاه مسعود (القائد العام لتنظيم شوراى نظار الذي يتضمن عشر ولايات شمال كابل والذي يشكل جزءا مهما من الجمعية الإسلامية التي يرأسها الأستاذ برهان الدين رباني). لقد كنت أقول لحكمت يار ونحن على مشارف بروان:
إن لقاءك مع مسعود الآن فرض شرعي ولئن عدت إلى بيشاور دون اللقاء به فأنت آثم.
فقال لي : آثم؟ قلت: نعم آثم شرعا لأنك تفوت فرصة تقرب الإطاحة بالنظام الشيوعي أو تثل عرشه وتزلزل كيانه.
ووافق حكمت يار ورحب باللقاء.

موقف حكومة كابل المتهافت :
ووصلنا بروان وكلنا آمال أن يلتقي حكمتيار بأحمد شاه مسعود وينسقا من أجل اجتثاث الحكم الشيوعي المتهاوي من جذوره، ولك أن تتصور ضعف الدولة من خلال لقاء نجيب مع مجموعة من المزارعين، لقد سمعت نجيبا من خلال المذياع يتكلم مع مجموعة من المزارعين الذين جاءوا يتذمرون من إغلاق طريق بروان - كابل والتي تشكل للفلاحين عصب الحياة لأنهم يريدون أن يوصلوا ثمارهم التي طابت وحان قطافها إلى كابل لأن هذا هو موسمهم السنوي كي يبيعوا جني بساتينهم من سائر الثمار في أسواق كابل ومن أثمان هذه الثمار يعيشون بقية سنتهم.
قال نجيب : أنا لم أغلق الطريق، قولوا للمجاهدين : أن يفتحوا الطريق لكم ولنا. وكنت أسمع لغته الرقيقة التي يتوسل بها لدى هؤلاء المزارعين أن يكونوا واسطته لدى المجاهدين فكان يردد أسماء القادة (سي اف صاحب -سياف المحترم- المهندس قلب الدين ...الخ). ولقد جاءنا الأخ الدكتور حمزة أمس الموافق 89/8/19 برسالة موجهة من نجيب إلى حاج شير علم - قائد الاتحاد في مديرية بغمان - ليوقف القصف على كابل، وكانت هذه الرسالة إحدى رسائل ثلاثة وصلت إلى الحاج شير علم في هذا الشهر من نجيب.
كان هذا قبل ثلاث ليال في "رخا" (مركز بنشير) فأقول في نفسي ليت صحف (الوطن) و(الأنباء) و(السياسة) تسمع لغة نجيب فتستعملها مع المجاهدين لأن لغة أهل الش مال البترولي (اليسار المتورم بالديزل) أشد فظاظة وأكثر غلظة على الجهاد والمجاهدين من نجيب نفسه لأنه يتكلم بمنطق الضعيف المهزوم، وأما أهل الش مال البترولي فإنهم يشعرون بقوة لأن بطونهم منفوخة بالكاز والمازوت.
وكان نجيب يشكو إلى المزارعين وجود العرب في "شكردرا" و"كوهستان" و"جلال آباد" و"ميدان" ويعيد مرة بعد مرة حول وجود العرب قائلا : أي مبرر لوجود هؤلاء بعد خروج الروس؟ فالقضية خلاف داخلي بين الأفغان أنفسهم وبإمكانهم أن يحلوا قضيتهم فيما بينهم ثم يضيف نجيب لقد أعطي هؤلاء العرب فرصة نشر الوهابية في مساجد المناطق التي يحلون فيها.
أرأيت ضعف حكومة كابل الشيوعية؟ فماذا على المجاهدين سوى التنسيق والتعاون، بعد التوكل على الله تعالى؟

قذيفة حمقاء تبدد آمال العقلاء :
في هذه الأيام التي كنا نتذوق فيها معسول الأماني ونتطلع فيها إلى تحقيق الآمال، وقفت أنا وحكمتيار تحت ظلال الأشجار الوارفة وعبد الله أنس، لنرسله إلى الشمال ليبلغ القائد (أحمد شاه مسعود) بقدومنا حتى يأتي إلى بنشير لنرتب اللقاء السار مع حكمتيار.
قال لي حكمتبار: لقد أذاعت الـ (**B.B.C**) نبأ كمين أعده سيد جمال آغا وليد لقادة مسعود أثناء عودتهم من (اجتماع شوراى نظار)، ولقد قالت الإذاعة: إنه قد قتل ثلاثون منهم أربعة كبار وذكر أن (قاضي إسلام الدين ود.حسين) من بين القتلى.
وقد نظرت إلى وجه حكمتيار وقد امتقع بالسواد تأثرا للحادث المروع الأليم الذي اقترف، وكتب حكمتيار استنكارا شديدا لهذا الحادث المزلزل، وأرسله إلى مكتبه في بيشاور ليقوم بتبليغه إلى الإذاعات والصحف.

كنت قد اتفقت مع حكمتيار أن لا يغادر بروان ولو امتد الأمر طويلا حتى يتم اللقاء، ولدى تلقيه للنبأ الفاجع قرر مغادرة أفغانستان ونصحته شخصيا أن يغادر لأن الخرق قد اتسع على الراقع وقد يطول بنا الأمر.
ثم قال لي حكمتيار: نحن مستعدون أن نقدم سيد جمال للمحكمة الشرعية تحكم فيه حسب الشريعة الإسلامية وقلت له: لا بد لي الآن أن أقابل مسعودا .

نحو بنشير:
وعندها أزمعت السير إلى مسعود وأخذت معي أبا الحارث وأبا هاجر وعبد الله أنس وتوجهنا إلى مقر الجمعية في "جلبهار" فاستقبلنا (بسم الله) مساعد (عظيمي) مسؤول ولايتي كابيسا وبروان لدى الجمعية، وأعد لنا سيارة وخرج معنا نحو بنشير، وفي "رخا" غربت الشمس فقررنا أن نطوي ليلتنا هذه في بيت (بسم الله)، وفي اليوم التالي توجهنا إلى "بازارك" المقر الرسمي لمسعود فوجدنا الدكتور عبد الرحمن نائبه.
لقد رأيت د.عبد الرحمن يغلي كالمرجل، ويكاد يتفجر ألما من الحادث المروع، وبدأ يعدد أسماء القادة الذين استشهدوا (ملا ودود، سر معلم طارق، د.حسين، قاضي إسلام الدين، مولوي عزة الله).
قادة أعرف وزنهم ومكانتهم من أقوامهم، ودورهم في تحرير مناطقهم، وقد التقيت بهم جميعا ، وبعضهم لي به صلة متينة خاصة سر معلم طارق الذي يعرف له رفعة مقامه وعلو كعبه في منطقته، عدا دوره الكبير في الإصلاح إذ كان يعتبر حجر الزاوية في إصلاح ذات البين كلما ادلهمت الخطوب وتكالبت النوائب.

خلاصة الحادث:
قال الدكتور عبد الرحمن : لقد أعد الأمير -مسعود- دورتين للقادة دورة في بنشيرلقادة شمالي (بروان وكابيسا) لمدة أسبوع ليشرح لهم الخطة المقبلة لمواجهة الدولة وتحديد المراكز التي يجب ضربها، ثم افتتح دورة أخرى في فرخار بولاية تخار ثم حدد بدء العمليات الجماعية على الدولة في يوم الجمعة 18 ذو الحجة سنة 1409هـ الموافق 21 يوليو 1989م، وأثناء عودة القادة من الدورة في السادس من ذي الحجة 9041هـ- وفي "تنكي" (مضيق فرخار) وقع هذا الحادث الأليم المفزع، فتعطل البرنامج وتأخر التنفيذ.

لازال في الأمر متسع:
وإن شاء الله تكون النفوس كبيرة على مستوى الأحداث الكبار، ولقد تجرع المجاهدون آلاما أشد وتحملوا طعنات أعمق من هذا الحادث وتجاوزوه، والحق أن المصائب التي صبت على رءوسهم من الصعب على النفوس العادية أن تحتملها وكأن أحدهم يردد قائلا :
سبحان خالق نفسي كيف لذتها فيما النفوس تراه غاية الألم
الدهر يعجب من حملي نوائبه وصبر جسمي على أحداثه الحطم

من وادي خاواك:
وإني لأكتب مقالي هذا من وادي "خاواك" وقد حجزنا تساقط الثلج ونزول المطر عن مواصلة رحلتنا وإني إذ أرى نهر خاواك الهادر مسرعا ليصب في نهر بنشير أمامي، وحولي مجموعة من المجاهدين وأمامي كانون النار ونحن في تموز 25 (يوليو)، وأعجب كيف يعيش هؤلاء المجاهدون في الشتاء، وكيف صبروا عبر هذه السنين العجاف الرهيبة وليس في الوادي إنس ولا وحش ولعل الجان يهرب إذا رأى هؤلاء المجاهدين.

الأجهزة الغربية والإعلام المعادي:
ولقد كانت هذه الحادثة الأليمة مادة دسمة ووترا حساسا عزف عليه الإعلام الغربي وخنجرا مسموما يطعنون به وحدة المجاهدين ويشككون في إمكانية قدرتهم على الإطاحة بالنظام الشيوعي وضعف طاقتهم عن الوصول إلى الحكم في كابل فضلا عن قدرتهم على تأسيس حكم إسلامي قائم على قواعد متينة.
مقابلتي مع مسعود:
وأخيرا وصلت إلى (مسعود) في ورسج/ فرخار فوجدته يكاد يقضي أسى ويعتصر ألما ، وصلت إليه بعد أسبوع كامل من تسلق جبال تكسو قممها الثلوج وقد تساقطت الثلوج علينا في الطريق فأوينا يومين في خطم أحد الجبال حتى تكشفت السحب ثم واصلنا المسير.

بدأت الكلام مع مسعود عن الموقف الدولي والإسلامي والمحلي تجاه الجهاد الإسلامي في أفغانستان، وأن المعنويات في العالم الإسلامي لابد من رفعها بعمليات عسكرية ضخمة سريعة، وأنه لا بد من أن ننسى جراحاتنا العميقة إزاء هذا الطاغوت الذي يجثم على صدور المسلمين في أرض كابل، فقال: أقسم بالله أنني ما رضيت لحظة واحدة عن الخلافات بين الحزب والجمعية وسيسألني الله يوم القيامة عن هذا فأجيبه أنني ما أعطيت يوما من الأيام ذخيرة للجمعية وقلت للقائد أن يستعملها ضد الحزب.
ثم قال: وأنا حريص كل الحرص على الصلح مع الحزب الإسلامي - والله يعلم هذا وأقول لك جملة واحدة: لست مؤيدا لهذا الخلاف خوفا من الله ورهبا من الحساب، ثم حياء من الناس.
وإنني استحيي من الله ثم من الناس أن أقول : عندي كذا ألف مسلح ونجيب حي متربع على الكرسي. وإن خطتي لهذا العام قطع طريق (سالنج - كابل) وافتتاح بعض المدن، وأعدك بإذن الله أن أشعلها بعد قليل من "حيرتان" على نهر جيحون حتى "كابل".
وقال لي : أعدك -بإذن الله- أن لا تتخطى المشكلة مكانها وموقعها، ولن تتعدى المشكلة سيد جمال.
وأنا حريص أن ألتقي مع حكمتيار في أي مكان في أفغانستان وقد وكلتك بهذا منذ العام الماضي ولا زلت على موقفي، فتفاهم مع حكمتيار على ما تريد وأنا أقبل بما تصلون إليه.
ومما اتفقنا عليه أنه لا يجوز شرعا ولا عقلا أن ي قتل قائد في تخار فيقتل مقابله قائد من "جلبهار".

الراحة النفسية:
ورغم الطعنة النجلاء التي وجهت إلى صميم الفؤاد وفي هذه المرحلة العصيبة إلا أنني عدت مرتاح النفس هادئ البال مطمئن الضمير من داخل أفغانستان فالوضع أفضل بكثير من بيشاور ومن الصورة الشوهاء التي ارتسمت في أذهان الناس في هذه الآونة عن الجهاد والاستعدادات لمواجهة نجيب كبيرة.

عقبات الطريق:
والعقبات في طريق هذا الدين والمشاكل التي تنشأ داخل الصف المسلم من بعض أدعيائه أو من أعدائه كثيرة ولا تزيد المشاكل النفوس إلا صفاء وجلاء ونقاء .

حادثتا بئر الرجيع وبئر معونة:
وإن حادثة بئر الرجيع في صفر سنة 4هـ بغدر (عضل) و(القارة) بعشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم -كما في رواية البخاري- على رأسهم عاصم بن أبي الأقلح وزيد بن الدثنة وخبيب بن عدي.
ثم حادثة بئر معونة في صفر سنة 4هـ التي غدرت فيها (رعل وذكوان وعصية) بسبعين من خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدعاة القراء، كل هذه الحوادث لم تفت في عضد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم توهن من عزيمته، بل استمر في مضائه وسنائه وعزمه وتصميمه ومضيه على طريق هذا الدين اللاحب.
؛ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ماكذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين »
الآية (34) الأنعام .
بشائر على طريق العودة إلى باكستان:
قبل أربعة أيام وقرب مديرية (زيباك) المسيطرة على طريق طوب خانة جاءتنا بشائر النصر بفتح نجم الدين لها -أحد قادة مسعود- مع غنائم كثيرة، وانتقل لفتح مديرية (اشكاشم) ونرجو الله أن يفرح قلوب المسلمين بفتح مدن أخرى على الطريق -إن شاء الله-.
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

مسيرة شعب*
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الستون- ربيع الأول 1410هـ، الموافق اكتوبر 1989م].
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره. وبعد :

فقد غطت حادثة تخار وما تبعها على أخبار الانتصارات الجهادية، وقد اتخذ بعض القوم من هذه الأحداث مادة دسمة ومعينا ثرا لقلمه وكلامه للتنديد بأنداده الذين يحسدهم أو ينافسهم في هذا الميدان، ولقد تابعت الحدث بنفسي فوجدت أن كثيرا من المؤتمرات الصحفية والتصريحات الإعلامية التي عقدتها اللجان السياسية أو الإعلامية في الأحزاب شابها كثير من التهويل واعتراها التضخيم والتفخيم، وغطت على بعض المواقف المشرقة سحب الإظلام والتعتيم. فقد بلغت مسامعي - في بعض الأحداث - تصريحات بقتل المئات، والحقيقة أنه لم يقع عشر ما قيل من الخسائر ولا نصف العشر وقيل قتل ثلاثون قائدا في حين ذكر أنه لم يقتل سوى خمسة من القادة وستة من المجاهدين، وهكذا.. فقلت للأطراف أنتم تخربون بيوتكم بأيديكم، وتهدمون بمعاولكم جهادكم. وخلاصة ما أريد أن أقوله: إن الأحداث في واقعها أقل بكثير من الصورة المشوهة التي ضخمها الإعلام أو رسمتها أيدي اللجان.

ولقد أثرت هذه التصريحات على نفوس المسلمين في العالم أجمع مما أدى إلى انقباض صدورهم وقبض أيديهم عن البذل، وحسبك في هذا الباب مثال واحد أن أحد المحسنين سأل عن المواد الغذائية التي تلزم معركة كابل في هذا الصيف فقيل له ستة آلاف طن يقدر ثمنها بمليون دولار تقريبا فتبرع بها وبدأت القوافل التي تحمل المواد الغذائية تتوارد إلى الجبهات حول كابل ولدى تلقي هذا المحسن لخبر "تخار" دفع ثمن المواد التموينية التي اشتريت بأربعمائة ألف دولار واعتذر عن الايفاء ببقية المبلغ.

أملنا بالنسبة لكابل :

وكان همنا الكبير أن نخزن المواد الغذائية في الجبهات التي تحيط بكابل استعدادا للشتاء الذي تنقطع أثناءه الطرق وتسد المنافذ على المجاهدين، وشغل المجاهدين الشاغل في هذا الصيف الاستماتة للوصول إلى ضواحي كابل حتى يتسنى لهم مواصلة المعركة في أحيائها الخارجية أثناء الشتاء تمهيدا للربيع القادم -إن شاء الله- والمجاهدون الآن يصلون كابل بوابل نيرانهم فكل المواقع العسكرية في مدى قذائفهم حتى المطار، ولقد استقبل الوفد الروسي الذي يصاحب وزير الخارجية في كابل وفي فندق الانتركونتيننتال بحمم صواريخ المجاهدين التي أصابت الوفد إصابة مباشرة، ولثلاثة أيام متتالية أصيبت الأهداف العسكرية والحيوية والحساسة في كابل إصابات مباشرة مما جعل نجيبا يخرج وعلى شاشة التلفاز يصيح (هل يجوز أيها الناس استقبال الضيوف بهذه الطريقة؟)

ولقد كانت الإصابات المباشرة للمواقع دافعا لتفكير نظام كابل أن هذا التسديد والتصويب لا يمكن إلا أن يكون من ضباط مختصين بهذا الفن فجأر مشتكيا إلى الأمم المتحدة أن الضباط الباكستانيين هم الذين يوجهون هذه القذائف

؛والله يشهد إن المنافقين لكاذبون».

حل الألغاز:

ويذهل بعض الناس من المسلمين كيف تحصل أمثال هذه الأحداث بين المجاهدين في سبيل الله؟ وكيف يجرؤ مسلم أن يسفك دم أخيه المجاهد وأمامه الطاغوت الكبير نجيب يتربص به وبإخوانه الدوائر.

ويزول العجب إذا رجعت إلى (البداية والنهاية لابن كثير) أو إلى تاريخ الطبري وتتبعت الفتن التي ابتدأت بالفتنة الكبرى التي أودت بذي النورين عثمان رضي الله عنه في الشهر الحرام في المدينة النبوية الحرام وما تبعها من معركة الجمل بين علي رضي الله عنه من جهة وبين عائشة وطلحة والزبير من جهة أخرى وهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم من العشرة المبشرين بالجنة، وكذلك معركة صفين بين علي ومعاوية. ولإنهاء الإشكال الذي يدور في مخيلتك حول هذه الأحداث لابد لك أن ترجع إلى كتاب (العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي) لترى كيف كان كل واحد من الصحابة متأولا وأن عليا التقى بالزبير وطلحة وانصرفا من المعركة قبل أن يحدث اشتباك ولكن المفسدين هم الذين أشعلوا المعركة ليلا فظن كل من الفريقين أن الطرف الآخر قد نكث عهده..

وهنا وجب الأخذ بالتوجيه الرباني

؛وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا »

(النساء 83).

ولذا فالأخبار التي تشوه الجهاد الأفغاني وشخصياته لابد أن يرجع الأمر فيها إلى المطلعين ممن يعيشون أرض المعركة ويدركون أبعاد الأحداث.

مفاتيح حل الطلاسم والمعميات
في الخلافات عند الشعب الأفغاني:
وإنني أرى أن وقع الأحداث على قلوب الذين يواكبون مسيرة الجهاد في داخل أفغانستان أخف بكثير من وقعه على قلوب الذين يسمعون من بعيد وذلك لأن الذين يحيون مع هذا الجهاد يعلمون أبعاد كل مشكلة وجذورها التاريخية، ولعلك لو تتبعت بعض المشاكل وجدت بعد عناء كبير في البحث أن السبب قد يكون ماعزا أو بقرة، وستجد في مشكلة أخرى أن الدافع لسفك الدم هو ثأر قديم انتقاما لوالده الذي قتل بيد هذه القبيلة قبل أربعين سنة أو أكثر...وستجد مشكلة ثالثة سببها الخلاف بين أبناء عمومة على زواج فتاة، وتجد مشكلة رابعة وراءها قاطع طريق وقف في وجه الروس وأبدى بطولة فائقة في تحطيم دباباتها واغتنام ذخائرها وناقلاتها وبعد خروج الروس عاد قاطع الطريق مع عصبة من الأشرار حوله يقطعون الطريق على المسلمين المجاهدين.
وتجد كثيرا من المشاكل وراءها مخابرات الدولة وعملاؤها الذين يبيعون الدنيا والآخرة بريال واحد، وهكذا دواليك ، فلا تعجب يا صاح من قضايا وحوادث تجري فوق أرض معظم أهلها تقريبا مسلحون. ولعلك ستشده (تستغرب) إذا علمت أن رواتب المالیشیا الحكومية في "كران" و"منجان" ريال واحد شهريا**!**
ولجلاء الشك وتوضيح الصورة لا بد لك أن تعلم أن الشعب الأفغاني بطبيعته وأغلبيته شعب صلب المراس قوي الشكيمة حاد الطبع يرفض الذل ويأبى الخنوع وهو إلى جانب إبائه ورجولته وصلابته وكرمه ووفائه وصفاء فطرته وحيائه يجمع معها صفات أخرى كحب الثأر والانتقام والأنفة والفخر والتعصب إلى ما يعتقده حقا . وهذه الصفات جعلته يتعصب لمذهبه الحنفي ولعل هذا من العوامل التي حمته من الفكر الشيعي، فلقد وقف التعصب المذهبي حاجزا كبيرا أمام المد الشيعي الإيراني، ولذا فقد عجزت المؤسسات الغربية أن تدخل أفكارها مع أموالها; فقد صرح مسؤول الإغاثة في الأمم المتحدة : بأن الشعب الأفغاني هو الشعب الذي أعيانا أن نتعامل معه. وعجزت المؤسسات التعليمية أن تفرض عليه آراء لا يقبلها بل هو الذي فرض عليها ما تعمله.

فذلكة تاريخية :
فتح أفغانستان وطبيعة الشعب الأفغاني هذه عانى منها الصحابة رضوان الله عليهم كثيرا حتى أدخلوا الإسلام إليه، فلم يتقبل الأفغان الإسلام بسهولة بل بقي الصحابة والتابعون وتابعو التابعين (القرون الثلاثة الخيرة) يخوضون معهم المعارك تلو المعارك وهم بين كر وفر ، ينتصرون ويهزمون، ويتقدمون ثم يتقهقرون والأفغان يأبون أن يقبلوا هذا الدين الجديد عليهم، وصعب عليهم أن يتركوا المجوسية التي وجدوا عليها آباءهم فهم على آثارهم يهرعون.
وأقدم إليك بعض اللقطات التاريخية كنموذج لهذه الطبيعة فأقول:
أقام عمر في العراق إمارتين -إمارة البصرة وكانت تتولى مغازي فارس وخراسان (شمال أفغانستان وبلاد تركمانستان الآن في روسيا وشرق إيران)، وإمارة الكوفة وكانت تتولى مغازي الري (قرب طهران) وأذربيجان.
وسار عبد الرحمن بن سمرة إلى كابل في أيام عمر رضي الله عنه بعد نهاوند (فتح الفتوح سنة 12هـ) وبقي الصحابة والتابعون على أهبة الاستعداد خائفين أن يتخطفهم أهالي البلاد ولذا ظلوا يقصرون صلاتهم.
قال الحسن البصري (أقمت مع عبد الرحمن بن سمرة بكابل سنتين يقصر ولا يجمع).
وسار الأحنف بن قيس وافتتح "هرات" عنوة وسار نحو "مرو شاه جيهان" عن طريق نهر هرات فافتتحها ثم سار نحو مرو الروز(شمال أفغانستان) مع وادي "مورغاب" ليلاحق كسرى يزدجرد حيث فر إليها ووصلت الإمدادات من الكوفة إلى الأحنف بن قيس وسار المدد نحو "بلخ" حيث انتقل يزدجرد إليها واستطاع أهل الكوفة دخول "بلخ" وفر يزدجرد إلى ما وراء نهر جيحون (بخارى وسمرقند). ثم استعان يزدجرد بملوك التتار في بلاد ما وراء النهر فرجع إلى "بلخ" واستعادها وفر المسلمون الذين فيها إلى مرو الروز حيث يقيم الأحنف بن قيس فلحقهم إلا أنه لم يستطع دخولها فقفل التتار راجعين إلى "بلخ" بينما سار يزدجرد إلى "مرو

شاه جيهان" (عاصمة تركمانستان الآن في جنوب روسيا) فحاصرها وبها حارثة بن النعمان عاملا عليها من قبل الأحنف، فاستخرج يزدجرد منها كنوزه وانطلق نحو بلخ حيث ينتظره بها ملوك التتار.
ثم نقضت "مرو الروز" عهدها وصالت على المسلمين في أوائل عهد عثمان رضي الله عنه فعاد الأحنف وفتحها وأرسل الأحنف الأقرع بن حابس إلى "جوزجان" ففتحها بعد قتال شديد استشهد فيها خلق كثيرون ومات عدد كبير (انظر خراسان وتركستان للأستاذ محمود شاكر).

أجيال القمم السامقة :
وإني وقد عرفت طبيعة الشعب الأفغاني ووعورة مسالك نفسياته وصعوبة تسلق قمم جباله لأقف مشدوها بإجلال أمام الأجيال الأولى التي فتحت هذه البلاد وثبتت ثبات الرواسي التي تشكل غالبية ساحة أفغانستان.
إن مواجهة الأجيال الأولى لأهل أفغانستان كانت جد شاقة. خاصة وأن القوم لا يدعون فرصة ينقضون فيها على الغزاة الجدد إلا واغتنموها ومن طالع حياة التابعي (صلة بن أشيم) وغزواته حول كابل، والأسود والسباع التي كانت تفترس الفاتحين ليدرك أعماق ما أقول.
ونكثت أفغانستان عهدها في زمن معاوية رضي الله عنه فسي ر إليها سعيد بن عثمان بن عفان ومعه مالك بن الريب الذي استشهد على أبواب مرو وقال قصيدته اليائية التي تعتبر من أروع ما قيل في شعر الرثاء في الأدب العربي ومنها:

لعمري لئن غالت خراسان هامتي	لقد كنت عن بابي خراسان نائيا
تفقدت من يبكي علي فلم أجد	سوى السيف والرمح الرديني باكيا
وطورا تراني في رحى مستديرة	تخر ق أطراف الرماح ثيابيا
صريع على أيدي الرجال بقفرة	يسوون لحدي حيث حم قضائيا

وفي زمن عبد الملك بن مروان نقض أهل كابل عهدهم فسي ر إليهم عبد الرحمن بن محمد سنة 81هـ .
وهكذا دواليك فالحرب دائرة ورحاها تطحن البشر، وما استقر الأمر للإسلام في أفغانستان وخراسان وبلاد الصفد (سمر قند) والشاش (طشقند) إلا حوالي سنة 94هـ.

شعب يحمل السلاح:
وعندما يمتشق الشعب سلاحه ويهب في وجه أعدائه لابد لك أن تتوقع كذلك أن يستعمل هذا السلاح من قبل بعض الفساق والفجار في وجه النساء والصغار لتنفيذ مآربهم وإرواء شهواتهم وابتزاز الأموال من الضعفاء.
أم ا أن نعيش في أحلام وردية وابراج عاجية ونحلق في أمان عسلية فنتمنى وجود شعب ملائكي نزع من صدورهم الغل والحسد والتنافس والهوى وحب الدنيا والرئاسة وشهوة السلطة والمال، ونتمنى انسحاب هذه الصفات على كل فرد في المجتمع فهذا أمر لن يكون في الأرض في يوم من الأيام، (ولو أمكن وقوعه لوجدناه في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يحصل هذا).

تجربتي في فلسطين:
ولقد عشنا فترة من الجهاد واكبنا فيها مسيرة الثورة الفلسطينية، ولقد كنت أرى معظم المجتمع في الأردن غير آمن على عرض ولا مال ولا دم من بعض فصائل الثورة.
ولقد كانت تجاور معسكر التدريب - الذي يضم أبناء الحركة الإسلامية - قاعدة للجبهة الديمقراطية -نايف حواتمة- فكنا نخشى أن يأخذونا على حين غرة غدرا أكثر من اليهود، فكانت حراستنا من جهتهم مشددة جدا ، وقد كانوا يعلقون صور لينين - غارس دولة الإلحاد في الأرض- على أبواب الصالحين فلا ينبسون ببنت شفة.

تجربة الحركة الإسلامية:
ولقد اعتنى الأستاذ البنا بتكوين جهاز عسكري لمواجهة اليهود وأعداء الحركة، واغتيل سيد فايز أحد أعضاء الجهاز السري المرموقين وأشارت أصابع الاتهام إلى بعض أفراده، ثم اسندت رئاسة الجهاز أخيرا إلى عبد الرحمن السندي الذي بلغ به الغرور حدا أن يغضب على موقف اتخذه الأستاذ الهضيبي المرشد العام فانطلق السندي وحاصر المركز العام مدفوعا من عبد الناصر ليعتقل الهضيبي، فإذا جرى هذا في إطار جهاز صغير

لجماعة إسلامية تعنى كثيرا بالتربية الروحية والبناء النفسي وتجهد في توثيق الصلة كثيرا بين الفرد وخالقه فما بالك بشعب أمي قبلي يحمل كله السلاح كأفغانستان؟

ومكلف الأيام ضد طباعها كمكلف الأبحار شعلة نار

ولقد جرت مشاكل في الجهاز السري للإخوان مما اضطر الهضيبي لحل الجهاز.

المبشرات :

مما لا ريب فيه أن معنويات المسلمين تجاه الجهاد الأفغاني قد اهتزت وتأثرت لأسباب كثيرة على رأسها جمود الفتح في جلال آباد، ومرور سنة 1989م دون فتح مدن كبيرة، وبروز بعض الخلافات في الداخل والخارج، وتعثر الأمل في فتح قندهار، ومع هذا كله فالأمل بالله عظيم. والكفة راجحة لصالح المجاهدين لأسباب :

1- إن المجاهدين قد قدموا هذا العام تضحيات باهظة ودفعوا خسائر ضخمة لمحاولة فتح جلال آباد وقندهار مما اكسبهم مراسا وخبرة ودربة ودراية في فتح المدن، وقد اقتنعوا من أعماقهم أن الفتح لا بد له من جبهة موحدة وقيادة واحدة بعد انتقالهم من الدفاع الاستراتيجي إلى الهجوم الاستراتيجي.

2- إن الدولة قد فقدت هذا العام معظم طرقها البرية وشل- ت أغلبية مطاراتها، فقد استطاع المجاهدون أن يغلقوا ممر سالنج منذ منتصف شهر أغسطس، ولا تستطيع الطائرات أن تطير على مدرج مطار قندهار إذ أن خنادق المجاهدين لا تبعد أكثر من مائتي متر عن المطار ويغلق مطار بجرام وكابل بين الحين والآخر والمطاران في متناول قصف المجاهدين.

3- إن الدولة قد فقدت عمقها الاستراتيجي فانزوت داخل كابل وفي بعض أرجاء المدن الكبرى، وإن أي مكان في الدولة إنما هو في متناول قذائف المجاهدين وتحت نيرانهم.

4- معنويات المجاهدين لا زالت مرتفعة بينما تدرك من خلال النبرة التي يتكلم بها نجيب الضعف والانهيار الذي تعانيه الدولة بالإضافة إلى الانشقاقات المتوالية والتمزقات الداخلية للصراعات التي يعاني منها الحزب الشيوعي الحاكم بين شقيه (برشم وخلق).

5- الطمأنينة النفسية التي يعود بها الرجل الواعي الذي يدخل أفغانستان وهو يرى الإعداد الدائب والاستعداد المتواصل للمعارك الفاصلة القادمة ونحن نتوقع بإذن الله انتصارات طيبة لصالح المجاهدين في الشهرين القادمين قبل سقوط الثلج.

6- إن الشغل الشاغل للقادة الكبار الذين يقودون هذا الجهاد هو التفكير بالإطاحة بهذا النظام المتهاوي واجتثاثه من الجذور.

7- إن راية الجهاد لا زالت واضحة ناصعة، إسلامية، وكذلك فالقادة في غالبيتهم ناضجون مؤتمنون على دين الله وهدفهم من الجهاد أن تكون كلمة الله هي العليا وإقامة المجتمع الإسلامي وتطبيق شريعة الله في الحياة.

ونحن نهيب بالمسلمين أن يسألوا أهل القضية وأبناء مسيرة المعاناة والآلام فإننا كشهود حاضرين ولهذه المسيرة مواكبين لا زلنا مطمئنين واثقين -بإذن الله- أن النصر للمجاهدين ؛والعاقبة للمتقين« ؛والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين»

(الآية : 6 العنكبوت).

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

حسبنا الله ونعم الوكيل *

[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الحادي والستون- ربيع الثاني 1410هـ، الموافق نوفمبر 1989م].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فمنذ أن شعر الاتحاد السوفياتي أنه لا قبل له بمواجهة جند الله فوق أرض أفغانستان ومنذ أن أحست أمريكا والغرب من وراءها أن روسيا مهزومة لا محالة، إذ لا مجال لها بمناطحة جبال أفغانستان ومنازلة أبطالها، أقول منذ أن أيقنت الدول الغربية أن آبار البترول العربية لم تعد في خطر بعد أن وقف السد المنيع من جماجم الشهداء الأفغان دون تخطي الدب الأحمر لحدود قندهار وقد كان من قبل متشوقا لارواء غليله من آبار النفط التي يتطلع إليها من بعيد وهو يرى الطريق من خلال منطقة بلوشستان الباكستانية ممهدة له كيف لا؟ وقد بذل جهودا مضنية حتى استطاع أن يضع بيوضه في مستنقعات قبائل البكتي والمري ومنجل في بلوشستان

ففرخت الأفراخ ونمت عبر السنين مما جعلها تطالب جهارا نهارا وبالعناوين البارزة في الصحف الباكستانية بضرورة فتح الطريق أمام الجراد الروسي الذي يأكل الأخضر واليابس حتى يصل الخليج العربي والمياه الدافئة على بحر العرب.
أقول : بعد أن اطمأن الغرب تحت زعامة العم سام أن مصالحه في أواسط آسيا وغربها لم تعد مهددة بدأ يبحث عن البديل لهذا الدب الذي أثخن بالجراح.
وبدأ لحن البطولة الأفغانية الذي عزف عليه الغرب سنين عددا يخفت تدريجيا ويحل محله لحن جديد وهو ابراز بطل (البيروسترويكا) بأنه رجل سنة 1989 اذ تعرضه "التايم" الأمريكية على غلافها مشيدة ببطل السلام -غوربتشوف- وأما وتر التدمير والإبادة والتشويه والمعوقين الذي استعملته أمريكا قميصا رابحا تتاجر به في المحافل الدولية لتحطيم سمعة روسيا فقد اختفى هذا الوتر واتجه الإعلام الغربي إلى ابراز حاكم الكرملين بصورة مشرقة بعد أن عطرت اليد الغارقة بنجيع الأطفال ودماء النساء بالعطر الذي يعبق شذاه في الأنوف.

دور الإعلام في طمس جهاد الأعلام:
أما الجهاد الأفغاني فقد أضحى في عرف اليهودية العالمية حربا أهلية وصراعات قبلية، هذه الصحف التي تدوخ البشرية بأجهزة إعلامها وصحفها الدورية التي تصدر بالملايين لغسل أدمغة البشرية. وليست يد اليهودية العالمية بخافية على كل ذي عينين وهي تصب الفكر الذي تريده في أذهان الناس .

البروتوكولات :
جاء في البروتوكول الثاني عشر :
1- سنمتطي صهوة الصحافة ونكبح جماحها.
2- يجب أن لا يكون لأعدائنا وسائل صحفية يعبرون فيها عن آرائهم.
3- لن يصل طرف من خبر إلى المجتمع من غير أن يمر علينا.
4- ستكون لنا جرائد (صحف) شتى تؤيد الطوائف المختلفة من أرستقراطية وجمهورية وثورية بل وفوضوية أيضا .
5- يجب أن نكون قادرين على إثارة عقل الشعب عندما نريد وتهدئته عندما نريد.
6- يجب أن نشجع ذوي السوابق الخلقية (المفاسد الخلقية) على تولي المهام الصحفية الكبرى وخاصة في الصحف المعارضة لنا فإذا تبين لنا ظهور أية علامة للعصيان من أي منهم سارعنا فورا إلى الإعلان عن مخازيه الخلقية التي تستر عليها وبذلك نقضي عليه ونجعله عبرة لغيره. والعلاقة بين الصحافة ووكالات الأنباء كالعلاقة بين البندقية والذخيرة فالبندقية لا تفيد إذا لم تتوافر لها الذخيرة.
وفي البروتوكولات (لابد لنا من السيطرة على وكالات الأنباء التي تتركز فيها الأخبار من كل أنحاء العالم وحينئذ سنضمن أن لا ي نشر من الأخبار إلا ما نختاره نحن ونوافق عليه).

اليهود يمسكون زمام الإعلام الغربي :
فمثلا وكالة " رويتر " أسسها يهودي اسمه "جوليوس رويتر"، وكذلك وكالة " اسوشيتدبرس " يسيطر عليها اليهود ، وكذلك وكالة "اليونايتدبرس إنترناشيونال" أسسها يهود وهم "سكرايبس وهوارد وهيرست" سنة 9091 وكانت وكالتين ثم اتحدتا سنة 1958، ووكالة (أنباء هافاس) الفرنسية أنشأها "هافاس" اليهودي.
أما الصحف : ف-"التايمز" البريطانية يملكها اليهودي "ميرودخ" ويمتلك كذلك مجلة "الشمس "**Sun**" و"أنباء العالم "**News of the world**" و **City Magazine**.
وتوزع (15) صحيفة بريطانية يوميا حوالي 33 مليون نسخة ومنها " الديلي اكسب-ريس **Daily Express** "و" الديل-ي ميل"**Daily Mail**" و"الأوبزرفر"**Observer**" ، و"الغارديان " **Gaurdian** .
أما في أمريكا : فهنالك (1759) صحيفة يومية يتلقفها (61) مليون أمريكي نصفها لليهود ولهم عليها السيطرة الكاملة والنصف الثاني سيطرتهم عليه أقل.
ومن القسم الأول : "نيويورك تايمز" ، "الواشنطن بوست" توزع (620 ألف) نسخة يوميا و"الديلي نيوز ، والنيويورك بوست" وتوزع (740 ألف) نسخة يوميا .

ومجلة "نيوزويك" الأسبوعية وتوزع ثلاثة ملايين نسخة "والتايم" وتوزع (5،4 مليون) نسخة أسبوعيا .
وكذلك شبكات التليفزيون الأمريكي الثلاث كلها يسيطر عليها اليهود**N .B. ABC CBS S.**
ومن أراد الاستقصاء في هذا الأمر فعليه بكتاب (النفوذ اليهودي في الأجهزة الإعلامية لفؤاد الرفاعي / الكويت). وقد استطردت في هذه القضية لأبين دور الإعلام الغربي الآن في غسل أدمغة البشر وفي تشويه هذا الجهاد.

المحور الذي تدور حوله أجهزة الإعلام:
ويركز الإعلام الآن على تشويه هذا الجهاد من خلال قضيتين أساسيتين :
1- أولاهما : طمس الصورة المشرقة لهذا الجهاد وإبراز الثغرات وجوانب الضعف فيه وذلك لمحو آثاره في أعماق الأمة الإسلامية وتحطيم عقيدة التوكل على الله التي بناها الجهاد الأفغاني عبر السنين من خلال التضحيات والبطولات .
2- ثانيهما : قطع الصلة بين هذا الجهاد وبين قلوب الأمة المسلمة وتحجيمه من جهاد إسلامي عالمي إلى قتال قومي منحصر بين قومين الأفغان والروس، وكذلك التركيز على قضية الحرب الأهلية في داخل أفغانستان ليحرموا الجهاد من أنصاره ومن المساعدات التي ترد إليه من المحسنين، مما أوصل بعض الأثرياء المخلصين لهذا الجهاد أن يصلوا إلى حد التأثم والتحرج من البذل لهذا الجهاد، حتى لا يشاركوا في سفك دماء المسلمين.
ولقد تغيرت النظرة لهذا الجهاد من كونه فرض عين بالمال والنفس يجب على المسلمين ازاءه البذل والتضحية بالنفس والنفيس فانقلبت الصورة تماما في أذهان الطيبين ممن واكبوا هذا الجهاد. فبعد أن كان البذل والتحريض عليه فريضة، صار خيار المسلمين يتحرجون من التفوه بكلمة خير تجاهه والتأثم من حض الناس على البذل له.

نظرة الناس إلى الجهاد الآن :
ولقد التقيت بطبقات مختلفة من الشعوب الإسلامية خاصة العرب في رحلتي الأخيرة فوجدت الناس كأن على رؤوسهم الطير :
قال لي خطيب مسجد مشهور في جدة : أصبحنا الآن نستحيي أن نتكلم فوق المنابر بكلمة عن الجهاد الأفغاني وأنا أعلم أن هذا الشاب لا زال ممن يعتبرون أنفسهم أحد أبناء هذا الجهاد ممن ينافحون عنه بلسانهم ويحضون الناس على بذل حشاشة نفوسهم وقلوبهم له.
والتقيت بعالم يشار إليه بالبنان ويرجع إليه جماهير الناس في فتاواهم : فقال لي أنا الآن مشوش عن الجهاد الأفغاني ولذا فإني متوقف فشرحت له حال الجهاد وقلت له : إن الأمل بالله ثم بهذا الجهاد كبير وحال المجاهدين -إن شاء الله- على خير وهم يقفون على أبواب كابل. وكابل تعيش في عزلة عن أفغانستان سواء من الطرق البرية أو الجوية فمطارها (خوجارواش) ي ضرب آناء الليل وأطراف النهار، وطريقها إلى روسيا (سالنج) مغلق، وطريق كابل قندهار وكابل اللوكر وكابل غزني وكابل هرات وكابل جلال آباد كلها مغلقة أو شبه مغلقة.
ودعك عن الضربات المتوالية ضد نظام كابل في أنحاء أفغانستان وما من يوم يمر تقريبا إلا ويحقق المجاهدون انتصارا مهما كان ضئيلا .
فقال لي فضيلة الشيخ : شرح الله صدرك كما شرحت صدري.
ثم ذكرت الشيخ بموقف العلماء الذي لا يجوز المحيد عنه تجاه هذا الجهاد وهو ألا يتركوا المجاهدين على أبواب كابل جائعين عراة.
وهناك رجل من نوع ثالث : يمسك على لحيته الطويلة ثم يقول أثناء تدريسه : إن انتصر الأفغان فاحلقوا لحيتي.
وبعد الدرس يأخذه أحد العقلاء الحضور جانبا ثم يقول له: الأولى بك كرجل عسكري متقاعد أن تفيد المجاهدين بخبرتك الطويلة بدل التشهير بهم في المساجد، ولا ينقضي منك العجب إذا علمت أن الشيخ إنما يقول ذلك ح سبة لله وهو يحسب أنه يحسن صنعا .

الإعلام العربي:
والصحف العربية بحجمها الصغير وعددها الضئيل لا تملك أن تتمرد على تيار سدنة الإعلام العارم وليس لها ازاء هذا الخضم المتلاطم من الصحف اليهودية أن تسبح فيه ضد التيار أو تجدف لتخلص إلى شاطئ الاستقرار فالعرب ينقلون عن الصحف الكبرى ووكالاتها التي يدوي ذكرها في الأرض فيقف الناس مشدوهين أمام هذه الصحف وتجاه وكالات الأنباء ولا يسعهم إلا أن يرددوا ما يسمعون خاشعين واجمين قائلين : آمين .
قلت لأحد الصحفيين المسلمين : إن جريدة (**Sunday times**) كتبت عن العرب:
أن ثمانية عشر ألف أرملة في مخيم "ناصر باغ" قد أصبحن محلا لمطامع أصحاب الشهوات من العرب الذين يأتون ليتزوجوهن أياما ثم يتركوهن ، وإذا بالصحفي المسلم : يأتيني بالجريدة ويقول: إنها نقلت عن امرأة أفغانية وكأنه يأتيني بدليل قطعي الثبوت والدلالة.
أو ليس بإمكان الجريدة أن تذكر اسم امرأة أفغانية أو تأتي بامرأة وتدفع لها مبلغا مقابل هذه التصريحات.

الانبهار والذوبان :
والصحف العربية مبهورة بالأسلوب العلمي **!!** الذي تتبعه الصحف الغربية ووكالات أنبائها، ولذا فهي تحاول أن تنسج على منوالها وتقتفي مراسم خطواتها وآثارها فتجد أحدهم : يعجب بسبق صحفي مهما كانت نتيجته على الجهاد، ومهما كان ثقل وقعه على قلوبهم ومسامعهم ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
(لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر أو ذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟). (1).
ولابد أن تعلم : أن الغرب والإعلام الغربي يمكن أن يتبع الأسلوب العلمي والمنهج العقلي التجريبي في كل شيء الآن إلا ما كان بالنسبة للإسلام فإنهم بدافع الحقد الدفين وبما يكنون من عداوة لهذا الدين فإنهم يتعامون عن الحقائق الناصعة والقضايا القاطعة ويطمسونها ويشوهونها:
؛ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير»
الآية (109) البقرة .
لقد حر ف اليهود التوراة والإنجيل تبعا لأهوائهم وتحقيقا لمصالحهم أي أنهم غيروا كلام ربهم وكذبوا على ربهم، فكيف لا يكذبون على المسلمين وعلى الإسلام في صحفهم ونشراتهم؟
؛فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون »
الآية(79) البقرة.
الإسلام أخطر من الشيوعية في نظرهم :
لقد فرح الغرب بادئ ذي بدء وهو يرى الدب الروسي يثخن بالجراح ويمرغ بأوحال نهر كابل وهرات والهلمند وبنجشير أما وقد خرج الروس فقد عادوا يقارنون بين الفريقين المتصارعين -المجاهدين والشيوعيين- فرأوا أن الشيوعية أقرب إليهم.
وقد كتبت صحيفة (**Chicago Sun Times**) في 79/2/22 في مقالها الافتتاحي تحت عنوان لا تفاهم مع الإسلام إلا بلغة الحديد والنار فقالت (إن الشيوعية أفضل من الإسلام لأنها في الأصل فكرة غربية يمكن الالتقاء والتفاهم معها، أما الإسلام فلا التقاء ولا تفاهم معه إلا بلغة الحديد والنار).
وقد صرح نيكسون على التلفاز الأمريكي قائلا : لقد آن الأوان أن تتناسى أمريكا خلافاتها مع روسيا لتقفا معا في وجه الزحف الإسلامي).

إن دور الإعلام العربي الآن تجاه الجهاد :
1- تحطيم الأمل الكبير الذي بناه الجهاد الأفغاني عبر السنين في قلوب الجيل المسلم.
2- اجتثاث عقيدة التوكل على الله من أعماق الأمة الإسلامية التي غرسها الجهاد من خلال المواقف والرجال.
3- تشويه قادة الجهاد وحرق شخصياتهم في أنظار الأمة المسلمة لئلا يبقوا رموزا تقلد وأمثلة حية تحتذى وقدوات فذة تسير بذكرها الركبان وتشغل حديث السامر في كل حي. وإلا فكيف تفسر الهجوم المستمر على

القادة الملتزمين من أبناء هذا الجهاد ممن يسمونهم بالأصوليين؟ وكيف تستوعب الحملة الشعواء على (حكمت يار) لأن لديه (مصنعا للهروويين) يهرب صناعته إلى الغرب لتخدير جيوشه والفتك بشعوبه!!
4- اقناع الشعوب الإسلامية أن الحرب في أفغانستان حرب أهلية بين المسلمين ودعمه إنما يعني زيادة سفك دماء المسلمين المحرمة.
5- اثبات فشل هذا الجهاد وضعفه أمام الحكومة الشيوعية وأن لا مخرج من الأزمة إلا بمؤتمر دولي يتقاسم المغانم وينتهب الثمار.
6- التركيز على الخلافات الأفغانية المتأصلة والتي يستحيل حل ها من خلال قادة الجهاد. وهم يعيدون ويبدئون ويؤكدون على :
أن (رباني ومسعود) من التاجك الذين لا يمكن للبشتون طاعتهم ولذا فإن (مسعود) ينزع إلى دولة فارسية في شمال أفغانستان!!!
وأن بقية القادة من البشتون الذين لا يمكن للفرس من التاجك; وكذلك الأجناس الأخرى التي تعيش في الشمال خاصة الأوزبك والتركمان أن يذعنوا لها بحال سيما وقد جربوا مرارة الظلم الذي عانوا منه خلال كل الحقبات التاريخية السابقة والتي ليس لأفغانستان فيها حاكم سوى العرق الباتاني وأما الشمال الفارسي التركي فهو محروم من المجد والسلطان والمال جميعا .
ويثيرون قضايا التوزيع الجغرافي، ومشكلة الهزارة (الذين يضمون كل الشيعة تقريبا) وقضايا المذهبية!!
وهكذا دواليك وليس لنا ازاء هذا كله إلا أن نقول كما أمرنا ربنا
«الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم »
الآيتان (173-174)آل عمران .

(**1**) رواه مسلم وأحمد وهو في صحيح الجامع برقم (5063)

أحشفا وسوء كيلة*
[*نشر في مجلة الجهاد -العدد الثاني والستون- جمادي الأولى 1410هـ، الموافق ديسمبر 1989م].
الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :
حول مائدة مستطيلة في مقر لجنة الدعوة بالكويت اجتمعت ثلة من الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء والمجلات المحلية الكويتية تصب علي الأسئلة وتوجه إلي الشبهات التي جمعت حول الجهاد الأفغاني، من حرب أهلية تسفك فيها دماء المسلمين، واشتباكات بين صفوف المجاهدين أنفسهم، وتصدع كبير يعتري أسوار حكومتهم. وتجمد الوضع الجهادي حول المدن. وكان من بين الحاضرين: مراسل وكالة الأنباء الكويتية، والإذاعة، والمجتمع، والبلاغ، والوطن، والسياسة، والأنباء... وغيرها.

فأجبتهم بوضوح :
1- إن الإعلام الغربي الذي تتزعمه أمريكا وتحركه أيدي يهود يريد أن يشوه صورة الجهاد الأفغاني، ويلوث سمعته، ويحرق قادته لأغراض ثلاثة :
- مسح آثاره من نفوس المسلمين في الأرض حتى لا يعود نموذجا يحتذي وأسوة تقتدي.
- عزل الجهاد الأفغاني عن العالم وتحجيمه وإعادته قضية محلية قومية بعد أن أفلت من أيديهم وأصبح قضية إسلامية عالمية.
- إقامة الحاجز النفسي بين الجهاد وبين قلوب المسلمين حتى تكف أيديهم عن البذل تمهيدا لخنق الجهاد وحتى لا يقيموا النكير فيما إذا حاول الغرب والشرق ابتلاع هذا الجهاد من خلال المؤتمرات الدولية.
2- لقد قدمت لهم أرقاما تثبت أن الروس لم ينسحبوا بل هزموا شر هزيمة رأوها في تاريخ الثورة البلشفية، فقد لقنهم المجاهدون الأفغان دروسا أنستهم المرارة التي تجرعوها بهزائمهم أمام الشيخ شامل، وغطت على الضعف والخسائر التي تكبدوها أمامه في ققفاسيا والتي علق عليها الجنرال بافلوف قائلا :
(لقد خسرنا في حربنا مع الشيخ شامل من الأرواح والمعدات ما يكفينا لاحتلال الأقطار ما بين مصر واليابان)
فليت شعري ما ذا يعلق جنرالات الروس على خسائرهم في أفغانستان، وقد بينت في محاضرة ألقيتها في

جامعة الكويت كذلك أن الروس قد خسروا حتى بداية سنة 1988 في شعاب أفغانستان ووهادها وذراها ونجودها وبالأرقام التي أحصتها الأقمار الصناعية الأمريكية وأجهزة التنصت الباكستانية ما يلي:
0802(ألفين وثمانين طائرة ساقطة أو مدمرة فوق أراضي المطارات). ومثل هذا العدد استهلك بالاستعمال.
و 17 ألف دبابة ومدرعة و 12 ألف آلية وخمسين ألفا من الروس ما بين قتيل وجريح، ومائة ألف قتيل من الجيش الأفغاني، ومائة ألف من الأسرى والمستسلمين والهاربين ودعك عن النفقات التي كانت تبلغ 45 مليون دولار يوميا تدفعها روسيا في أفغانستان.
فلم يكن أمام روسيا من حل سوى التقهقر والهزيمة التي لم يذق الجيش الأحمر لمرارتها نظيرا .

الأدلة القاطعة بين الاحتمالات
والتوقعات وبين النتائج الدامغات:
ففي سنة 1981 نشرت "المجلة العامة للقانون الدولي العام" خبرا مفاده أن خبراء حلف الأطلسي وهم الخبيرون بقوة خصومهم في حلف وارسو توقعوا أن يتمكن السوفييت من السيطرة على الوضع في أفغانستان - وبالتالي من القضاء على حركة الجهاد في أفغانستان- في زمن يتراوح بين ثلاثة إلى ستة أشهر، وبطبيعة الحال، لم يدر في خلد هؤلاء الخبراء - ومعهم المراقبون والمحللون الاستراتيجيون - أن حركة الجهاد في أفغانستان سوف تتمكن من الصمود في وجه الاحتلال العسكري السوفيتي العاتي، بل وارغامه -بالضغط العسكري أساسا - على جر أذيال هزيمة مخزية لم تعرفها الدولة السوفيتية منذ قيامها حتى الآن.
ولذا فالهزيمة التي تكبدها الاتحاد السوفياتي لم تكن متوقعة من قبل أمريكا والغرب وإلا فإنه لا يمكن أبدا للغرب أن يدع هذه الفرص مفتوحة أمام الجهاد الأفغاني.
محاولة يائسة:
ولقد حاولت أمريكا في آخر الشوط أن تنقذ الدب الروسي من أن يسقط تحت أقدام المجاهدين ولكنها فشلت إذ أن مقتل ضياء الحق جاء متأخرا جدا بعد أن تجاوز الجهاد الأفغاني مرحلة الخطر وعبر المنحنى الحرج.

المقارنات:
ولقد ذكرت في الكويت أنه من الظلم الكبير للجهاد الأفغاني أن نقارنه بالقتال في فيتنام أو غيرها مما يسمى بحركات التحرر الوطني.
ولكي تتضح أهمية حركة الجهاد في أفغانستان، سواء في تصور المتعاطفين معها أو بالنسبة لخصومها، من المفيد اجراء مقارنات سريعة بينها وبين بعض حركات التحرر المعروفة، من حيث الحجم، أو دور الدعم الخارجي، العسكري والسياسي والإعلامي.
فاللافت للانتباه أولا أن الحرب في أفغانستان هي الأطول -زمنيا - من جميع الحروب الكبرى التي شهدها القرن العشرون، فهي أطول من الحربين العالميتين الأولى والثانية وأطول من حربي كوريا وفيتنام، وأطول من الحرب العراقية الإيرانية..
وبالنسبة لفيتنام مثلا ، وهي الأشه ر، تمتع الشعب الفيتنامي بالدعم العسكري والسياسي والإعلامي من الكتلة الاشتراكية جمعاء (الصين - الاتحاد السوفيتي - أوروبا الشرقية) وكذلك الدعم السياسي والإعلامي لدول العالم الثالث، بل حتى من طرف أوروبا الغربية، ولعل العامل الحاسم في انتصار الشعب الفيتنامي - إلى جانب مقاومته المسلحة- هو الثقل الهائل للرأي العام الأمريكي المعارض للحرب.. وقد كانت أغلب إذاعات العالم تغطي يوميا أخبار المعارك، حتى أن بعض المذيعين في تلفزتنا العربية كان الناس يطلقون عليهم (فيتنام) لكثرة الأخبار التي يذيعونها عن التفاصيل اليومية للحرب الفيتنامية الأمريكية ودعك عن المسافات الهائلة التي تقطعها الناقلات الأمريكية لتزويد جيشها بالعتاد والغذاء والكساء على النقيض تماما من الاتحاد السوفياتي الذي لا يفصله عن أفغانستان سوى نهر جيحون (آموداريا).
وبالنسبة لكوبا، التي أريد لها -في وقت ما- أن تكون نموذجا ثوريا رومانسيا للكثير من حركات التحرر الوطنية، لم تتعد ثورتها مقاومة مسلحة محدودة لديكتاتورية محلية في جزيرة صغيرة، ولا يمكن أبدا مقارنتها بما حدث في أفغانستان، التي يقاوم شعبها احتلالا عسكريا أجنبيا من طرف "دولة عظمى".
ويمكن الاسترسال في عقد مقارنات من هذا النوع، مع "نيكاراغوا" مثلا ، أو مع بعض حركات التحرر الوطنية الإفريقية.. إلا أن المهم في هذا المقام، هو التشديد على أن الحرب في أفغانستان، إنما تدور بين قوة

عظمى وبلد ضعيف ومتخلف لم يحظ بعشر معشار ما حظيت به الحركات السالفة الذكر من الدعم، ناهيك عن التضحيات الهائلة التي قدمها شعب أفغانستان المجاهد والتي لا يوجد لها مثيل.

الإعلام الغربي :
ولقد نعيت كثيرا على موقف الصحف العربية التي تحمل لواء تحطيم الجهاد الأفغاني وتشويهه في أذهان المحبين والمتعاطفين في العالم الإسلامي فقلت:
ليت شعري لو وقفت صحفنا العربية بجانب الشعب الأفغاني كما وقفت بجانب الشعب الفيتنامي.
فموقفها ضد الشعب المظلوم غير مقبول شرعيا ولا إنسانيا ولا أدبيا .
فمن أحب أن ينتصر نجيب الشيوعي (رئيس جهاز الاستخبارات لدولة تراقي وحفيظ الله أمين وكارمل والتي استدعت القوات الروسية فخلفت وراءها من المشوهين والمعوقين والأرامل والأيتام ما خلفت).
أقول من أحب من ذراري المسلمين انتصار نجيب على المجاهدين فهو أحد اثنين :
إما جاهل فيعذر بجهله حتى يعلم.
وإما عالم جاحد لحق الإخوة الإيمانية فهذا كافر خارج عن الملة، إذ لا يمكن لإنسان يحب هزيمة الشعب الأفغاني المسلم أمام الشيوعية أن يكون في دين الله وإن صام وصلى:
؛ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين »
الآية (51) المائدة.

أما من الناحية الإنسانية:
فإنه لا يمكن لإنسان في قلبه ذرة خير إلا ويكاد يذوب حزنا بسبب المآسي التي خلفتها هذه الحرب المدمرة التي شنتها روسيا على هذا الشعب الأبي الصابر المثابر.
فلقد تحولت البيوت إلى مياتم ومآتم، فقلما تجد بيتا من بيوتهم (والذي لا يعدو عن خيمة بائسة مزقتها الأعاصير) إلا وملئت هذه الخيمة بمجموعة من الأيتام والأرامل والمشوهين والمعوقين.
فلا يقل الأيتام بتعدادهم عن نصف مليون يتيم، ويناهز عدد الأرامل ثلاثمائة ألف، وعدد المعوقين والمشوهين يقارب المائتي ألف، ودعك عن الأيتام والأطفال الذين لم يبق من أرحامهم أحد، إذ أن غارات الطيران لم تدع أحدا من أهل البيت حيا سوى طفل صغير تناثر دماغ أمه في حجره- كما حدث في بغمان- حيث أغارت الطائرات على نساء القرية وأطفالها الذين جمعوا في المسجد فسحقتهم جميعا سوى طفلة صغيرة في حضن أمها تناثر دماغ أمها في حجرها فج ن ت الطفلة لهول المنظر.

أبناء لا يعرفهم أحد ولا يعرفون لهم قريبا :
وكم من القرى قد دمرت بكاملها ولم يبق منها سوى أطفال وزعوا على من يربيهم من قرى مجاورة.
ففي بيت حكمتيار رأيت غلاما في العاشرة فأشار إليه المهندس حكمتيار قائلا : لم يبق من أهله أحد فجئنا به إلى بيتنا نربيه.

أمي عربي:
وفي مستشفى النساء / الهلال الكويتي أدخلت إحدى بناتي المستشفى وبينما كنت واقفا مع زوجتي أسألها عن حالة البنت وإذا بطفل في السابعة مشوه اليدين والرجلين، فاستدعته زوجتي قائلة كيف حالك يا عبد الحي؟ فأجاب بلغة عربية ضعيفة الحمد لله ثم قالت لي: هذا الطفل يعيش منذ ثلاث سنوات في المستشفى تجرى له عمليات تجميل حتى أصبح بهذه الحالة، فقد حصلت الغارة وأمه تخبز فقتلت أمه ووقع عبد الحي في التنور ودمر البيت بكامله على من فيه وجاء الناس وأنقذوا عبد الحي بعد أن احترق، والآن يجد بعض العناية من زوجتي ولذا فإنه يقول لها : أمي عربي.
ولو عرف عبد الحي لغة البيان لأنشد مع العشماوي:

فإلى متى تدمي الجراح قلوبنا ... وإلى متى تتقرح الأكباد
نصحو على عزف الرصاص كأننا ... زرع وغارات العدو حصاد
ونبيت يجلدنا الشتاء بسوطه ... جلدا فما يغشى العيون رقاد
وتفرخ الأمراض في أجسادنا ... اواه مما تحمل الأجساد

تزوجته ليكون معي محرما :
وكم من النساء عقمن لكثرة المصائب وتوقفن عن الانجاب بعد الهجرة، وكم من القرى حطت فيها الطائرات وانتقت مجموعة من العواتق من خدورهن، ثم حلقت فوق القرية ونزعت جميع ملابسهن ثم انتهكت أعراضهن وألقيت أجسادهن العارية فوق القرية.
وإن نسيت فلا أنس يوم أن أرسلت زوجتي لخطبة فتاة أفغانية لشاب عربي فردت أختها الكبرى على أهلي بلسان عربي مبين قائلة :
أو تظنين أنه بقي لدينا ميل لجنس أولدنيا؟ فوالله ما تزوجت إلا ليكون زوجي محرما لي في الذهاب والإياب، ولقد مضى علينا ثلاثة أهلة (شهران) دون أن أرى منه أو يرى مني.
الليل مكتئب وقريتنا يضاجعها الخراب

ونساء قريتنا على الطرقات يسدلن الحجاب

يخشين يا أبتي على أعراضهن من الذئاب

وبكاؤهن يشيع في آفاق قريتنا اكتئاب

كيف لا ترق القلوب لمثل هذه الأحداث، وأنى للفطرة مهما كانت قاسية جاسية أن لا تذوب حزنا ؟
أو بعد هذا كله تطالعنا الصحف العربية مهللة فرحة بمشكلة في فرخار، أو بتجمد الوضع على أبواب جلال آباد؟ أو بتراجع المجاهدين عن (ثمر خيل) واحتلال الشيوعيين لها!
الكفة راجحة لصالح المجاهدين :
ثم واجهت الصحفيين بالقول: إن المجاهدين لا زالوا منتصرين والكفة راجحة لصالحهم رغم الامدادات التي تتصبب كوابل المطر على حكومة كابل فقد وصلها منذ خروج الروس في 51 فبراير سنة 1989م حتى أوائل سبتمبر الماضي 140859 طنا من الذخائر، وبمقابل هذا تجد الشح الهالع الذي أصاب أيدي أصدقاء الجهاد. ولعلك تأخذ صورة عن انقطاع المساعدات عن المجاهدين بالمقارنة بين ما قد م لهم في شهر مارس 1988 أبان حياة الرئيس الراحل ضياء الحق وما قدم لهم في شهر مارس 1989 بعد رحيله، فقد تسلم المجاهدون في شهر مارس سنة 1988م (ألفين وأربعمائة طن) من الذخائر بينما لم تتعد هذه الكمية في مارس سنة 1989 م المائة طن قط .

خسائر الشيوعيين بعد الهزيمة الروسية:
وقد سجلت الاحصائيات أرقام الخسائر التي تكبدها نظام المرتدين (الشيوعيين) المتداعي :
فقد خسرت حكومة نجيب منذ خروج الروس حتى أوائل سبتمبر 1989م أي في سبعة أشهر:
52ألف جندي ، ومائتين وخمس عشرة طائرة، ومائتين وستين دبابة، و 2159 سيارة، و 1485 مدفعا ثقيلا .
ودعك عن الصراعات العنيفة التي يعاني منها حزب المرتدين الحاكم بين أجنحته (برشم وخلق) وعن محاولات الانقلابات المتواصلة والتي اختتمتها المحاولة التي سجن على أثرها قائد الجيش وقتل نائبه وسجن ستمائة ضابط متهم بها.

في أسبوع واحد فقط:
ولو نظرت إلى الانتصارات الساحقة التي ظفر بها المجاهدون في الشهر الأخير من أكتوبر 1989م لأدركت قوة وضع المجاهدين، وتألق نجمهم فقد قام المجاهدون بفتح (سور كلي: الحي الأحمر) من ضواحي غزني مسقط مؤسس الحزب الشيوعي -خلق- وأول زعيم شيوعي لأفغانستان محمد نور تراقي، وأغلق ممر سالنج الشمالي والجنوبي بالتعاون بين الحزب (صوفي باينده محمد) الذي يحكم قبضته على سالنج الشمالي وبين الجمعية (أحمد شاه مسعود) الذي يقبض على سالنج الجنوبي، ولا زال الممر مغلقا حتى كتابة هذا المقال.
وفتح المجاهدون قاعدتين في (بغمان) الضاحية الكبرى التي تسيطر على كابل (بجك - تبة) وأسروا مجموعةمن رجالات الدولة، ودعك عن الضربات الموجعة التي تلقتها كابل وأغلق على أثرها مطارها.

عمليات الشيخ تميم العدناني:
وقد ضرب المجاهدون كابل بتسعين صاروخا سموا عملياتهم باسم (الشهيد تميم العدناني).

وقد أجمع المراقبون أنه أعنف وأضخم هجوم صاروخي تعرضت له كابل منذ خروج الروس. وقد أصابوا إصابات مباشرة القصر الجمهوري، وزارة الدفاع، محطة الرادار، قواعد صواريخ سكود (5.5طن) وصواريخ موشاك، وفندق الوفود (انتركونتنتال)، والفرقة 4(قرغة) والفرقة8 (باغز داود) والمدنية السكنية للضباط الشيوعيين.
وليت شعري أي طمس للحقائق وتشويه للجهاد هذا الذي يزاوله الإعلام**!!**
وسألني أحدهم: لم القتال، وقد خرج الروس؟ فأجبت خرج الملحدون وجاء المرتدون.
وقال آخر: لماذا لم تعترف الدول الإسلامية بحكومة المجاهدين؟
فقلت لهم: لأنها لم تتلق إشارة ضوئية من أمريكا وروسيا، وبأمكانك أن تقطع بهذا من خلال الاعترافات التي بلغت مائة دولة بالدولة الفلسطينية التي ليس لها شبر أرض تقف عليه بينما يحكم المجاهدون 90% من أرضهم ولا زالت سيوفهم تقطر دما من أعلى ذروة النصر والمجد ولم يعترف بهم سوي أربع دول.

بعضهم أولياء بعض:
والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير .
الآية 37 الانفال
فإذا كانت الكنيسة جمعت من أمريكا ودول أوربا الغربية لهذا العام فقط: 159 بليون دولار، وانشأت لنشر النصرانية 1900 إذاعة ووزعت 121 مليون انجيل، كل هذا لعام واحد فقط سنة 1989.
وجاء كارتر بنفسه ليشرف على إغاثة النصارى في الحبشة وامداد "جون قرنق" لحرب المسلمين في السودان.
ووقف العالم كله بإعلامه ضد الجهاد. فماذا فعل المسلمون تجاه الجهاد الأفغاني؟
وماذا نقول لذراري المسلمين التي قبضت أيديها عن البذل وأشرعت أسنتها واطلقت ألسنتها على الجهاد الأفغاني سوي ما قاله المثال العربي (أحشفا وسوء كيلة)
ونحذر هؤلاء الذين يمزقون أعراض المجاهدين وينتهكون حرمتم بقوله صلى اله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته

وانتهى المؤتمر:
والحق أني رأيتهم جميعا إلا أشقاهم - قد تفاعلوا مع الكلام واغرورقت عيون البعض بالدموع وكبر البعض مستبشرين والحمدلله رب العالمين .
(*) الحشف: التمر الردئ وهو مثال يقال لمن يجمع بين إيذاءين للناس مثل البخل وغيبة المحسنين، أو القعود وايذاء المجاهدين.